

العددان
٢٩٢ - ٢٩٣

«١٧٨٩ - ١٧٩٣»

تأليف: جماعة مسرح الشمس
بإشراف ا. منوشكين
ترجمة وتقديم: د. سامية أحمد أسعد
مراجعة: د. مصطفى فودة

نيكراسوف

تأليف: جان بول سارتر
ترجمة: د. عبدالقادر التلمساني
مراجعة وتقديم: د. رضا الجمل

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

يوليو ١٩٩٧

العددان
٢٩٢ ـ ٢٩٣
(سبتمبر/ أكتوبر ١٩٩٥)



«١٧٨٩ ـ ١٧٩٣»

تأليف: جماعة مسرح الشمس
بإشراف ا. منوشكين
ترجمة وتقديم: د. سامية أحمد أسعد
مراجعة: د. مصطفى فودة

نيكراسوف

تأليف: جان بول سارتر
ترجمة: د. عبدالقادر التلمساني
مراجعة وتقديم: د. رضا الجمل

سلسلة شهرية تصدر عن
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت

المراسلات :

توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص.ب ٢٣٩٩٦ ـ الصفاة. الكويت 13100

« ١٧٨٩ـ ١٧٩٣ »

تأليف: جماعة مسرح الشمس

بإشراف ا. منوشكين

ترجمة وتقديم: د. سامية أحمد أسعد

مراجعة : د. مصطفى فودة

مقدمـــــة

تسبـق النص، في الطبعـة الفرنسيـة التي نقلنـا عنها مسرحيتـي «١٧٨٩» و«١٧٩٣»، نصـوص عن المسرحيتين، مـن بينهـا نص للنـاقـد الكبير برنـارد دورت B. Dort، وآخر بقلم الناقد ب. ل. مينيون P.L Mignon. يتناول النص الأول عـلاقة المسرح بـالتاريخ، في حين يعـرفنا النص الثـاني بالكـاتبة والمخرجـة من خـلال حوار أجـري معها. هـذا بالإضـافة إلى صفحـات عن المسرحيتين و«مسرح الشمس»، بقلم الناشر على الأرجح ودور المخرج، ورسم المسرح الـذي عـرضـت عليـه «١٧٨٩» و«١٧٩٣» والإضـــاءة، والأزيـاء، إلخ. . . ورأينا أنه مـن الأفضل ترجمة هذه النصوص كنص مصـاحب للنص المسرحـي، نظرا لما فيهـا من معلـومـات وآراء قيمة تعين على فهـم المسرحيتين وتقييمهما. لذلك سنستبعـد ما جاء في هذه الصفحات، تجنبـا للتكرار، عند تقديمنـا لهذين العملين، وحديثنا عـن «مسرح الشمس» عامـة، ونحاول أن نغطي جوانب أخرى لم يتطرق إليها كتاب هذه الصفحات.

في مايو ١٩٦٤، أسس عشرة من الطلاب «مسرح الشمـس». كانوا جميعا من أبناء الطبقة البورجوازية، ولم يكن بينهم ابـن عامل واحد. كان هؤلاء الطلاب قد التقوا في السـوربون بباريـس، وكانت آريـان منوشكين A. Mnouchkine مـــن بينهم. واختـارت المجموعـة اسم «مسرح الشمس» لأنـه كان مختلفـا عن الأسماء المسرحية التـي كانـت شائعـة آنذاك، ولأن فيـه إشادة ببعـض السينمائيين الذيـن اختاروا النـور والمتعة. وتميزت المجمـوعة، منذ البدايـة، بتكامل أنشطتهـا. ففي الوقـت الذي نظمـت فيه دروسـا في المسرح للطلبة، ومحاضرات لـرجال المسرح، استقبلت الفرق الأجنبية، وعملـت خارج فرنسا، مما يدل على أنها كـانت منفتحة على عالم المسرح، منذ البداية.

من هي أ. منوشكين؟ ولدت ا. منوشكين من أب من أصل روسي كان يعمل منتجا لـلأفلام، وأم إنجليزيـة، هي ابنة أحـد الممثلين في «الأولد فيك». عـرفت آريان بلاتوهات السينما منذ طفولتها. وكانت الفترة التي أقامت خلالها في انجلترا ذات أثر عظيـم في تكوينها. فلقد عملـت خلالها كومبارس، ومسـاعدة مخرج في

فرقة مسرحية جامعية. وجدير بالذكر أن آسيا استهوتها منذ البداية. وعندما ذهبت إلى اليابان، صدمت عندما رأت قوة أداء الممثلين المقنعين وكما فعل كريج Craig وما يرهولد Meyerhold وآخرون من قبلها، اكتشفت القدرة التعبيرية التي تتسم بها الأشكال التقليدية في المسرح الآسيوي.

و«مسرح الشمس» فريق مسرحي أو فرقة مسرحية بمعنى الكلمة. فكل شيء فيه درس بحيث يتيح لكل عضو الفرصة لتنمية مواهبه، وقدراته، وشخصيته إلى أقصى حد. فأحد الممثلين يتولى الإدارة، وباقي المسئولين عن الديكور، والأزياء، إلخ... من الممثلين أيضا. والمخرج يشترك في تنظيف المسرح، ويتابع عملية تصميم الأزياء مثلا. ويدل كل هذا على أن المشاركة إلى أقصى حد، وإثراء الذات والآخرين في آن واحد هما المثل الأعلى للفرقة. وفريق «مسرح الشمس» أشبه بالجمعية التعاونية التي لا تفرق بين أعضائها. فهو يرفض فكرة النجم، ويعمل في شكل جماعة يشتغل أفرادها خارج المسرح أثناء النهار، ويعملون في المسرح مساء، وتود أن تعيد خلق المسرح. وهذا ما فعلته حقا.

ويعد كل عرض قدمه «مسرح الشمس» ثمرة لشهور عديدة من البروفات، وعمل قامت به الفرقة بأكملها، لا المخرج وحده، عمل نابع من إحساس كافة أفراد الفرقة بالمسئولية العميقة. ولقد لمس الناقد ب. دورت هذا عندما اعترف بأن «مسرح الشمس» اعتمد العمل الجماعي بمعنى الكلمة:

«من الطبيعي أن يدخل العمل الجماعي الحقيقي تغييرا جوهريا على طريقة إنتاج العرض المسرحي.

لكن هذا العمل الجماعي لا يمكن أن يكون بداية لعملية التغيير، لأنه نهاية لها، في الواقع على عكس ما اعتقده كثير من رجال المسرح الشبان الذين وثقوا، منذ عام ١٩٦٨، في الخواص المميزة للإبداع الجماعي. فمثل هذا العمل يفترض ــ في آن واحد ــ تكوين فريق بمعنى الكلمة، والإشراف المتبادل على الوظائف المختلفة التي يقوم بها الفريق، والتبادل المستمر بين العرض والجمهور. ولنعترف بأن «مسرح الشمس» هو المؤسسة المسرحية التي اقتربت من هذا المفهوم، أكثر من سواها». [١]

ويمكن أن ينتمي «مسرح الشمس» إلى ما سمي «بالمسرح الشعبي» في فترة ما، في فرنسا. وكان هذا المسرح قد أصبح شبه اسطوري، قبل أن تقضي عليه ثورة مايو ١٩٦٨ نهائيا. وكانت الحركة اللامركزية المسرحية قد

استندت إلى أسطورة المسرح الشعبي، الذي بعثت فيه الحياة على يدي المخرج القدير ج. فيلار J. Vilar. ومما لاشك فيه أن هذه الأسطورة كانت متعددة العناصر: فبعضها مأخوذ عن فكرة مسرح الشعب كما حدد رومان رولان R. Rollanl ملامحه في كتابه الشهير.[٢] والبعض الآخر مأخوذ عن فكرة المسرح الشعبي بالمعنى الألماني لهذه الكلمة[٣]، أي فكرة الجمهور القادم من الطبقات المتوسطة ومن القلة المستنيرة في البروليتاريا. وكانت أهم المبادىء التي حددها بيان أصدقاء المسرح الشعبي: الجمهور الشعبي، والريبرتوار الذي يدل على ثقافة عالية، والفن المسرحي المتحرر.

وفي مايو ١٩٦٨، انتهت أسطورة المسرح الشعبي كظاهرة ايديولوجية.

وو صف بعض المعارضين المهرجان السنوي الذي ينظم في مدينة آفينيون الفرنسية بأنه «سوبر ماركت الثقافة». ولاشك أن تكوين الجمهور كان عاملا رئيسيا من عوامل فشل هذا المسرح. يقول ب. دورت في هذا الصدد: «كان اجتذاب من لا يختلفون إلى المسرح عادة، لاسيما العمال والفلاحين، هدفا من الأهداف الأساسية التي سعت إليها حركة المسارح الشعبية. وأدركنا مرارا أن هذا الهدف أبعد ما يكون عن أن نبلغه. ولا يبدو، رغم مرور السنين، أن تقدما ملموسا قد أحرز في هذا المجال. ولافتقادنا إلى إحصائيات كاملة ودقيقة، يجب أن نكتفي ببعض الإشارات التي تشهد على ركود جماهير العمال، لا زيادتها زيادة نسبية».[٤]

ويعالج «مسرح الشمس» في «١٧٨٩» و١٧٩٣ أحداثا عن الثورة الفرنسية، أي أحداثا ترتبط بالتاريخ. ومن ثمّ، يثير قضية العلاقة بين المسرح والتاريخ.

والتاريخ، أو التاريخ الذي يروى على وجه التحديد، يتمثل في مجموع الأحداث التي تنقل إلى المسرحية، بغض النظر عن الشكل الذي تقدم به. وتطرح العلاقة بين الخلق المسرحي والتاريخ مشكلة دقيقة للغاية. فالمسرح يصور أفعال البشر المختلفة أو أفعالهم التاريخية. ويتعرض الخلق المسرحي للتاريخ منذ اللحظة التي تبعث فيها، في المسرحية، أحداث ماضية وقعت بالفعل. فضلا عن أن العمل الدرامي، سواء تمثل في مسرحية تاريخية أم لا، يشير إلى لحظة تاريخية من لحظات التطور الاجتماعي. إذن، العلاقة بين المسرح والتاريخ، عنصر ثابت من عناصر الخلق المسرحي. ومن الصعوبة بمكان نقل التاريخ إلى المسرح من دون إدخال بعض التعديلات عليه. ومن الصعب أيضا بعث كل الوقائع التاريخية في

العمل الأدبي أو المسرحـي. لابد إذن من انتقاء العنـاصر المكونة للمادة التـاريخية. وتعتمد عملية الانتقاء هذه على مبدأ جمالي أو فلسفي، أي على حكم الكاتب على الـواقع الـذي يصوره وعلى واقعـه الخاص. والكتابـة التـاريخية التـي تفرض هـذا الاختيـار لا يمكن أن تكـون إلا ملحميـة. لـذلك، سرعـان مـا تتحـول الدرامـا التاريخيـة إلى الشكل الملحمي، بالقـدر الذي يتدخـل به الكاتب لترتيـب عناصر المادة التاريخية.

والكاتب المسرحي الذي يصور التاريـخ يجد نفسه أمام اختيارين متناقضين: إما أن يصور الأحداث تصويرا تـاريخيا صحيحا ودقيقا، ويبين الفرق الجذري بين موقفين تاريخيين مما يتطلب القيام بأبحاث كثيرة وتقـديم وثائق خاصة بالفترة التي وقع عليها اختيار الكاتب، وإمـا أن يعمم الحدث المسرحي، وينقيه، ويبسّطه. ليجعـل الشخصيات قـريبـة منا، ويعطيهـا مـلامـح إنسانيـة، أو يـوسع نطـاق الحدث، إلـخ. . . . ويـؤدي هـذا إلى نتيجتين متنـاقضتين: إمـا أن تكتسـب الشخصيات مـلامح وسمات خـاصة، وإمـا أن يجعل منهـا الكاتـب شخصيات تاريخية تجريدية، أي خالية من الحيوية، لا يمكن أن يرى المتفرج نفسه فيها.

وإذا تـوقـف الكاتـب المسرحـي عنـد الاختيـار الثـاني، حرم الشخصيـة مـن الصفات التاريخية، وجعلها «طابعا» Caractere لا ينتمي إلى زمان أو بيئة معينة. ومثل هـذه الشخصية تشبه الجميع ولا تشبـه أحدا، وعندئذ، يتحـول الصراع من صراع بين القوى الاجتماعية التـي تجسدها الشخصيات إلى صراع بين أفـراد تغلب عليهم السمة الذاتية.

هذا ولا يوجد شيء مشترك بين الـواقع التاريخي والواقع الدرامـي. وينشأ سوء فهم واقع العـرض المسرحي عن الخلط بين هذيـن الواقعين. فالكاتـب المجيد هو الذي يعرف كيف يحتفظ بحريتـه أمام التاريخ، ويحرص على أن تكون العمليات الشاملة، والحركات الاجتماعية، ودوافع المجموعات صحيحة ودقيقة. وإذا وجد حل وسط بين الـواقع التاريخي والواقع الـدرامي، ظهر على مستوى الـدوافع التي توجه الشخصيات إلى الفعل. ولا ينبغي أن تنسينـا الدوافع الخاصة دوافع الحدث الموضوعية والتاريخية.

وعلى ضوء هذه الخلفيـة، نتساءل: كيف تعامل «مسرح الشمس» مـع تاريخ الثورة الفرنسية؟

تروي «١٧٨٩» أحداث العام الأول والثاني من الثورة، وهي تبدأ بدعوة مجلس طبقات الأمة، وتمر بعزل الجمعية الوطنية للملك، وتنتهي بأحداث «شان دي مارس» (يونيو ويوليو ١٧٩١). تبدأ المسرحية بهروب الملك إلى فارين، وتعود إلى الوراء، إلى أحداث العامين السابقين. ولا يتولى رواية هذه الأحداث مؤرخ موضوعي، أو ممثلون تقمصوا شخصياتهم إلى درجة الإيهام التام. إن الذي يتولى روايتها هو الشعب، الذي كان حاضرا وغائبا في آن واحد أثناء الثورة الفرنسية. وتمثل الشعب في المسرحية فرقة من الممثلين الذين يصورون الثورة بالكلمة، والإيماء، والرقص، والغناء. وتبدأ رواية هذه الأحداث التاريخية بالعبارة التي تبدأ بها الحكايات: «كان يا ما كان». لكن صور حكايات كتب الأطفال استبدلت هنا بصور كاريكاتيرية عن البؤس والقهر والشقاء: .«يستدعي ملك مريض رعاياه، ذكر الاوز (النبلاء)، والغراب (رجال الكنيسة)... ثم الحمار (الشعب)... ويتحول الخيال إلى واقع، وتتحول الصور الأسطورية إلى تاريخ...»[٥]

وتنتمي مسرحيتي «١٧٨٩» و«١٧٩٣» إلى المسرح الوثائقي أيضا. فنحن نجد فيهما وثائق أصلية ممثلة في الأحداث، والوقائع، والنصوص. والمسرح الوثائقي، كما عرفه ب. بافيس P.Pavis، «لون مسرحي لا يستخدم في نصوصه إلا المصادر الأصلية التي ينتقيها، ويخضعها لعملية مونتاج، وفقا للرسالة الاجتماعية والسياسية التي تدافع عنها المسرحية.»[٦] والخلق المسرحي لا يبدأ أبدا من فراغ، وإنما يعتمد على بعض المصادر. وبالتالي، يمكن أن نقول إن أي مؤلف مسرحي يشتمل على بعض عناصر المسرح الوثائقي.

ولقد شاع هذا النوع من الإبداع المسرحي منذ الخمسينات خاصة، وأصبح منذ ذلك الحين تكنيكا مألوفا. وربما كان انتشاره رد فعل طبيعي لحب الريبورتاج والوثائق الحقيقية، وسيطرة وسائل الإعلام التي تغمر المستمعين والمشاهدين بسيل جارف من المعلومات المتناقضة. وجدير بالذكر أن المسرح الوثائقي وريث شرعي للدراما التاريخية.

ويعتمد المسرح الوثائقي اعتمادا أساسيا على المونتاج. فهو ينظم المادة وفقا لقيمتها التفسيرية. هذا وتبقى عملية المونتاج التي تخضع لها الوقائع السياسية على دور المسرح، ألا وهو التأثير على الواقع تأثيرا جماليا غير مباشر. والمنظور الناتج عن المونتاج يلقي الضوء على الأسباب العميقة للحدث الذي تصوره المسرحية.

وإذا كان «مسرح الشمس» قريبا من المسرح الوثائقي، فهذا يعني أن النصين اللذين نحن بصددهما، أي مسرحيتي «١٧٨٩» و«١٧٩٣»، نصان يستندان إلى التاريخ المعروف، ويقدمان هذا التاريخ من خلال وجهة نظر بعض الممثلين. وأيا كانت وجهة النظر هذه، فهي لا تمس جوهر الحدث، المعروف للجميع، ألا وهو الثورة الفرنسية، وبالتالي، يمكن أن نقول إن المسرحيتين خاليتان من عنصر التشويق، ولا تأتيان بجديد لا يعرفه المتفرج العادي.

ونجد أنفسنا أمام ذات القضية عندما يعالج الكاتب المسرحي موضوعا تاريخيا أو أسطوريا بصفة عامة، فعندئذ، تتركز أهمية النص المسرحي في طريقة تناوله لموضوع ما، أو طريقة عرضه لأحداث بعينها، أو تجميعه للمادة الوثائقية وانتقائها. . . مما يعني أن النص، في هذه الحالة، يتراجع أمام عنصر آخر اكتسب أهمية متزايدة في القرن العشرين، ونقصد به العرض المسرحي. . . وطرحت هذه القضية منذ أن أصبح للمخرج دور يعادل في أهميته دور المؤلف، بل ويتجاوزه قليلا أو كثيرا في بعض الأحيان. ولا نبالغ إذا قلنا إن المسرح الحديث ظل ولايزال يتأرجح بين هذين القطبين، النص والعرض، ولم يستقر على أحدهما بعد.

في مثل هذا السياق، يجب أن توضع دراستنا «لمسرح الشمس»، حيث إن هذا المسرح لم يعتمد أساسا على النصوص، بل جعلها منطلقا لعروض أفسحت المجال للارتجال، واتجهت دائما إلى التجديد في الأداء، ورسم المكان ــ مكان العرض ومكان المتفرجين على حد سواء ـ والإخراج، إلخ. . . . ومن ثم، قد يقول قائل: مادام هذا المسرح مسرحاً يعتمد أساسا على العرض، لماذا يقدم في سلسلة أساسها النصوص «كالمسرح العالمي»؟ إن المسرح التاريخي والمسرح الوثائقي وجدا دائما مكانا في مثل هذه السلاسل. ونذكر، على سبيل المثال لا الحصر، مسرحية بيترفايس P.weiss «مارا ـ صاد». فضلا عن أن النص، وإن بدا أحيانا كصفحة من صفحات التاريخ، يبين إلى أي مدى نجح الإخراج في تحويله ــ في حالة «مسرح الشمس» بالذات ـ إلى عرض أشبه بالاحتفال الديني أو الشعبي الذي طالما حلم به آرتو A. Artaud، ور. ولان، وغيرهما.

كان أول عرض قدمه «مسرح الشمس» عرضا مأخوذا عن رواية م. جوركي M.Gorki «صغار البورجوازيين» (١٩٦٤)، التي تعالج قيمة الملل، واستحالة خروج الإنسان من ذاته. وعندما كان أعضاء الفرقة يقومون ببروفات هذه المسرحية، كانت آريان منوشكين تحمل معها كتاب ستانسلافسكي الشهير

«تـدريب الممثـل»، وكتـاباتـه الأخرى، وكـانـت الفرقـة قـد انتقلت إلى إحـدى المقاطعات الفرنسية، وخلقت منهجا خـاصا بها يساعدها على اكتشاف المسرح، ويعتمد على: قراءة كل ما يتعلق بالفترة التي تدور فيها أحداث المسرحية، وعرض الممثلين للشخصيات التي يؤدون أدوارها، والارتجال على طـريقة ستانسلافسكي، واستخدمت الفـرقة في هذه المسرحية وسائل متـواضعة للغاية ــ على سبيل المثال ـ كانت الملابس الأساسية قد جمعـت من هنا وهناك، وأخضعت لعملية تحول تام، وقدم العرض على خشبـة مسرح تقليدية، هي العلبـة الإيطالية. لكن الجديـد فيه كان التركيز على نوعية الأداء المسرحي المستوحاة من ستانسلافسكي.

ولم تكتشف الصحافة الفرقة حقا إلا عندما قدمت مسرحيتها الثانية «المطبخ». كان أعضـاء الفرقـة يعملون أثناء النهـار لكسب عيشهم، وبـالتالي، كـان يتعذر عليهـم الدراسـة في أي معهد مسرحـي. لذلـك، كانـت آريان تتـابع دروسـا في المسرح، وتنقلها لهم عندما يلتقون في المساء.

وأعلنت الفرقة في عام ١٩٦٥ أن عرضها القادم سيكون مسرحية ارنولد ويسكر A. Wesker «المطبخ»، التـي مثلت في أنحاء شتـى من العالم وتحولـت إلى فيلـم. وكان كاتـب هذه المسرحية قد أصبـح كاتبا بالصدفـة. لكن التجربة التـي عاشها كرئيس للطهاة في لندن وباريس خاصـة، في أحد المطاعم الكبرى التي تقدم أكثر من ١٥٠٠ وجبة في اليوم الواحد، هي التـي مكنته من دراسة حياة عمال المطابخ، الذيـن قلما ما يلتفـت إليهم كتـاب المسرح. وتصور المسرحيـة بالفعـل عالما أشبـه بمصنـع الأكـل الـذي يعيـش فيـه العمال ويعملـون. وتقـول منـوشكين في هـذا الصدد: «تقول هذه المسرحية إن السعادة لا يمكن أن توجد في العمل إلا إذا أنجز في ظروف بعينها»، كما تـذكر قول المؤلف: «يحتاج الإنسان إلى الخبـز، لكنه يحتاج أيضا إلى بعض الورود». (٧) والورود هنا هي الحلم.

وتصور «المطبخ» مأساة الأزمنة الحديثة« لقد فقد الرجال والنساء الذين يعملون في المطبخ القدرة على التفكير والتعبير، وهذان هما العنصران الأسـاسيان للمعرفة. وتنقسم المسرحيـة إلى جزءيـن يمثلان فترتي يـوم العمل، يصـور الفصل الأول فترة الصباح الباكر والظهـر، في حين يصور الفصل الثاني فترة الراحة بعـد الظهر حتى العشاء. وبينما تزداد أعصاب العاملين توترا، يقول صاحب العمل الذي لا يفهم لذلـك سببا: أنـا أقدم لكـم العمل، وأطعمكـم، وأدفع لكـم أجرا مجزيـا. ماذا تريدون أكثر من ذلك؟».

وكان إخراج العرض معرضا لأن يكون «شريحة من الحياة»، على حد قول زولا، لكن آريان تجنبت ذلك مستعينة بما جاء في مقدمة المسرحية: «لا يستخدم الطهاة أطعمة حقيقية. . . ويقدم الجرسون صحونا فارغة»(٨) فضلا عن أنها أبرزت رمزية المطبخ كمكان. فلونه الأبيض البارد ـ مثلا ـ يوحي بأن الحياة فيه تزداد قسوة. ويصبح المطبخ، بالتالي، صورة رمزية للعالم الذي نعيش فيه.

وعرضت «المطبخ» في سيرك مهجور، وجلس المتفرجون على مقاعد متدرجة. وكان من الصعب أن تكشف الشخصيات عن ذاتها من خلال الحركات العادية الآلية التي تؤتيها أثناء قيامها بعملها اليومي، كما كان من الصعب أن تنظم لحظات الصمت والكلام بحيث تتفق مع سرعة الإيقاع، وتزايد الضجيج، وصوت الصحون، كلما اقتربت ساعة الذروة. لكن آريان تغلبت على كل هذه الصعوبات، وقدمت عرضا قال عنه النقاد آنذاك إنه «أفضل عرض قدم في الموسم المسرحي».

وبعد أن كان النقاد يتحدثون عن النص والممثلين، بدأوا يتحدثون عمن تولت الإخراج، ولم تكن قد تجاوزت الثامنة والعشرين بعد. ولفت نظرهم عدم وجود نجم واحد في الفرقة، كما لفت نظرهم أداء كافة الممثلين الممتاز. هل كان هذا النجاح معجزة؟ لا، بل نتيجة عام ونصف من العمل. كانت آريان تأخذ دروسا في التدريب الجسماني، والأكروبات، والتدريب الصوتي، والتمثيل خلف الأقنعة على غرار ما كان يفعله ممثلو الكوميديا دي لارتي، وكانت تنقل كل هذا لزملائها الذين بدأوا يفكرون جديا في احتراف التمثيل. وجدير بالذكر أن كل ممثل كان يتدرب على كل الأدوار، استنادا إلى منهج ستانسلافسكي الذي سبق أن اعتمدته الفرقة في «صغار البرجوازيين». لم توزع الأدوار في البداية، ولم يتدرب الممثلون على نص معين، بل كانوا يخلقون حياة الشخصيات، وأحداث حياتها اليومية، والحركات التي يجب أن يؤدونها ـ تقطيع اللحم مثلا ـ إلخ. . . واكتملت صورة الشخصيات تدريجيا، وتحددت الأدوار، ووزعت. ويتضح من كل هذا أن ملاحظة الواقع لم تكن إلا مرحلة سرعان ما تجاوزها الممثلون إلى واقع فني آخر.

وكانت اللحظة التي لفتت الأنظار حقا هي لحظة الذروة، ساعة الغداء. قامت آريان في هذه اللحظة بعمل كورالي جعل النقاد يشبهونها بقائد الأوركسترا. ففي هذه اللحظة، اختلطت الأصوات، وتجاوبت، وتعارضت، وتحولت إلى

مقطوعة موسيقية اختلطت فيها بالصرخات ولحظات الصمت، إلخ . . . ولسوف تتكرر هـذه اللحظة في مسرحية «١٧٨٩»، عندما يروي الممثلون لحظة الاستيلاء على سجن الباستيل.

واصطدم عرض «المطبخ»، في البداية، بمشكلة المكان. بدأت الفرقة التدريبات دون أن تعرف المكان الذي ستقدم العرض فيه. وكانت على استعداد لأن تقبل أي مسرح يعرض عليها. وعندما استقر الرأي على سيرك ميدرانو، قبلته. وكان اختيار هذا المكان غير التقليدي بداية لإعادة النظر في خشبة المسرح الإيطالية. وجاء عمال المطاعم، والقصابون، ضمن من جاءوا لمشاهدة المسرحية. لكن العرض لم يجد جمهوره الحقيقي إلا عندما قدم في المصانع، في عام ١٩٦٨، أمام أولئك الذين تتكون حياتهم اليومية من بعض الحركات الآلية التي تفقدهم إنسانيتهم.

هكذا عبر «مسرح الشمس» عن تضامنه مع العمال، بالفعل، لا الكلمة، والموقف. وتأثرت الفرقة بالفعل باتصالها بعالم العمل والعمال. وتأكدت لها ضرورة رفض النجومية، والرغبة في العمل الجماعي. ولنلاحظ أن نجاح «المطبخ» لم يعد على الفرقة بأي فائدة مادية، لكنه ساهم كثيرا في تطوير أداء الممثلين. فازدادت سيطرتهم على الحركة والكلمة، واكتشفوا إمكانيات الصوت، من الهمس إلى الصراخ، وعظمة العمل الجماعي، والكوميديا دي لارتي التقليدية.

وفي عام ١٩٦٩، قدم «مسرح الشمس» «المهرجين»، حيث يلتقي السيرك والحياة، والقديم والحديث، والمسرح الإيطالي والمسرح الياباني، مما يثير سؤالا جوهريا، منذ البداية: هل تنتمي هذه المسرحية إلى المسرح أم إلى السيرك؟ والإجابة عليه تتطلب العودة إلى الظروف التي نشأت فيها المسرحية، والطريقة التي أعدت بها الفرقة العرض.

كان أعضاء الفرقة يبدؤون برسم الخطوط العريضة للعرض، ثم يتركونها ليكتسبوا مزيدا من الحرية، ويسلمون أنفسهم للارتجال التام. وكان يتضح لهم، كلما تقدموا في العمل، أن المهرجين شكل متميز بإيقاعه، وقوته، وبساطته، وقدرته التعبيرية. وكان الممثلون يسجلون كل شيء، ثم ينقدونه. وجدير بالملاحظة أنهم لم يفسحوا المجال للمهرجين المحترفين، بل كان كل ممثل ينطلق من ذكرياته الشخصية، ويخلق شخصية تعرف مباشرة وتفهم بسهولة، لا على المستوى النفسي، وإنما على مستوى السلوك، والفعل ورد الفعل، والكلمة والحركة.

وتتابع عمليات الارتجال يزيدها ثراء، وينتهي بها إلى الثبات والاستقرار. وإذا أمعنا النظر في هذا المنهج، وجدنا أنه ليس مبتكرا، لا يتسم بالابتكار والجدة، بل يبعث منهجا أساسيا اعتمدت عليه العروض الشعبية، كما اعتمد عليه المسرح الذي لا يسعى إلى الخلود، وإنما يسعى إلى العمل المباشر، والمتعة الآنية.

ولا توجد أية علاقة بين «المهرجين» في عرض «مسرح الشمس» ومهرجي السيرك. كما أن التكنيك الذي يعتمدون عليه يختلف تماما عن تكنيك السيرك. فهو يستند إلى مثلث مكون من: المهرج، وشريكه، والمتفرج. ولا يقتصر العرض على مهرج واحد أو اثنين، أو الرجال دون النساء، بل يتتابع على خشبة المسرح عدد كبير من المهرجين الذين يختلفون عن مهرج السيرك الحزين البائس، أو المهرج الميتافيزيقي، إذا جاز التعبير، الذي نجده في مسرح بيكيت Beckett، بصفة عامة، الصورة التي قدمها «مسرح الشمس» عن المهرجين ليست صورة كاريكاتيرية أو تهكمية، بل هي على عكس ذلك، صورة شخصيات حقيقية، حية، واضحة، تتحدث عن الإنسان، وتطلعاته، وآلامه.

لكن، ماهو الدور الذي قامت به آريان منوشكين في هذه المرحلة؟ لم تتدخل منوشكين، عندما كانت الفرقة تعد العرض المسرحي، بوصفها مخرجة تقليدية. واقتصر دورها على متابعة العمل، والتعليق عليه، أي على الملاحظة الخارجية. لكن هذا لم يحل دون الحوار بينها وبين الممثلين. وفي هذا الحوار، كان كل طرف يحاول أن يقنع الآخر، مما زاد من أهمية دور الممثل، ومسئوليته عن هذا الدور. وأتت اللحظة التي تحولت فيها آريان من الملاحظة الخارجية إلى التوجيه، واختيار بعض من عناصر المادة المتراكمة على مدى خمسة شهور من العمل الشاق المتواصل. أتت اللحظة التي تحملت فيها مسئولية إخضاع ما اختارته لعملية مونتاج جعلت منه عرضا ثابتا ومتماسكا. وهكذا، لم ير المتفرج إلا واحداً في المائة مما نتج عن عمليات الارتجال التي قام بها أعضاء الفرقة، وكان يمكن أن يستغرق عرضه ست ساعات كاملة. وتفضي عملية الاختيار والمونتاج إلى سؤال هام: ألا يشتمل اختيار المخرج لهذا العنصر أو ذاك، لهذه الشخصية أو تلك، لهذا المشهد أو ذاك، إلخ... على قدر لا يستهان به من التعسف؟

و القارىء أو المتفرج لا يجد في «المهرجين» بناء تقليديا، أو حكاية شاملة بالمعنى المألوف لهذه الكلمة، بل يجد مجموعة من الاسكتشات التي يربط بينها

خيط واحد: الحياة والموت، والحب، والسعادة، والخوف من النسيان، والسلطة، إلخ. . . وتقدم في مشاهد يسرع إيقاعها تارة، ويبطىء تارة. وكان عرض هذه المسرحية عرضا ناجحا، لكن الصحافة الرجعية انتقدته، وأثارت بهذه المناسبة، القضية الأزلية: العلاقة بين النص والعرض. قال أحد النقاد في هذا الشأن: «نستخلص من مسرحية «المهرجين» التي عرضها «مسرح الشمس» درسا خطيرا، ألا وهو استحالة وجود المسرح بدون المؤلف». وكاتب هذه الكلمات، وغيره من النقاد، لا يتصورون مسرحا لا يعتمد على القيمة الخالدة للعمل المكتوب، أي النص. وكيف يقبلون، بالتالي، أن يستمد «مسرح الشمس» ـ كما فعل من قبل كل من مايرهولد وكوبو Copeau - من الأشكال الشعبية مادة قد تغذي مسرحا تخلص من طغيان الأدب؟

وتؤكد «المهرجون» أن الخلق المسرحي يمكن أن يبدأ بالارتجال، ويستخدم التهريج لخلق عرض مفتوح، لا ينطوي على رسالة بعينها. وقالت آريان منوشكين في حديث أدلت به إلى إحدى الصحف:

(عندما كنا نعد مسرحية «المهرجين»، سعينا أولا إلى تأكيد صفتنا كممثلين، وتحررنا من الأداء النفسي، وتخلصنا من النزعة الطبيعية. كما كان هذا الإعداد المرحلة الأولى من التجربة الجماعية التي نقوم بها لكي نعثر على شكل مسرحي جديد، يمكن أن يدركه الإنسان المعاصر مباشرة. وقد يكون هذا الشكل شكلا شعبيا، أي بسيطا وجميلا. . . كذلك، أكدنا، عند إعداد هذا العرض، رغبتنا في إتاحة الفرصة لكل ممثل لكي يفجر طاقاته الخلاقة، ويرسم الشخصية التي يؤديها بحرية، ويؤكد شخصيته بالارتجال. وفي العروض التي تلت «المهرجين»، تولى عملية التأليف، بالفعل، الممثلون أعضاء فرقة «مسرح الشمس»).[(٩)]

وكان عام ١٩٦٨ نقطة تحول في تاريخ فريق «مسرح الشمس» وحياته. ففي هذا العام، تغيرت ملامحه الأساسية، واتضحت رغبته الواعية في خلق مسرح آخر، مسرح مختلف يكون أكثر شعبية من سواه. بعد هذا التحول، اتجه الفريق إلى التعبير صراحة عن ألم الإنسان، وآماله، وأوهامه. ومن خلال ثلاث مسرحيات، هي «١٧٨٩» و«١٧٩٣»، و«العصر الذهبي»، أرادت آريان منوشكين أن تساعد الإنسان على أن يكون بصيرا، من خلال النظر الثاقب الحاد إلى تاريخ الماضي وحياة اليوم، وأن تساعده على فهم حياته فهما أفضل.

وبدأ العمل في مسرحية «١٧٨٩» عندما اقترحت ا. منوشكين موضوعا تحمس له الجميع عن الثورة الفرنسية. ففي هذا الموضوع، وجدت الفرقة تراثا مشتركا بينها وبين الجمهور: من ذا الذي لم يسمع عن إعلان حقوق الإنسان، أو روبسبيير Robespierre أو دانتون Danton؟ لكن «مسرح الشمس» لم يتجه إلى تصوير الثورة ابتداء من المعركة التي قادها بعض الأبطال، لم يتجه إلى تصوير الثورة التي سجلها المؤرخون، بل اتجه إلى رواية التاريخ، كما يراه الشعب، الشعب الذي صنعه بأفراحه، وأحزانه، وآماله، وأحلامه، ونظرته الانتقادية، وثقته في أولئك الذين يتحدثون باسمه. أراد «مسرح الشمس» أن يبين كيف خدع الشعب، وأن يفضح الأسباب التي أدت إلى خداعه: علاقات القوى، والبورجوازية، وسلطة المال، إلخ... وقدم «مسرح الشمس» صورة من الماضي، لكنه في الواقع، أراد أن يحدثنا عن الحاضر، واستخدام المسرح، في هذا الصدد، كوسيلة للتعبير. وكان لابد من وجود مسافة بين الأمس واليوم، مسافة تمكن القارىء أو المتفرج من النظر إلى المسرحية نظرة موضوعية، واعية وناقدة في الوقت الذي يستمتع فيه باكتشاف التاريخ.[١٠]

لكن، كيف يرى الشعب التاريخ؟ وكيف يصور المسرح هذه الرؤية؟ رأت الفرقة أن الأشكال الشعبية هي أكثر الأشكال ملاءمة لهذا التصوير. ومن ثم، اختارت فكرة الحواة، والبهلوانات، والممثلين الذين يمثلون الثورة، وشخصياتها، وأحداثها ـ على سبيل المثال ـ لا يظهر لويس السادس عشر إلا من خلال رؤية أحد الممثلين له. لكن، توجد في المسرحية شخصية حقيقية لا تدخل في هذا الإطار، ويتقمصها نفس الممثل من أول العرض إلى آخره: شخصية مارا Marat، لسان حال المقهورين، الذي يجسد قوة ومثلا معينة، ولا يمكن أن يكون مادة للسخرية.

لم تكلف الفرقة كاتبا مسرحيا بكتابة نص المسرحية، أو حتى بصياغة بعض العناصر التي تقدمها فرقة الممثلين. فالممثلون وآريان هم المؤلفون. وكان لابد من البحث والقراءة لكي يتحول هؤلاء الممثلون إلى مؤلفين، ويتمكنوا من الحديث عن الثورة وتمثيل أحداثها. وكان الارتجال هو المنهج الذي اتبعته الفرقة في عملية الخلق والإبداع. لم تكن هناك أدوار بالمعنى التقليدي لهذه الكلمة. ولم توزع الأدوار قبل الارتجال. وكانت الفرقة قد اعتمدت على هذا المنهج من قبل، لكنها طورته هنا. فبعد أن كان الارتجال فرديا في «المهرجين»، أصبح جماعيا في «١٧٨٩». كانت المشاهد المرتجلة تسجل على شريط، ثم تعاد كتابتها، ويختار المخرج ـ أو المخرجة هنا ـ أفضلها. وكانت النتيجة عملا جماعيا متجانسا إلى أقصى حد.

وفيما يتعلق بالتمثيل اكتسب الممثلون مزيدا من الحرية والسيطرة على الذات. وكان أداء كل واحد منهم نتيجة للعمل الجماعي. وظهرت هذه السمة الجماعية، بصفة خاصة، في العلاقة بينهم وبين المخرجة. واقتصرت هذه العلاقة على توزيع الوظائف، خاصة أنه لا يوجد نص مكتوب سلفا. لكن آريان لعبت دورا كبيرا هاما في اختيار النصوص التاريخية التي تخللت العرض.

وقالت في هذا الشأن: «تمثل دوري في إخراج بعض الأفكار العامة على خشبة المسرح. وكانت الفكرة الوحيدة التي توقفنا عندها هي: أين يحدث كل هذا وكيف؟ يحدث في ساحة السوق، على أن يتولى تقديمه بعض الممثلين. ولم اضطر أبدا إلى الاختيار، لأن الاختيار تم تلقائيا... في الواقع، من الصعب أن أقول بالضبط ماهو دوري... فعندما يبدأ العرض، أعجز عن أن أحدد الفكرة التي خطرت لي في البداية». (١١)

وكان مكان العرض نتيجة للتعاون الوثيق بين مصمم الديكور، والمدير الفني، والمخرجة وتدخلت مختلف قطاعات الإبداع المسرحي في تصميم الأزياء. كان لابد أن يأخذ مصمم الأزياء في الاعتبار فقر الممثلين ورقة حالهم. لذلك، اختيرت الملابس بين ما كان مخزونا في قاعات السينما والمسرح، واختار كل ممثل ما يريده، واقتصر دور المصمم على التوحيد بين الملابس المختارة، واستبعاد مالا علاقة له بالشخصيات.

كانت أبعاد مكان العرض قد حسبت بحيث يمكن أن تقدم المسرحية على أرض أي ملعب كرة سلة في فرنسا. وبعد أن عرضت «١٧٨٩» لأول مرة في إيطاليا، عادت الفرقة إلى فرنسا، وقررت تقديم مسرحيتها في «لا كرتوشري دي فنسن». لم يكن هذا المكان مسرحا بمعنى الكلمة، بل كان مكونا من ثلاثة أجنحة مهدمة ـ كان المبني أصلا مصنعا للذخيرة ـ أصلحتها الفرقة لكي تكون صالحة للعرض. بدا اختيار مكان كهذا غريبا، لأول وهلة، لكن تحرره من المعمار التقليدي للمسرح، أتاح للفرقة الفرصة لتبني مكان العرض أو أماكنه بالطريقة التي تشاء. وكانت هذه القاعة بعيدة نسبيا عن العاصمة. ومع ذلك، استقبلت آلاف المتفرجين، مما جعل فرقا أخرى تقتدي بها فعله «مسرح الشمس». كما أنها كانت مكانا وظيفيا، أصبح جزءاً لا يتجزأ من العرض وعناصره. هذا ولم تتحول «لا كرتوشري» إلى مكان احتفالي، بل تحولت إلى مكان مسرحي مجرد من أي طابع بيروقراطي، لا يقيم أي حاجز بين المتفرجين الذين يجلسون على صفوف من الدرج، أو بين المتفرجين

والممثلين. وجدير بالملاحظة أن الممثلين كانوا يرتدون ملابسهم، ويضعون الماكياج في مكان طبيعي، هو جزء من قاعة، يراهم فيه الجمهور.

وتتمثل عناصر العرض في مستطيل، وخمس منصات خشبية تربط بينها ممرات ضيقة، وتخص الممثلين الذين أقاموها في ساحة السوق، في المسرحية، وتصور ساحة السوق هذه قاعة مسرح غريبة، كما أنها تشتمل على بعض الأماكن المتداخلة التي تسمح بكافة الأوضاع ـ مثلا، رؤية وجه الممثل أو ظهره، الاقتراب منه أو الابتعاد عنه ـ وتمكن الممثلين من اختراق صفوف المتفرجين، إذا لزم الأمر. أما المتفرج، فيستطيع أن يتنقل ليتابع ما يدور على هذه المنصة أو تلك، في آن واحد.

وفي بداية العرض، تسلط الأضواء على الراوي الذي يذكر حدثا من أحداث الثورة الفرنسية هو هروب الملك والملكة من باريس. ويؤدي دوري الملك والملكة اثنان من الممثلين، بالإيماء فقط.

ويستمر العرض في جو شبيه بجو مسرح الأسواق. وتتتابع المشاهد الطويلة أو القصيرة الناتجة عن عملية الارتجال، وتتخللها نصوص مأخوذة من التاريخ مباشرة. وتصاحب العرض موسيقى تزيد من تأثيره، لكنها ليست موسيقى تصويرية بأي حال من الأحوال، وهي خالية تماما من الأناشيد الثورية.

وتجدر الإشارة إلى مشهد المجاعة الرائع. خلت المنصات من كل شيء، ما عدا رجل وامرأة من الفلاحين. وتحمل المرأة طفلا بين ذراعيها، في حين يذكر الرجال البؤس اليومي، معا، وبنفس الكلمات، قائلين: «لم أجد نارا يا زوجتي! لم أجد خبزا يا زوجتي!» ويطلب كل فلاح من زوجته أن تعطيه الطفل ليقتله. ولو كان المشهد مقدما من رجل واحد وامرأة واحدة، لأصبح مشهدا ميلودراميا صرفا. أما تعدد الممثلين فله أثر مسرحي أكيد. فهو يؤكد أن هذا المشهد صورة من حالة البؤس التي عمت مقاطعات فرنسا كلها آنذاك. وهكذا، أصبح المسرح مكانا مجردا للبؤس، وصورة متزامنة لكافة الأماكن التي حل فيها. وبالتالي، يجد المتفرج نفسه موزعا بين التوحد مع الشخصيات وإيجاد مسافة بينه وبينها تمكنه من نقدها. وتجنبت الفرقة، في «١٧٨٩»، الرؤية الواقعية، واختارت السرد الحي بدلا منها. فالممثلون قد تحولوا إلى رواة يقصون الأحداث التي شاهدوها وعاشوها. وبعد أن تزداد سرعة الإيقاع، يأتي الاحتفال بالاستيلاء على الباستيل، وتحل فرحة الشعب الحر محل تأوهات الفلاحين.

والمشهد من القوة بحيث يبدو للجمهور الـذي يشاهد المسرحية، اليوم، وكأنه يصور أحـداثا تقع «الآن». واعتمدت المخـرجة على الحركة، لا الكلمـة في مشهد آخر مبتكر، المشهد الـذي تتنازل فيه طبقة النبلاء ورجال الكنيسـة عن امتيازاتها، ونرى فيه الممثلين وهم يتجردون من ملابسهم، تدريجيا.

ولا يقتصر تصويـر الأحداث على المنصات أو الإحاطـة بالجمهور الـذي يقف بين هـذه المنصـات والـدورات حـولـه، بـل يخترق الممثلـون جمهـور المتفـرجين، ويدخلون بين صفوفهم، مما يزيد من مفاجأتهم ودهشتهم، ومشاركتهم الجسمانية والذهنيـة في العرض. ويقـل مثل هذا التـأثير، بلاشـك، بين المتفرجين الجالسين فوق الـدرج. في أحد المشاهد الـرئيسية، مثلا، تذهـب نساء باريس إلى فـرساي للعـودة بالملـك والملكة. فتخترق الممثـلات صفوف المتفـرجين، ويعدن ومعهـن دميتان عملاقتان، ارتفاع كل منهما ثلاثة أمتار ونصف. يمكن أن نقول، بإيجاز، إن المتفـرج لا يجد نفسه أمـام عرض مسرحـي، وإنما يجد نفسه داخلـه. وبالتـالي يتشتت انتبـاهه تارة، ويتركـز تارة. فعندما تـروى قصة الاستيلاء على البـاستيل - مثلا - يختار المتفرج غريزيا أقرب الممثلين إليه، لكنه في الوقت نفسه، يحس بوجود رواة آخريـن، ومتفرجين آخرين، تمامـا كما يحدث في الواقع، في أي ميـدان عام. والمسافة التي تفصل بين المتفرج ومكـان العرض تتغير باستمرار في هذه المسرحية، لأن العرض نفسـه متحرك، ولأن المتفـرج لا يظل بـلا حركـة في مكانـه لمدة ثلاث ساعـات ونصف، أي الفترة التـي يستغرقها عـرض المسرحية. وهكـذا يتضح أن العلاقـة بين الجمهور والحدث المسرحـي، هنا، عـلاقة دينـاميكية، وأن العـرض عرض مفتوح، قطع أي صلة بينه وبين ما يختفي وراء الكواليس من أسرار.

وكانت مسرحيـة «١٧٩٣» مفاجأة حقيقية للجمهـور. فهي تبدأ بدقـات الطبول التـي تدعـوه إلى مشاهـدة استعراض تقـدمه أعظـم الشخصيات التـاريخية: الملـك والملكة، والقـوى الأجنبية وملـوكها، وكبـار رجال الجيـش والكنيسة، تـرتدي هـذه الشخصيات ثيابا جميلة تعلن عن تحلـل المجتمع الذي تنتمي إليه. ويؤدي أدوارها، كما تصور الأحـداث التاريخية، ممثلـون يعتمدون على الكـاريكاتير ليبينوا كيـف كان الشعب يقتل في هذه الأحداث التي لم يلعب فيها إلا دور الكومبارس.

يقدم الراوي الاستعراض بقوله: «سيداتي، سادتي، مثلنا لكم توا كفاح الأقوياء ضد الشعب، وسترون بعد قليل كيف انتظم الشعب في كفاحه ضد الأقوياء[١٢]»

بعد ذلك، يخلع الممثلون ملابس الاستعراض، ويدخل الجمهور، وينتشر في الأماكن المختلفة المخصصة له. ويعلن الاستعراض عن مسرحية انتقادية، حيث إن «١٧٩٣» ليست احتفالا وإنما عرض جاد. هذا ولا يمكن أن نقول إنها تقدم عرضا تاريخيا، رغم أنها تتحدث عن التاريخ، أو بالأحرى عن الإنسان في التاريخ. فالتاريخ هنا هو الذي يوجه كفاح البشر. ويكفي هذا المدخل لكي نؤكد أن «مسرح الشمس» أراد أن يستخدم في «١٧٩٣» وسائل مختلفة عن تلك التي استخدمها في مسرحيته السابقة عن الثورة الفرنسية، لكيلا يكرر نفسه.

ويبدأ العرض في يوليو ١٧٩٢، عندما تطلب فرنسا إسقاط الملك، وينتهي في سبتمبر ١٧٩٣، عندما تضع لجنة الخلاص الوطني حدا لكافة أشكال الديمقراطية المباشرة. وتقع في الفترة التي تنقضي بين هذين التاريخين، مجموعة من الأحداث المعقدة من الناحيتين السياسية والأيديولوجية. وكان لابد من العثور على الوسائل المناسبة لمعالجة هذه الفترة التاريخية، واستخدامها لغاية مسرحية، بحيث يتمكن كل فرد - ممثلا كان أم متفرجا - من فهم هذا الماضي وقراءة الحاضر الذي نعيشه الآن. لذا، رفضت المخرجة الرؤية التي من شأنها أن تفرد مكان الصدارة لعظماء العالم، وتبقي الشعب في الظل. ولنلاحظ أننا لا نرى هؤلاء العظماء إلا في الاستعراض بينما يأتي ذكرهم على لسان الآخرين وفي معرض الأحداث. كذلك، تجعل المسرحية من الأحداث الهامة جزءا لا يتجزأ من الحياة اليومية: فمحاكمة الملك، وسقوط الجيرونديين، وصعود روبسبيير إلى السلطة، والوقائع التاريخية، إلخ... كل هذا يذكر من خلال الرواية - أو السرد - كما عاشه الشعب، الشعب الذي نسيه التاريخ، أو خضع له، أو حلم به.

وكان الهدف الذي يسعى إليه «مسرح الشمس» في ١٧٩٣ هو إظهار الشعب، والتاريخ كما يراه الشعب ويعيشه. كانت الفرقة تسعى إلى إظهار التاريخ بكل ما فيه من تعقيدات: كيف يصنعه الرجال ويموتون بسببه، كيف يتألم البشر في حياتهم اليومية، كيف ينشأ الأمل في نفوسهم، كيف يتأثرون بالأحداث التي يعيشونها، إلخ... وكان الهدف الذي يسعى إليه أيضا هو تصوير الشعب في اللحظة التي يمكنه فيها وعيه السياسي من الإمساك بزمام الأمور، والتحكم في مصيره، وتحقيق حلمه القديم في الديمقراطية المباشرة. وحتى لو كان كل هذا مجرد حلم، فإن الأحلام هي التي تحرك الأفعال.

وتصور المسرحية الشعب في الأماكن التي يلتقي فيها، ويحلم فيها، ويبدأ فيها حياة الديمقراطية، ويبني فيها مجتمع المساواة. في هذه الأماكن، يتحدث أبناء الشعب إلى متفرجي اليوم، يتحدثون عن سنوات الأمل التي عاشوها رغم الفاقة، والبؤس، والحرب. وتقول المخرجة في هذا الصدد: «أردنا أن نثبت أن بطل الثورة لم يكن مارا، أو دانتون، أو روبسبيير، فبطل الثورة الحقيقي هو الشعب». (١٣) واقتصر مكان العرض، في الواقع، على ثلاث موائد كبيرة وعالية تحيط بها بعض المقاعد. ولنشير إلى أن هذه الموائد كانت تتحول أحيانا إلى بلاتوه أو منصة، وتتخذ معنى جديدا في كل مرة يستولي فيها المثلون عليها. وتدل الصور الخاصة بتلك الفترة، في الواقع، على أن الموائد كانت تستخدم في الاجتماعات الشعبية أثناء الثورة. فالمائدة هي الاكسسوار الذي يلتقي الناس حوله (في المقهى مثلا)، ويحلمون حوله، ويتبادلون الأفكار. باختصار، كانت المائدة مركز حياة الجماعة، وهي تتحول في المسرحية، ضمن ما تتحول إليه، إلى «مغسل» كذلك الذي لا يزال يرى في بعض القرى الفرنسية.

وأيا كان المكان الذي يقف فيه أو يجلس فيه المتفرج، لا يدعى هذا الأخير إلى المشاركة في العرض مشاركة جسمانية، لأن هذه المشاركة ذهنية في المقام الأول. فالمسرحية لا تعبر عن التطور التاريخي، وإنما تعبر عن أمل عاش عليه الشعب في يوم من الأيام. ولا ترسم اللوحات المتفرقة ـ رغم انتمائها إلى الحياة اليومية ـ خطا متطورا، وعلى القارىء ـ المتفرج أن يجمع بينها. وفي الوقت الذي تخاطب فيه «١٧٩٣» قدرة المتفرج على النقد، تلقي عليه درسا تعليميا، وتثير تفكيره أكثر مما تسعى إلى إرضائه. و هكذا يجعلنا عرض هذه المسرحية نعيد النظر في بعض المفاهيم المسرحية: المشاركة، و«الإيهام»، والنقد، إلخ.

ولا تقتصر الإضاءة على خلق جو معين، بل تشير إلى زمن معين، كالانتقال من النهار إلى الليل، وتتابع الفصول وإيقاعها، ومرور الوقت. على سبيل المثال، تلعب الإضاءة دورا هاما في المقارنة بين مشهد المغسل في الشتاء والصيف، دون أن تكون مع ذلك إضاءة واقعية.

وكان على الممثلين ألا يقعوا في فخ النزعة «الطبيعية»، وألا يسعوا إلى توحد المتفرج مع الشخصيات التي يتقمصونها، لأن هذه الشخصيات كائنات من لحم ودم، لا أنماط أو أفكار مجردة، فلكل واحدة منها اسم، وماض، ومهنة، أو

وظيفة، ووضع اجتماعي، وسلوك معين، إلخ. . وخاصة أن مجتمع المساواة لا ينفي كل ما هو فردي في أية لحظة. ولقد ظهر هذا النهج بوضوح في طريقة تصميم الملابس وإعدادها. كان من المستحيل أن يتولى من يؤيدون دور الممثلين أمر ملابسهم بأنفسهم، لأن الالتزام بالدقة التاريخية واجب هنا. وكان على الملابس أن توحي أيضا بأنها استخدمت يوميا. لذلك ارتداها الممثلون أثناء البروفات على مدى شهرين قبل العرض. كما كان عليها أن تشير إلى مهنة الشخصية أو حرفتها، وعلى الفرق بين المهن والحرف المختلفة. فالخادمة مثلا لا ترتدي ملابس بائعة الخضر والفاكهة. وتمثلت المشكلة الحقيقية في التوازن الذي كان لابد من إيجاده بين ما يدل على الفردية وما يدل على الانتماء إلى جماعة بعينها. ولاشك أن الإخراج أكد على الانتماء الجماعي، لا الطابع الفردي.

وتنقسم شخصيات المسرحية، في الواقع، إلى مجموعتين يجمع الحدث المسرحي بينهما تارة، ويفصل بينهما تارة: الرجال، والنساء. يقود الرجال المعركة على مستوى الأفكار عامة، والفكر الثوري خاصة، والمعركة الجسمانية التي يخوضونها خلال الأيام الثورية. ونراهم في أماكن مختلفة متباينة، القسم أو الشارع أو الحي. وتتمثل أعز أمانيهم في ممارسة السلطة مباشرة، بدلا من أولئك الذين ينوبون عنهم ويخدعونهم. وفي جو تسوده المناقشات، والتناقضات، والآلام، يحلمون بالانتصار في حربهم ضد امتيازات الأثرياء، وبناء مستقبل ينعمون فيه بالسعادة التي يمكن أن تتوقف عندها الثورة. ونلاحظ ـ في البداية ـ نوعا من التباين بينهم، لكن سرعان ما يكونون مجموعة متلاحمة تبني المستقبل، وتمسك بزمام أمرها، وتبدي استعدادها لمواصلة الكفاح إلى أن تتحقق السعادة للجميع.

وتتكون المجموعة الأخرى من النساء، اللاتي نراهن في حياتهن اليومية. فالمرأة تلمس مصاعب الحياة اليومية في هذه الفترة أكثر من غيرها، فضلا عن أنها لا تتمتع بحق الانتخاب، ولا تعرف القراءة والكتابة، وتعاني من البرد القاسي والبؤس، والفاقة، ونقص الخبز والصابون. كما أنها تخوض معركة حقيقية لكي توفر لأسرتها احتياجات الحياة الأساسية، بينما يحتكر البعض السلع الضرورية، ويضاربو ن بها. وفي «١٧٩٣»، نرى المرأة في المغسل، والكنيسة، وأمام المخبز، رمز كفاحها. وتقدم المسرحية صورا عديدة للمرأة: هذه حرمت من زوجها، وتلك تكسر الثلج في الشتاء لتتمكن من غسل الملابس، مصدر رزقها الوحيد.

وفي أحد المشاهد، نرى مجموعة من النسوة تتظاهر أمام محل أحد المحتكرين الذين يتاجرون بقوت الشعب، إلخ . . . . ولاشك أن آمال المرأة وآلامها، في هذه المسرحية، مختلفة عن آمال الرجل وآلامه. لكن تطلعاتها العميقة هي تطلعاته، ورغبتها في المعرفة والاتصال بالآخرين هي رغبته. دليل ذلك مثلا رغبة إحدى النساء في تعلم القراءة والكتابة لكي ترسل أخبارها إلى زوجها، في الجبهة.

وجدير بالذكر أن عرض «١٧٩٣» وجد الشكل الملائم له تدريجيا، أثناء البروفات، وأن هذا الشكل لم يصب في قالب موجود سلفا، فرض عليه فرضا. ويتمثل هذا الشكل أساسا في الكورس والسرد. والكورس مزدوج، في الواقع، إذ يوجد كورس الرجال، وكورس النساء. ويجتمع الاثنان أحيانا، في بعض المشاهد.

ويتكون عرض «١٧٩٣» من سلسلة من المشاهد واللوحات التي تجمع بين النص المنطوق، والحركة، والإيماء، والإضاءة، والألوان، إلخ. . والحدث الدرامي بطيء الإيقاع نسبيا. وسرده أو روايته هو الوسيط بين ممثلي «مسرح الشمس» والمتفرج. ولا يمكن القول بأن هذا السرد موضوعي وغير منحاز، لأن «مسرح الشمس» يعلن عن اختياره المظلومين والمقهورين والتحيز لهم.

وغالبا ما يتخذ هذا السرد شكل اللقاء بين الكورس وهذا الرسول أو ذاك، وقد يكون فرديا، أو يقوم به اثنان من الممثلين. هذا وتتضمن المسرحية أيضا مقتطفات من الصحف، وبعض الأغاني، وأحداثا تروى بالحركة والكلمة، كمحاكمة الملك، وتعليق النسوة على الأبناء في مشهد الكنيسة. وفي «١٧٩٣»، تختلط الأزمنة، الماضي والحاضر والمستقبل، وتتداخل، لأن الواقع مكون من لقائها. ولعل الحديث عن يوم العاشر من أغسطس أبلغ مثال لتكنيك السرد الذي يعتمد على اختلاف الأزمنة، ويتبادل فيه الرواة الأدوار. في هذا المشهد. يتولى أحد الرواة ـ المواطن الحداد ـ الحديث عن الاستعدادات والتدريب: فبعد أن تدرب على حمل السلاح واستعماله، هاهو ذا يدرب الآخرين عليه! ويتبعه راو آخر يتحدث عن صباح يوم العاشر من أغسطس، ولكن باعتباره حدثا ماضيا: مواجهة الحرس، ودخول القصر، والموتى، إلخ. . ويأتي راوٍ ثالث، لا يتحدث عن الأحداث ذاتها، وإنما عن نتائجها، ويذكر الخطر الذي يهدد حدود البلاد، ويروي كل هذا باعتباره ماضيا دخل تاريخ الإنسان.

وتتضمن المسرحية مشهدا رائعا تجدر الإشارة إليـه، مشهد المأدبة الوطنية، الذي يجتمع فيـه أعضاء الأقسام في ٢٣ أغسطس ١٧٩٣ قبـل أن يفترقوا. في هـذا المشهـد، يغنـي الجميـع نشيـدا يمتدحـون فيـه العقـل الـذي يلخـص عقيدتهم، ويـذكرون بعضـا من مـواد إعلان حقـوق الإنسان، ويشربـون فيه نخب الحرية، والإخاء، والمساواة. هكذا تبـدأ المأدبة، في جو من الفرح رغم شبح الموت، والفـرقة، والرحيـل، إلخ . . . وتسنـح الفرصة لـلإشادة بمارا، نصير المقهوريـن، وت. لوفرتير، محرر العبيد، والصبيـة الذين دفعـوا حياتهم ثمنا للدفاع عن الحرية.

لكن، أيـن الآمال في هذه المسيرة الطـويلة التي نقلتنـا من الماضي إلى الحاضر؟ تقول آ. منوشكين: «أردت أن يكون هذا العرض عرضا أشبه بالخيال العلمي، أي عرضا نرى فيـه الأخلاقيات الجماعية، والديمقراطية المبـاشرة، إلخ . . . فلقد أعد الناس في هـذه الفترة مشروعات رائعـة، وأرسوا حقـا أسس المجتمـع الجديد. ولم يذهب أحد بعد ذلك أبعد مما ذهبـوا إليه. فمشهد الكنيسة الذي تبنى فيه النسوة العالم الجديـد يعتبر لحظة من لحظـات الخيال العلمـي، في رأيي.»(١٤) . . . والكلمات التي تختتم بها المسرحيـة ـ وهي مأخـوذة من آخر كتاب ألفـه الفيلسوف كانت ـ تنفتح في الواقع على المستقبل.

واستغرق إعداد المسرحيـة شهورا طويلة. ويمكن أن نقـول إن تكنيك الإعداد كـان مشـابها لما كـان عليـه في «١٧٨٩». فهـو يعتمـد على كثـرة المعلـومـات، والارتجال، وخلق الشخصيات. كان اكتساب المعلومات أصعب وأكثر تعقيدا من ذي قبـل، تلقـى أعضـاء الفـرقـة دروســا في التـاريـخ، وقـرأوا كتبـا كثيرة عـن الثورةالفـرنسية، وكان عليهـم، بعد ذلـك، أن يسيطروا على هذه المادة التـاريخية ويفهموها، ويستخلصوا مادة التاريخ الحية مما وجدوه في الكتب. ولم تكن معرفة التاريـخ لتكفي لنقلـه إلى المسرح. وتمثلت الصعـوبة الكبرى في مطلـب مزدوج: خلق شخصيات الحيـاة اليومية، والكشف عن آليات التـاريخ، إذا جاز التعبير. وكان الارتجال أيضـا مختلفا عما كان عليـه في «١٧٨٩»، إذ كان ينطلق مـن بعض المواقـف والأحداث. بـالإضافـة إلى ذلك، كـان لابد مـن اكتشاف شكـل السرد المناسب. وكان الارتجال حرا في البداية، لكـن المخرجة وجهته شيئا فشيئا، إلى أن فهم أعضاء الفرقة أن على كل منهم أن يختـص بفرد معين. عندئذ، رسم كل ممثل

الشخصية التي يؤديها من خلال دراسته للتاريخ، وتجاربه، وأفكاره الشخصية، رسمها بكافة ملامحها، سنها، ووضعها الاجتماعي، واتجاهها السياسي.

والارتجال في «١٧٩٣» ارتجال جماعي يقوم به عشرة من الممثلين أو أكثر، ويقابل الرغبة في تأكيد الانتماء إلى الجماعة، وأبرز الإخراج سمة العرض الجماعية. وعن وظيفة آ. منوشكين، أثناء إعداد هذا العرض، نقول إنها كانت عنصرا محركا للعرض فحسب، وأن دورها اقتصر على التنسيق، مما أتاح للممثلين فرصة أكبر للإبداع، وزاد من إحساسهم بالمسئولية.

سؤال أخير: ألا تتسم مسرحيتا «١٧٨٩» و«١٧٩٢» بالتشاؤم؟ فالأولى تنتهي بمذبحة شان دي مارس، في حين تنتهي الثانية بموت الأقسام. لكن الفشل هنا فشل مؤقت، لأن عروض «مسرح الشمس» تشجع عامة على الكفاح من أجل المستقبل. فكل من المسرحيتين تدعو إلى الإخاء الإنساني، وتجعل من التاريخ مهمة تقع على عاتق الشعب مسئولية إنجازها.

وكان من الطبيعي أن تختلف الآراء حول المسرحيتين، لكن هذا الاختلاف ذاته أكبر دليل على قيمتهما. فلقد قال ب. دورت، على سبيل المثال، إن عرضهما كان فرصة متاحة للتفكير، وان المسرح تحول بهما إلى أداة للمعرفة، وأن «١٧٩٣» مرحلة في مسيرة «مسرح الشمس» نحو مسرح شعبي يقوم على التحالف بين الإحساس والفكر الانتقادي.[١٥]

ولم تكن «١٧٨٩» و«١٧٩٣» سوى مرحلة في مسيرة «مسرح الشمس» نحو الجدة والابتكار، ومسرح «آخر»، يعيد إلى أبي الفنون خصوصيته، ورونقه، وجمهوره.....

المترجم

الهوامش

(١) برناردورت "Théâtre en jeu", Editions du Seuil, 1979. p. 56

(٢) انظر، رومان رولان، "Le Théâtre du peuple" paris, Albin Michel, 1913

(٣) انظر E.Copfermann, "Le Théâtre populaire, pourquoi? paris, Maspéro, 1965

(٤) برنار دورت، "Théâtre en jeu"، ص ٤٩ ـ ٥٠ .

(٥) المرجع السابق، ص ٦٦ .

(٦) "Dictionnaire du Théâtre", paris, Editions Sociales, 1980, P. 412.

(٧) حديث أدلت به آريان منوشكين إلى مجلة L'Evénement في مايو ١٩٦٧ .

(٨) مقدمة نص مسرحية . ويسكر، «المطبخ»، في "L'Avant - Scéne", no 385, août 64.

(٩) حديث مع ف . مادرال في L'humanité, 6 mai 1969

(١٠) انظـــر M.L. el D. Bablet, "Le théâtre du Soleil ou la qûete du bonheur", CNRS - SERDAV, 1979, p.45

(١١) المرجع السابق، ص ٤٨ .

(١٢) انظـر نـص مسرحيـة «١٧٩٣»، في L'Avant - Scéne" Théâtre, no. 526 - 527, octobre 1973, p 41 - 42

(١٣) انظر M.L. et D. Bablet, "Le Théâtre du Soleil. ." p. 63

(١٤) المرجع السابق، ص ٦٨ .

(١٥) لمزيد من المعلومات عن تجربة «مسرح الشمس»، انظر R Monod et J C Penchenat, "La vie d'une troupe: le théâtre di soleil", in "le théâtre", Bordos, 1980, p. 210 - 226

التاريخ على خشبة المسرح

بقلم: برنار دورت

منذ قرابة ثلاثة سنوات أصبح مركز الإشعاع للمسرح الفرنسي هو ما يعرف باسم: «١٧٨٩ ـ ١٧٩٣» (مسرح الثورة الفرنسية). ولا يرجع هذا النجاح إلى كثرة عدد المترددين عليه فحسب أو إلى توفيق ذلك المسرح في اجتذاب جماهير المشاهدين إلى مكان كان من قبل أرضا مهجورة «لاكارتو شيري دي فنسن»، فأصبح بعدئذ بمثابة حاضنة نموذجية للمسارح، وكل ذلك في حد ذاته عمل خارق ولكن هذا التوفيق يرجع أيضا إلى الموضوع الذي اختاره وهو الثورة الفرنسية.
فمن المعروف أن المسرح الفرنسي يستشعر شيئا من الرهبة إزاء التاريخ بصفة عامة، ويخشى بخاصة تاريخ فرنسا، فمنذ عهد رومان رولان لم يحاول أحد إحياء تلك الحقبة الحاسمة من التاريخ، وهي حقبة مليئة بكل ما هو درامي في تاريخ أمتنا. إذا تعرض أحد الكتاب لتلك الثورة فإنما كان يمسها مسا خفيفا كما فعل آنوي على سبيل المثال في مسرحية «بيتوس المسكين». ولكن «مسرح الشمس» لم يتقهقر أمام تلك المهمة الضخمة فآثر أن يجعل الثورة الفرنسية لب أعماله الدرامية. وفي سبيل

ذلك لم يتعرض لحياة هذا البطل الثوري أو ذاك، وإنما اتضحت وجهة نظره منذ البداية: فالثورة الفرنسية هي التي تظهر على المسرح، وهي التي تبعث من جديد ويمثلها الشعب ذاته. وهكذا يبدو مسرح «١٧٨٩ ـ ١٧٩٣» كبديل لمسرحية «موت دانتون» لبوشنر (١٨٣٥) والتي مثلها فيلار لأول مرة بفرنسا على المسرح القومي الشعبي. وفي الوقت عينه يقدم لنا مسرح «١٧٨٩ ـ ١٧٩٣» مسرحا جديدا تماما ومختلفا كل الاختلاف عن مسرح الشخصيات الفردية التي تؤدي دور ها ووراءها خلفية شعبية، وهو يختلف كذلك عن المسرح الجماهيري الذي يحتل فيه الشعب مركز الصدارة ويمثل وحده شخصية ضخمة متشعبة كما كان المسرح الذي صار في العشرينيات من هذا القرن. أما هنا فالأمر مختلف تماما، إذ نرى أبناء الشعب يعيشون الحدث التاريخي على مستوى الحياة اليومية، وينغمر المشاهدون فيها انغمارا، وبهذا أصبح ما كان مجرد مسودة مشروع في «١٧٨٩»

أساسا لمسرح «١٧٩٣»، فيبدأ كل شيء من جماعة حي السوق، قسم موكنسي وينتهي إليها، فنرى الثورة أو على الأقل ثلاث سنوات منها ونعيشها خلال ذلك القسم (من ١٧٩٢ عندما نودي بسقوط الملك إلى أن صدر قانون الحد الأقصى للأسعار في ١٧٩٣ وهو آخر انتصار شعبي). وبعدأن يدعى المشاهدون في «١٧٨٩» إلى المشاركة في الاحتفال الذي يستعيد فيه الشعب رؤية ما عاشه وما فعله وما لم يفعله في سالف الأيام، يدفعون بعد ذلك إلى أن يكونوا من جماهير عهد الثورة، ويجري كل ذلك في مكان كان حتى الأمس القريب مكانا مهجورا فأصبح ملتقى للتمثيل ينصت فيه الناس ويستمعون ويحكمون على التاريخ الذي عاد إلى الحياة يوما بيوم على أيدي فصائل القسم الثوريين.

ولقد كان من الممكن أن يتعثر «مسرح الشمس» فبدلا من تخيل التاريخ الرسمي (والذي كان موضع انتقاد في اللوحات الحية لعام «١٧٨٩»، أو تمثيل الاستعراض الذي افتتح «١٧٩٣»)، بدلا من هذا لجأ ذلك المسرح إلى وضع آخر أكثر صحة على مستوى الحياة الشعبية فوضع مكان الثورة الفرنسية كما وردت في الكتب المدرسية تاريخا مضادا باسم الشعب. ولاشك أن مثل هذا الاتجاه موجود إلى حد ما في مسرح «١٧٨٩ ـ ١٧٩٣»، وهناك أحيانا اندماج بين المشاهدين والممثلين على أساس الحدث الذي يعاد إحياؤه ويشعر الناس به كأنهم يعيشونه. ولكن «مسرح الشمس» حرص على ألا ينساق في ذلك السبيل انسياقا تاما. فهو يستبعد تلك الخدعة بالوسيلة ذاتها التي أوشكت أن تكون أساسا له: أي بالتمثيل. فالممثلون لا يظهرون أبدا بهذه الشخصية الشعبية أو تلك حتى ولو كانت شخصية مجهولة، ولكنهم يستمرون في كونهم ممثلين من ممثلي أيامنا ويؤدون أدوار أناس عاشوا في عصر مضى عهده. ففي «١٧٨٩»، نرى مشخصين يقصون حكاية الثورة، وفي «١٧٩٣» نرى ثوريين متطرفين يحكون لبعضهم حكاية الثورة. وهناك دائما مسافة نشأت من البعد بين الممثل وعمله وتأتي دائما من الوهم المسرحي. فالمسألة إنما هي مسألة جماعة معاصرة، هي «مسرح الشمس»، الذي يمثل لمشاهدين معاصرين تاريخ الأمس، وهو تاريخ يحكونه وهم يمثلون أكثر مما يعيدون خلقه وتجسيده. وهكذا لا يصبح العرض فقط ـ وهو بسيط ومباشر في ظاهره ـ وسيلة للمتعة أو لهزة شعورية مشتركة وإنما يصبح فرصة للتفكر والتدبر ويتحول المسرح من وسيلة للتوهم والخيال إلى أداة للمعرفة، معرفة فعلية تتقدم

شيئا فشيئا، معرفة تعيش في المشهد ولكنهـا أبعد من أن تخمد بانتهائه. وربما كان هذا سبب مثالية «مسرح الشمس»، وسبب نجـاحه، فأصبح مصدر إشعاع. إنه يعلمنا بطـريقة ملمـوسة كيـف نتحدث في الحاضر عـن الماضي. وليس التـاريخ وحده في «١٧٨٩ ــ ١٧٩٣» هو موضـوع ذلك المسرح ولكنـه بالإضافـة إلى ذلك المحرك الفعال للتمثيل. إنه يبدو وفي نهاية المطاف وكأنه مهمة ينبغي على الشعب أن يكملها، فلابد أن يأتي يوم يستطيع فيـه الممثلون والمشاهدون أن يقولوا بحق في المسرح وفي غيره إن دنيا المسرح هي دنيانا هذه.

«١٧٨٩ ـ ١٧٩٣»

و«مسرح الشمس»

دور المخرج

هناك تطور كبير بين النهج التقليدي الـذي يتلخص في اختيار نص مكتوب ـ لأسبـاب سيكولـوجية ـ وبين اتجاه المخـرج مع ممثلين نحـو شيء مجهول ألا وهـو الإبداع الجماعي، وفي هـذا التطور الكبير يتحقق تطور جماعـة، ومن خلالها تغيّر مفهوم دور المخرج: ألا وهو إعادة النظر شيئا فشيئا في كل ما كان خليقا بالاختيار لبواعث شخصية، وترجح كفة الوعي الجماعي لطائفة لم يجمع بينها في البدء سوى الرغبة في العمـل المسرحي، ثم استطاعت بعـد سبع سنوات من وجودهـا أن ترنو بالكاد إلى أهداف أخرى.

في البداية، كان اختيـار مسرحية «صغار البورجوازيين» بعيدا عـن أية أسباب واضحة ويبدو لنا وكأنه فرصة لتسوية حسابات مع بعض شخصيات كنا نحملها داخل أنفسنـا. لذا بدا الإخراج وكـأنه يقدم رؤيـة تشيكوفية لعالم معـروف جيدا، ويكاد أن يكون مهجورا، أكثر مما يبـدو وكأنه حكم على هؤلاء المراهقين اليائسين المذبذبين. كانـت الوسائل تقليدية: قـراءات حول المائدة وتدريبات مـأخوذة عن ستانسلافسكي، وتوزيع العمل على البروفات. كـانت تجربتنا الوحيدة الهامة هي الشهر الذي عملنـا خلاله في أرديش. كـانت هذه أول تجربة لنـا في العمل والحياة معا مما أدى إلى صعوبـات في العلاقات بين ممثلين لم يتلقوا إعداداً كافيـا ومن ثـم لم يدركوا تماما مقتضيـات العمل المشترك. كان لابدّ من أن نشكل فـريقا واحدا عقد العزم على العمل لمدة طويلة إلى حد ما مما يفرض علينا أن نلتزم بنوع من الانضباط نخضع له جميعا.

وبـدت لنـا ضرورة ذلـك الإعـداد العميـق عنـدمـا مثلنـا مسرحيتنـا الثـانيـة «فراكاس». ومع هذا بقي نهج سيصبـح فيما بعد نقطة الانطلاق لتمثيل مسرحيتي «المهـرجـون» و«١٧٨٩» في المسرح المتنقل «وفي المسرح في المسرح»، وهـو نهج قـد لقيناه أيضا في مسرحية «حلم ليلة صيف». وظهر لنـا أنه لابد من أن يدرس أحدنا

ـ وهي المخرجة آريـان ـ دراسة مسرحيـة منتظمة وهـو شيء كنا في حاجـة إليه في عملنا، وكـان يتعين عليها أيضا أن تعلمنا مـا تعلمته وخلال السنة التـي انقضت بين مسرحيتي «فـراكاس» «والمطبخ» أصبحـت الفرقة تضـم قرابة ثـلاثين شخصاً يعملون نهارا لكسب عيشهم، وكـان على المخرجـة آريـــان منوشكين أن تعلمهم مـا تلقتـه في دروس جـاك ليكـوك، . فـالممثلــون يـأخـذون دروسـا في الألعـاب البهلوانية، ويتعلمون كيف يستخدمون صـوتهم، ويغنون، ويرتجلون خاصة. في مسرحية «المطبخ»، وكان الحيز الذي أفرد للارتجال كبيرا، سواء على مستوى الحركة أم على مستوى الشخصيات التي رسمها أرنولد ويسكر والتي كان على كل ممثل أن يوضحها. وأخذ دور المخرج يتطور، ولم يأت التوزيع النهائي للأدوار إلا بعد شهر أو شهرين من بداية البروفات إذ كان كل ممثل يتدرب على كل الأدوار قبل أن يتخذ المخرج قراره النهائي.

وبعد نجـاح مسرحية «المطبخ»، اجتزنـا مرحلة أخرى: تـرك الممثلون أعمالهم التي يتعيشون منها واستطاعوا أن يكرسوا كل وقتهم لمهنة التمثيل.

واتفق هذا أيضا مـع لقائنا بمكان بعينه هو سيرك مونمارتـر، الذي مكّننا من العمـل الإبداعـي المنظـم. ومع تمثيـل «حلـم ليلـة صيف»، كـانـت مواجهـة المجموعة والمخرج للريبرتوار. وتوقف العـرض في يونيو ١٩٦٨، عندما أخذ منا المكان. وانتظارا للعودة، أعارنا المجلس العام لمقاطعة «لي دو» ملاحات «آرك اي سينون». وفي هذا المكـان الذي فكر فيه «ليـدو» أصلا وصممه من أجـل الحياة الجماعية، أتيحت لنـا فرصة الرجوع إلى أنفسنا، بعـد النجاح «الباريسي» الكبير الذي أحرزته مسرحيتـا «المطبخ» والحلم»، وفرصة العمل مـرة أخرى بلا هدف محدد، اللهم إلا التقدم في معرفتنا لمهنتنا. وكانـت هذه أول تجاربنا الطويلة لحياة الجماعة. واكتشفنا خلالها معا مسرحيـات المسرح الاليزابيثي، والمسرح الفرنسي، والمسرح الـروسي، في الـوقـت الـذي كنـا نختبر أنفسنـا فيـه في تكنيـك القنـاع و«الكوميديـا دي لارتي». وذات مساء قررنا تقـديم عرض مرتجل بنـاء على طلب سكـان المنطقة. وأقمنـا المنصـات في المكان الـواسـع المتمثـل في مصنع الملـح، وأضأنـاه بالشموع، وارتجل الممثلون أدوارهـم انطلاقا من بعـض الخطط. وربما تنبأنا في هـذا العرض بمسرحية «١٧٨٩». المخرج يلاحـظ، وينصت، ولــم لا نجرب عرضـا يستخدم تكنيك الارتجال بكل أنـواعه انطلاقا مـن شخصيات الميثولوجيا الشعبية، أمثال ارلكان، وبيكاسين، والمهرجين؟

وبحثت الفرقة كلها عن «مهرجها» ولأول مرة، وجد الممثلون أنفسهم أمام أكبر قدر من الحرية. لا يفرض أي موضوع عليهم. وشغلهم الشاغل هو البحث عن شكل معين، أبسط الأشكال وأكثرها مباشرة. وداخل هذا الشكل، تنبثق أكثر الموضوعات تباينا. ولفترة تزيد على الأربعة شهور، تخلى المخرج عن دوره التقليدي، لا يفرض شيئا، وإنما يبتلع ويهضم مئات الارتجالات التي يقدمها الممثلون لأول متفرج، وأصبح المخرج أول متفرج. وبسرعة فائقة، أحست آريان بتطور دورها، حتى قبل أن يلاحظ الممثلون ذلك. وللضرورة القصوى، قد تتمثل وظيفتها في أن تقول «لا للذين يضلون وتغيب عنهم متطلبات العرض: الإضحاك، والتهريج، والوضوح. وتراجع دورها لدرجة أن البعض ظن أن وظيفتها قد ألغيت تماما. وفي الواقع أدرك الجميع بسرعة أن هذه التجربة تفضي، في خط موازلها، إلى تطور جذري لدور الممثلين في إعداد العرض. ويرفض البعض الإبداع، أيا كان: فالممثل ليس مؤلفا، إنه مجرد مؤد، ولكل واحد مهنته، أما المخرج والآخرون، فاكتشفوا إمكانية الخلق الجماعي. وبعد هذه المرحلة الهامة التي استفاد منها الجميع، قررت الفرقة مؤقتا عدم الالتجاء إلى أي نص مكتوب باستمرارها في تجربة «المهرجين» وقد جعلنا هذا نتخلى عن بعض المشروعات، مثل مسرحية برخت «بعل» أو «مشاهد صيد في بافاريا».

وكان لابد من وضع الشكل الواضح المباشر الذي اقتربنا منه بمسرحية «المهرجين» في خدمة مضمون مشترك بين المتفرجين والممثلين. وفكرنا في البداية في عرض قائم على القصص الشعبي، لكن سرعان ما اتضح لنا أن مضمونها يرتبط اليوم أكثر وأكثر بظاهرة أدبية لا تتفق وزماننا. عندئذ، رأينا أن التراث الوحيد الذي يشترك فيه كل الفرنسيين هو تاريخ فرنسا، حتى لو كان مشوها. ومعه ثورة ١٧٨٩ التي هي أصل مجتمعنا الحالي.

والبحث الذي قمنا به حول مسرحية «١٧٨٩»، بدأ من معطيات عديدة محددة: معرفة الأحداث من خلال دروس التاريخ التي تلقيها اليزابيث بريسون، وقراءات فردية، وعرض أفلام في المكتبة السينمائية ولكن، بما أن الأمر يتعلق بشخصيات تاريخية، كان لابد أن نتجنب الوقوع في شراك التوحد الذاتي بالنسبة للممثل والمتفرج على حد سواء. عندئذ، قدمت آريان فكرة البداية: يمثل «مسرح الشمس» عرضا يقدمه ممثلو عام ١٧٨٩، ويجب أن يتمكن هؤلاء، في كل لحظة، من إبداء رأيهم في الشخصية التي يجسدونها. وتطلب هذا العرض المتغير

خلقا جماعيا حقا، يميل حتما إلى تغيير دور آريان التي أخرجت العروض السابقة، وتوجيهه إلى سبيل بدأت تسير فيه عندما أعدت «المهرجين».

ومن الآن فصاعدا، صار الأمر متعلقا بالإحساس والحدس أكثر من فرض شيء ما. كان علينا أن نكون متفرجين يقظين، كأولئك الذين شهدوا «المهرجين» من قبل. ولكن، كان لابد أيضا من الإخلاص للقراءة السياسية للأحداث، واختيار النصوص التاريخية الهامة، وربط لحظات الارتجال بعضها ببعض، وأخيرا، العمل على استكمال ما بدأه الممثلون أحيانا في أبحاثهم.

رسم خشبة المسرح

مع مسرحية «١٧٨٩» استطعنا أن نتبع لأول مرة طريقة واحدة بالنسبة للتكنيك اللازم لإعداد العرض - على سبيل المثال - تركنا للممثلين - على مستوى الارتجال - أكبر قدر ممكن من الحرية وظلت قابليتهم كاملة. كذلك، لم نتخيل مسبقا عمل الفريق الفني المكلف بإعداد الديكور، أو فريق «الملابس» أو الإضاءة، لكن هذا العمل كان يتطور كلما كنا نجري البروفات.

فكرنا أصلا في تكيف أجزاء الديكور مع أبعاد ملعب كرة سلة. وبما أن الفرقة كانت لا تملك مكانا ثابتا للعرض، خيل إلينا أن مطلبا كهذا قد ييسر العرض أثناء قيامنا بجولتنا. ففي كل مدينة ملعب كرة سلة. والنظر إلى هذه الرياضة الجماعية على أنها عرض تصبح فيه الأفعال الفردية أفعالا هامة أوجد صيغة لها قوانينها المشروعة ويتفق مع عرض «١٧٨٩» وقدم ملعب كرة السلة.

للممثلين مكانا يلائم الحركات الجماعية، في حين تمكن المشاهدون من رؤية كل فعل فردي. فضلا عن أننا وجدنا مرة أخرى في العلاقة بين الدرج والمساحة المركزية والمنصات شيئا يعادل، بطريقة ما، علاقات المسرح الذي نجده في ميادين المدن ذات الأسواق، وعلى سبيل المثال، في مدينة كبريه، كان الممثلون يستقرون في ميدان السوق ليمثلوا أمام الشعب، في الوقت الذي يمكن رؤيتهم فيه من نوافذ البيوت البورجوازية.

ولأول مرة، استطعنا أن نصمم، أثناء البروفات الأولى التي أجريناها في «ملاعب الرياضة» - التي تقع عند «باب فرساي» - ماكيت بالحجم الطبيعي أتاح لنا تجربة الموضوعات المختلفة: الارتفاع الأمثل للمنصات بالنسبة للمتفرجين الواقفين، وعدد أماكن العرض، والسبيل إلى ربط بعضها بالبعض الآخر.

بعد تصميم الماكيت واستخدام الممثلين لها، بنيت المنصات التي صنعناها في البداية بمواد مؤقتة، وفقا لتكنيك بدائي، ووفقا لتصميمات عمال ذلك العصر والوسائل التي استخدموها. أي أن بعضها كان مثبتا في البعض الآخر بقطع من الخشب.

وكذلك الأمر بالنسبة للملابس، لم يتمثل عمل مصمميها في صنع ماكيتات تقليدية مأخوذة عن وثائق ذلك العصر من أول بروفة، وجد الممثلون تحت تصرفهم كمية من الملابس، ملابس العروض السابقة، وملابس اشتريناها من تجار الملابس القديمة، أو أخذناها من الأفلام والكوميدي فرانسيز. كان الممثلون يأخذون منها ما يشاءون، حسب هواهم، وما يحتاجون إليه، حسب ما ترتديه الشخصيات المرتجلة. كانوا «يتنكرون» كما يفعل الأطفال الذين يمثلون أدوار القراصنة. وكان عمل مصمم الماكيت يتمثل عندئذ في استخدام الأشكال، والألوان، والمواد التي يوحي بها الممثلون لكي يستقروا على الملابس نهائيا. وجميعها تقريبا كان يصمم من جديد أو تعاد حياكته.

واتبع مبدأ الإضاءة نفس الطريقة. فبعد أن حاولنا أن نضيء «المستويات» بواسطة الكشافات، أدركنا أن ما يجري حول أماكن التمثيل، سواء ناحية المتفرجين أو ناحية الممثلين، لا ينبغي أن يكتنفه الظلام، بل إن إظلامه فيه تناقض ولذا انتهى الأمر بنا إلى وضع «مستوى من الأضواء» مكون من مصابيح وآلات توزيع للضوء يتحكم فيها جهاز يمكن من التلاعب بقوة هذه المصابيح أو تلك الآلات. وبالتالي، يمكن إضاءة أحد البلاتوهات قليلا أو كثيرا دون عزله، لأن توزيع الضوء يمكن من ربطه بأجزاء الديكور. فنحن لا نستخدم الكشافات إلا في المشاهد «المسرحية» بمعنى الكلمة مثل «ليلة الرابع من أغسطس». ومن الواضح أن هذا الاختيار لا يساعد كثيرا على إلقاء الضوء على الممثلين، مهما كانت إمكانية تقوية الضوء. لذا، استخدمنا أربعة كشافات تتابع كل الشخصيات.

«١٧٩٣» مكان التمثيل

وعلى عكس ما قمنا به من تمثيل مسرحية «١٧٨٩»، قمنا بتمثيل مسرحية «١٧٩٣»، في «لاكرنوشري» وكان الاهتمام الأول الذي لابد منه هو التوصل إلى الوسائل التي جعلت جماهير الشعب تتصرف بطريقة معينة في «١٧٩٣» لاستيلائها على السلطة وفي أسلوب تحدثها إلى الناس إذ كانت اجتماعات الأحياء تعقد أغلب

الأحيان في الكنائس أو في المباني الكنسية القديمة التي لم تعد ـ لفترة معينة ـ دورا للعبادة أو التعليم فحسب. كانت هذه المباني تتحول عندئذ إلى أماكن تتركز فيها كل قدرات الخيال والإبداع، والتواصل، والاخوة من أجل الثورة.

كان الأمر يتعلق إذن بالعودة إلى الطريقة التي استخدم بها المكان من قبل لعرض المسرحية ومن ثم التزمنا بهذين الشرطين:

ـ جعل الواقع محسوسا.

ـ جعله ممكنا.

كان علينا إذن، ألا نصنع ديكورا بمعنى الكلمة، وإنما علينا أن نهيىء بالأحرى مسرح «لاكرتوشري» بحيث يظل متجانسا مع معمار المكان، وبحيث يشير إلى التاريخ، مادام هذا التاريخ هو ما نرويه، معتمدين على الصور العديدة الخاصة بتلك الفترة. عندما نظم شعب باريس نفسه في شكل فصائل وجمعيات متآخية، كان عليه بلاشك أن يهيىء أماكن اجتماعاته بطريقة فعالة: منصات، موائد، ممرات ضيقة، إلخ..

في البداية، كان علينا أن نستخدم القاعة كلها. لكن، عندما تطور العرض وأصبح يتركز حول أداء الممثلين في أماكن أكثر انغلاقا، رأينا أنه من الأفضل استخدام جناح واحد فقط من «لاكرتوشري» ـ للفصيلة ـ واستخدام الجناح الآخر للاستعراض الذي يستغرق الاثني عشرة دقيقة الأولى من العرض.

واستخدام الخشب في بناء الموائد وأماكن جلوس المتفرجين تم بطريقة «صناعية»، إذا جاز التعبير، مختلفة عن تلك التي صنعنا بها منصات «١٧٨٩» ـ كنا قد استخدمنا في صنعها أدوات تلك الفترة ـ لأن حجم العمل كان أكبر بكثير، كان يمكن أن نصمم أماكن جلوس المتفرجين بطريقة مختلفة، وأن نصنعها من مواد أخرى، لكننا بنيناها من الخشب، حرصا على اقترابنا من الواقع التاريخي، وهذه المنصات على مستويين أفقيين يحملان المتفرجين ويمكنانهم من المرور بسهولة. كان من الممكن اختيار أشكال أقل حركة وأكثر ثباتا، نوعا من الدرج مثلا، كذلك الذي كان موجودا في قاعات الاجتماعات في تلك الفترة. لكننا اخترنا هذا الشكل من أجل الجمهور، وكلمة ممرات ضيقة تشير إلى ذلك. والموائد الثلاث التي يتركز حولها أداء أعضاء الفصائل نابعة من المنطق الخاص بإعادة بناء مكان الاجتماع.

وعملية التعاون مع الإخراج كانت مختلفة إلى حد ما عما كانت عليه في مسرحية «١٧٨٩». ففي هذه الأخيرة، نجد شكلا موجودا سلفا، متمثلا في الممثلين، مع رجوع واضح إلى العصور الوسطى. أما في مسرحية «١٧٩٣»، فكان عمل الفريق الفني مبكرا إلى حد ما ـ وربما كان ذلك نظرا للوقت اللازم للتصنيع، لدرجة أننا أحسسنا أننا ذاهبون إلى المجهول، إذ لم نكن قد عثرنا بعد على الشكل النهائي للعرض. فصنعت وحدة تناسب أي عنصر من عناصر المكان الذي يجلس فيه المتفرجون، وقدمت للممثلين في فترة مبكرة إلى حد ما، لكي تبدأ البروفات مع وجود هذه الوحدة والمائدة التي اختيرت في النهاية. لكن، من المؤسف إلى حد ما ألا يكون هذا النموذج قد تحسن حقا أثناء استخدام الممثلين له.

في بداية البروفات، كان على الأرضية أن تكون أرضية بلاط في كنيسة. فصنعنا عدة ماكيتات لبلاط من الأسمنت الملون. لكن تصور الأرضية على هذا النحو ويفترض أن أعضاء الفصائل وجدوا هذه الأرضية عندما استخدموا المكان، واضطررنا إلى التخلي عن هذه الفكرة لأسباب مالية، وفنية وجغرافية، لأن الأرضية البلاط لا يمكن أن تفهم إلا إذا كانت الفصيلة قد استخدمت القاعة كلها. لذا، انتهينا إلى بناء أرضية في جناح الفصيلة، وهذا أكثر مطابقة لضرورة تهيئة المكان.

«١٧٩٣» الإضاءة

كان مبدأ الإضاءة صورة طبق الأصل من مبدأ استخدام «لاكرتوشري» وانصب اختيارنا في البداية على الكوات الزجاجية. إما أن نلغيها، وإما أن نضيئها. في الواقع، كنا نريد إبرازها منذ العام الماضي، أي منذ اليوم الذي اضطررنا فيه إلى خفض الإضاءة لعرض «١٧٨٩» في حفلات الصباح. كنا قد وضعنا غطاء على الكوات الزجاجية، وأدركنا أن النتيجة مرضية للغاية: لعب الأضواء والظلال ضوء الشمس والنهار. . .

ومكننا هذا من استخدام «لاكرتوشري» لا كمأوى فحسب وإنما أيضا كمكان نبعث فيه الحياة، ونشرك جدرانه في التمثيل. لم يكن هذا ممكنا بالإضاءة التقليدية، إضاءة «المسرح» منذ بداية مارس ١٩٧١، أثناء تقديم «١٧٨٩»، بدأ واحد منا في جمع المعلومات، ولقاء المتخصصين والقيام بأبحاث نظرية عن الضوء. واهتم أربعة أشخاص منا بقضايا الإضاءة هذه فيما بعد، ومن الواضح تماما أن قيام شخص واحد بالعمل لا يمكن أن ينتهي إلى شيء.

الضوء الصناعي المستخدم في المسرح، أي الضوء الصادر عن كشافات، ضوء وهاج يميل إلى الاحمرار. وبعد عديد من المقارنات، والملاحظات، والقياسات، أدركنا أن الضوء الذي يأتي عبر الكوّات الزجاجية أكثر ميلا إلى الزرقة، في حين أن الضوء الداخل من النوافذ هو أشعة الشمس، وتنتمي هذه الأشعة إلى مجموعة الضوء الأحمر، وهي قريبة من الضوء الوهاج الذي تعطيه الكشافات.

ولكي نتوصل إلى بعث ضوء النهار القادم من الكوّات الزجاجية، وأشعة الشمس اضطررنا إلى استخدام نوعين من الإضاءة: أحدهما تقليدي، وهو الكشافات التي تعطي ضوءا منتظما بحزمة محددة للغاية، والآخر مكون من أنابيب فلورستين تعطي ضوءاً أبيض تقريبا، قريبا جدا من ضوء النهار حتى إذا قلت قوته. وكانت أهم عقبة هي الحصول على تدرج لهذا الضوء. فهو يستخدم أحيانا في المسرح (لإضاءة الأماكن الدائرية خاصة)، لكنه لا يستخدم أبدا على هذا المستوى، وعلى حد معرفتنا، لم يستخدم أبدا مع أجهزة تدريج (يوجد في متحف اللوفر جهاز يجعل اللوحات لا تتأثر كثيرا بالتغيير المفاجىء للضوء الطبيعي). وكان لابد من إخفاء مصادر الضوء، بالنسبة لهذين النوعين من الإضاءة. لابد ألا يرى شيء، ولا حتى سلك واحد. فوضعت الأنابيب فوق الدعامات الحديدية التي تتحمل الزجاج بالضبط، وأخفيت الكشافات التي جمعت حول النوافذ، في الخارج. وبالنسبة للنوافذ، استخدمنا الزجاج المطبوع. فهو الذي يفقد أدنى قدر من الضوء بالنسبة للانتشار. وعلى الرغم من كل هذا، لم نتمكن من الحصول على حزم ضيقة من الضوء تماثل أشعة الشمس.

على الإضاءة أن تبرز مشروع الإخراج. وعليها أن تؤكد الطابع التجريدي لكل ما يحدث في الفصيلة. عليها أن تحدد المشاهد وتلتصق بالسرد. فهي تمكن من تأكيد مرور الزمن« زمن الأحداث»، وتتحكم في أداء الممثلين الذين لم يعتادوا رؤية الجمهور بوضوح، كانت هذه الرؤية شيئا جديدا بالنسبة لهم، وكان من المستحيل أن يسمحوا لأنفسهم بأي تراخ، ويسير الضوء الخافت الذي يسقط من الثر يات في نفس الاتجاه. وعلى عكس ذلك، ظلت الإضاءة تقليدية أثناء الاستعراض الذي يربط مسرحية «١٧٩٣» بمسرحية «١٧٨٩»، إذا كان عليها أن تؤكد الطابع المسرحي لتقديم النبلاء، وهي تستخدم أربعة كشافات متنقلة تسمح بتتبع الممثلين، والأضواء التقليدية المثبتة في مقدمة المسرح.

«١٧٩٣» الملابس

تفترض عملية الإبداع الجماعي أن تكون الملابس في خط مواز لعمل الممثلين بمعنى الكلمة. كان مبدأ الإبداع هنا هو نفس مبدأ «١٧٨٩» لكن القيود كانت أكثر. فبما أن الأمر يتعلق بأعضاء الفصائل، لابد أن تكون الملابس أقرب إلى الحياة اليومية، وهي تترك لنا قدرا من الحرية أقل من ذلك الذي تركته لنا ملابس الممثلين في «١٧٨٩». من المفيد أن نصنع الماكيتات، لكنها تتطور بنفس الطريقة التي يتطور بها العمل، كلما تركزت فكرة الإخراج، والممثلين، وفكرتنا عن الملابس. كان عملنا يتمثل، بكل بساطة، في أن تعبّر الملابس عما يفعله الممثلون.

في نهاية المطاف، تصبح الملابس مناسبة إذا كانت لا ترى. وفي العرض، يرتدي أعضاء الفصائل ملابسهم اليومية التي يرتدونها في كافة المناسبات. لذا كان من الأهمية بمكان أن يرتدي الممثلون ملابسهم طوال الشهرين اللذين استمرت فيهما البروفات، وهكذا اتخذت الملابس شكلا حقيقيا. والفرق بين المهن يجب أن يكون محسوسا، دون أن نتزلق إلى الزي الحرفي النفسي: فالخادمة لا ترتدي ملابس بائعة الخضر أو صاحبة الحانوت، وهنا يمكن التلاعب بالتفاصيل: القبعات ــ وزينتها قليلة أو كثيرة ـ والفوط مثلا، وقماشها قليل الخشونة أو خشن جدا. والوثائق المصورة أساسية، إذا استخدمت دون أن تؤدي إلى شكل تاريخي بدائي إلى حد ما.

بالنسبة للتنفيذ، حددنا تقريبا شكل كل شخصية، من الناحية التاريخية ومن وجهة نظر الشخصيات. ثم ذهبنا إلى متحف الأزياء التاريخية، حيث استطعنا أن نرى ملابس ترجع إلى تلك الفترة (وأغلبها ملابس بورجوازية، لأن الملابس الشعبية اختفت) لكن، بما أننا نعرف أن الموديل هو هو (كان البورجوازيون يبيعون ملابسهم لتجار الملابس القديمة، وكان أبناء الشعب يشترونها، ويجردونها من زينتها الغالية) نقلنا بعض الباترونات.

لكن، كان بين أبناء الشعب كثيرون قدموا من الريف، ويرتدون ملابس أكثر خشونة، لم تتغير عمليا من حيث التفصيل من القرن السابع عشر حتى نهاية القرن التاسع عشر. كانت هذه العناصر كلها ضرورية، لكن ولابد أن تخضع للهدف الأول لمتطلبات العرض ألا وهو اكتشاف الشخصيات. وهكذا تساهم الملابس في خلق جو الفصيلة ثانية. شأنها في ذلك شأن عناصر العمل الأخرى.

«المسرح من الألف إلى الياء»

بول ـ لوي مينيون

آريان منوشكين

ولدت في بولوني ـ سور ـ سين، في ٣ مارس ١٩٣٩.

كان والـدها ـ مـن أصل ر وسي ـ منتجا سينمائيـا. لذا أتيحت لها وهـي طفلة فـرصة اكتشـاف عالم العـرض بزيـاراتها لبلاتـوهات السينما. لكـن يبدو أن هـذه الصلات لم تساعد إلا على زيادة نهمها كمشاهدة للأفلام.

حصلت على البكـالوريـا، وبدأت دراسـات عليا في التحليـل النفسي انتهت بها، بعد فترة قضتها في انجلترا في إحدى مدارس اكسفـورد، إلى المشاركة في نشاط مسرحي للهواة وكلمة «هواة» توضح هذا، لكن لا سبيل إلى مقارنتهم بما كان عليه المسرح الجامعي في فرنسا آنذاك. كان للعمل قيمـة الاحتراف تقريبا، نظرا لظروفه وجودته، فضلا عن أن من يديرونه كانوا في أغلب الأحيان من المحترفين.

ولقـد قـالـت: «قمـت بدور صـامـت في إحـدى مسرحيـات ك. ايشروود، «أناكاميرا»، وعملت بخاصة كمسـاعد مخرج لمسرحية شكسبير «كوربولون». وفي الحال، أحسست بالطابـع الحرفي للمسرح، وأردت أن أخلص له دائما فيما اخترته فيما بعد، أثناء ممارستي لهذه المهنة».

وعـادت مـن انجلترا، وقـررت أن تهب نفسهـا للمسرح، وأسسـت فـرقـة مسرحيـة جامعية ATEP (الجمعية المسرحية لطلبة باريس)، وطلبت من روجيه بلانشون أن تكون تحت رعايتـه. وبعد مسرحية «عـرس الدم» التي أخـرجها أحد زمـلائها، تولـت إخراج مسرحية لهنـري بوشو، «جنيكـزخان» (١٩٦١) على مسرح «آريـن دي لوتيس»، مـع ما يقرب مـن أربعين ممثلا وتقول: بعـد ذلك بقليل تركـت في آن واحد الدراسـة «والجمعية المسرحية لطلبة باريس» وخيل إلي أنه لابد من أن أوقف حياتي على التمثيل.

وكان عليها أن تنتظـر حتى عام ١٩٦٤ لكي تجمـع اثنين ممن زاملوها في البـداية، ومن ثلاثتهم تكونت نواة «مسرح الشمس» الـذي تأسس في شكل جمعية تعاونية «كنا نريد اسما جميلا ـ لا اسما مختصرا ـ اسما يدل حقا على ما يمثله المسرح بالنسبة لنا».

ولعـدة سنـوات، دخلت العـروض التـي أخـرجـوهـا ضمن نشـاط المسـارح الباريسية، لكن «مسرح الشمس» ظل فرقة هـواة، يعمل كل فرد فيها أثناء النهار ليكسب قوت يومه، ولا يتفرغ للبروفات إلا في المساء.

شغلت مسرحية جوركي «صغار البورجوازيين» موسم ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥، وقضى الممثلون شهرا معا في مقاطعة آرديش. وكانت أول تجربة لهم في مجال الحياة الاجتماعية. وقدمت العروض في قاعة بيت الشباب والثقافة ـ باب مونتروي ـ ثم على مسرح موفتار، ومنذ البداية لفتت أنظار المتخصصين وجمعت حولها الجماهير.

وهي تقول: كانت مسرحية «صغار البورجوازيين» ـ التي اقتبسها آرتور آداموف ـ قد استهوتنا بجوها والقضايا التي تثيرها. كنا نتعرف على أنفسنا في الشخصيات.

بالنسبة «للكابتن فراكاس»، كان واحد منا، فيليب ليوتار، قد أعدها عن رواية لتيوفيل جوتييه، ومثلناها على مسرح «ريكامييه». وفي بداية عام ١٩٦٦، بدأنا بحثا لم يؤد إلى نتيجة حقا إلا في مسرحية «١٧٨٩»: العمل كفريق، والاقتراب من مسرح المنصات والالتجاء إلى مادة يعرفها المتفرجون من خلال الرواية الشعبية. كان أهم شيء بلا شك هو إعداد أسلوب معين للأداء. كنا نجد هنا طريقة معينة للحديث عن المسرح وتقديم هذا المسرح كما كنا نراه نحن.

ومع هذا، أحسّوا بحدود التكنيك، وتابعت آريان منوشكين، لمدة عام دروس جاك ليكوك. ونقلت لزملائها ما تعلمته فيها: وضع الصوت، والغناء، والاكروبات، والارتجال، وطبّق كل هذا في مسرحية أرنولد ويسكر «المطبخ» (١٩٦٧)، حيث تتطلب الحياة في أحد المطاعم أداء دقيقا للحركات اليومية وغيابا للاكسسوارات وفقا لرغبة المؤلف.

«كنا نريد أن نتناول نصا حديثا. وأيقنت، منذ البداية، أن على الجمهور أن يسيطر على خشبة المسرح. لكن عملنا في هذا الاتجاه لم يتضح إلا عندما تأكدنا من حصولنا على سيرك ميدرانو. واستطعنا أن نهتم بالتفكير في قضايا الحركة والإيقاع».

وأخذ دور آريان كمخرجة يتطور. وهذا ما لاحظه اثنان من الفريق، صوفي ليماسون وج. ك. بنشوناه: «لم يأت التوزيع النهائي إلا بعد بداية البروفات بشهر أو شهرين. كان كل واحد منا يتدرب على كل الأدوار قبل أن يتخذ المخرج قراره النهائي».

وفي عام ١٩٦٨ أرادت آريان أن تخرج على سيرك ميدرانو مسرحية شكسبير «حلم ليلة صيف»، وأعدّ ب. ليوتار النص:

«واسترجعنا «المسرح داخل المسرح» ورجعنا إلى طريقة معينة لاستعادة الطفولة واللامبالاة، مع ما يمكن أن يشتمل عليه ذلك من إثارة وفساد.

واضطرت آريان أن تتخلى عن مشروع إخراج مسرحية برخت «بعل» لنقص الإمكانيات. «كنت لا أتصور أن نظل نتنقل إلى الأبد من مسرحية إلى أخرى. كنا قد

قرأنا نصوصا كثيرة، ولم نتوقف عند واحد منها. وفي سعينا إلى اكتشاف مسرح جديد، فكرنا في تنظيم عرض ينطلق من بعض الأنماط الشعبية، المهرجين أو بيكاسين. واستقر رأينا على المهرجين. واقترحت على الفريق خيطا بمثابة الدليل الهادي، خيطا بسيطا كان على كل منا أن يجد أسلوب المهرج الخاص أثناء التدريب والارتجال الذي كنا نقوم به. ثم تطور الخلق تطورا جماعيا خاضعا في ذلك لحوار الممثلين والمخرج الذي أصبح بالنسبة لهم عبارة عن نظرة، نظرة المشاهد الذي يرى كل ما يأتي به كل واحد ويساعده على الارتجال، وعلى تحديد أنسب زمان ومكان لإبراز ما يبدعه.

إنه شيء أشبه بكرة تلقى وترد: يعطي ارتجال أحد الممثلين للمخرج فكرة يحولها المخرج، الخ... والممثلون مدفوعون بنواياهم وإرادتهم. وعلى المخرج أن يسجل ما يقومون به في رؤية شاملة لا ينبغي أن تكون رؤيته وحده. فنوايا كل فرد هي التي يجب أن تحدد هذه الرؤية باستمرار: ثم تسجل النصوص وتكتب ولا تحتفظ الفرقة من ارتجال استمر ساعة كاملة إلا بخمس دقائق...

وبعد مسرحية «المهرجين» التي ألفت ومثلت عام ١٩٦٩ على مسرح بلدة قريبة من باريس ثم في مهرجان أفنيون، جاءت مسرحيتا «١٧٨٩، ١٧٩٣» اللتان قامتا على دراسة متعمقة لنصوص تاريخية بمثابة تأكيد لهذا البحث الجديد ولهذه التقنية المبتكرة.

«وحان الوقت لكي نتساءل أكثر وأكثر عن مضمون ما نرويه. كنا نريد أن يكون المضمون مشتركا بين الممثلين والمتفرجين. ورأينا أن تاريخ فرنسا، والتاريخ الذي كان نقطة بداية مجتمعنا، أي ثورة ١٧٨٩، يتفق مع هذا المطلب».

ورأت آريان منوشكين أن تجعل من العرض عرضاً يقدمه ممثلون عاشوا عام ١٧٨٩، قد يبدون رأيهم في الشخصيات التي يمثلونها. واحتاجوا إلى أمسيتين لمعالجة هذا الموضوع. وهكذا كانت «١٧٨٩»: «يجب أن تتوقف الثورة عندما تحقق السعادة للناس، سان جوست». ثم كانت «١٧٩٣»: «المدينة الثورية في عالمنا هذا». وأخرجت احداهما على «البيكولوتيا ترودي ميلانو» عام ١٩٧٠ ثم على مسرح «لاكرتو شري دي فنسن». وأخرجت الأخرى عام ١٩٧٢ على مسرح «لاكرتو شري دي فنسن» وهو مخزن مهجو ر أعهده مسرح الشمس».

بول لوي مينيون

«١٧٨٩»

«على الثورة أن تتوقف عندما تحقق السعادة للناس»

سان جوست

(تحدد خمسة أماكن للتمثيل مرتفعة إلى حد ما، وتربط بينها بعض الممرات، وهناك ردهة يدعى فيها المتفرجون إلى التنقل كما يشاؤون واقفين، بينما يستطيع المتفرجون الذين ينشدون مزيدا من الراحة الجلوس على درج أعد لهذا الغرض خارج نطاق هذا المكان المسرحي المستطيل).

الراوي : كان يا ما كان في سالف العصر والأوان، في بلد نسيتموه، ملك مريض أرهقته الآلام. انظروا إليه! . . . .

(يصعد الملك بمشقة إلى المنصة، وهو متكىء على عكاز. عزف موسيقى ج. ب. لولي. يقف الراوي أسفل المنصة ويتكلم في الميكروفون).

عندما أحس هذا الملك المسكين أنه مشرف على الموت، استدعى رعاياه. فجاءوا بذكر الإوز أولا. (يلحق بالملك ممثل تذكرنا ثيابه وهيأته بطبقة النبلاء. يشم الممثل الملك، ثم يوليه ظهره). . . . لكن ذكر الإوز قال لا حول لي ولاقوة. أحضروا الغراب! . . . يصعد الغراب ـ رجال الدين ـ حركات وصرخات جافة متقطعة). . . جاء الغراب وقال: «إذا كان ذكر الإوز المغرور لا حول له ولا قوة فماذا تنتظرون مني أنا الغراب المسكين؟أحضروا الحمار!» وهذا ما كان، الحمار أنا. (يلبس الراوي طقية لها أذني حمار. يجذبه الغراب إلى البلاتوه، حيث يكيل له

الضربات بعصاه، بمساعدة ذكر الإوز، ويجبره على حمل الملك وحده على ظهره. يئن الحمار، ثم يحاول جاهدا أن يخلص نفسه، ويخلص نفسه بالفعل، ويأخذ العصا من ذكر الإوز، ويهدد الجميع بصرخة ثائرة. يخلع الممثلون ما يلبسونه فوق رؤوسهم، ويحيون الجمهور، وينزلون من على المنصة، بينما يستطرد الراوي قائلا: اسمعوا من فضلكم، قصة ماري، المعروفة بماري البائسة، التي ولدت عجوزا وبائسة، كما ولدت أمها وجدتها، في بلد يسكنه اثنان من الغيلان.

(موسيقى ج. س. باخ).

الحبر : ليبارك الرب هذه الدار.

السيد : ولتكن في حماية أسلحتي.

الحبر : حقي في ضريبة العشور.

السيد : نصيبي في محصول المدينين.

(ينتزعان من ماري قدرها، فتصيح معبرة عن ثورتها وشقائها، ويداها ممدودتان في اتجاه الجمهور الذي تشهده على ما يحدث. تخفت صرختها، ويخبو الضوء ويواصل الراوي)...

الراوي : في مملكة قريبة منا، كان يعيش سيد مسيحي تقي ورع، ولم يكتف بامتلاك الأجساد، فأراد أن تحل بركته على الأرواح أيضا (في منزل ريفي، تنتظر امرأتان في هدوء ميلاد طفل).

آن : أتألم يا ماري.

ماري : غني يا صغيرتي، غني.

آن : أتألم يا ماري!

ماري : كل شيء جاهز، الملابس البيضاء نظيفة، والماء ساخن، كل شيء على ما يرام!

آن : انتهى الأمر يا ماري!

(على منصة أخرى، موسيقى ف. كوبران)

السيد : أنا السيد! أحسنت الصيد! وأشعر بالتعب. (يطرق باب المنزل). افتحوا لي!

ماري : إنه السيد! بودي لو أراه في الحضيض.

السيد : الماء الساخن يا ماري، اغسلي قدميّ.

ماري : لم نجد ماء ساخنا اليوم يا سيدي.

السيد : حذائي يا ماري.

(تخلع حذاءه).

آن : ماري ! ماري!

ماري : عد غدا، يا سيدي، عد غدا، أتوسل إليك!

(يضع السيد قدمه في الماء الساخن، ويلوث الملابس المعدة للمولود، عندما يجفف بها قدمه)

السيد : يا له من صيد!

(يخرج. تبصق ماري بعد خروجه، تحيي الممثلتان الجمهور وتغادران البلاتوه. يواصل الراوي حديثه)

الراوي : في ذلك العام، عمت المملكة كلها مجاعة لا مثيل لها في فظاعتها. كانت النسوة من الضعف بحيث لم يستطعن تغذية أطفالهن. وأثناء النهار، كان الرجال يذهبون للبحث عن الطعام، ويعودون بخفّي حنين...

(يجلس أربعة أزواج وزوجاتهم على أربع منصات. تحمل كل امرأة طفلا بين ذراعيها).

كل واحد من الأزواج الأربعة :

لم أجد نارا يا زوجتي ،

لم أجد خبزا يا زوجتي ،

لم أجد حليبا يا زوجتي ،

لم أحضر شيئا يا زوجتي ،

إنا ضائعون

إنا ملعونون

إلى الأبـــد

وكذا أطفالنا

اعطه لي ، يا زوجتي

كي أهدهده يا زوجتي

كي أداعبه يا زوجتي

كي أساعده على النوم .

(يـأخذ كـل من الآبـاء الأربعة طفلـه ، ويقتله . يصعـد الملك إلى المنصة الخامسة في جـلال ، على أنغام موسيقى هندل) .

دعوة مجلس طبقات الأمة

الملك : «نحن ، لويس ملك فرنسا بنعمة الرب ، نريد أن يتمكن كل فـرد في أطراف مملكتنا ، وحتـى في الأماكن المجهـولة تقريبا ، من أن يـوصل إلينا رغباته ، بحيث نجـد علاجا فعـالا لآلام الدولـة ، بالثقـة المتبـادلة والحب المتبـادل ، بأسرع ما يمكن ، وبحيث يشملنا ، نحن بصفة خاصة ، الهدوء والسكينة اللذان حرمنا منهما منذ أمد بعيد» .

الراوي : في مملكة فرنسا كلها، لأن الأمر يتعلق بمملكة فرنسا، أشاعت كلمات الملك الحلوة الرائعة في النفوس أملا كبيرا.

(يشير إلى منصة مواجهة لتلك التي يقف عليها، فتظهر المغنية)

المغنية : (بمصاحبة الناي) اسمعوا، كبارا وصغارا،

قصة ملك في العشرين

سيعيد إلينا في فرنسا

الأخلاق الحميدة والرخاء

فماذا سيكون مصير العاهرات واللصوص

على ضوء هذا البرنامج؟

وإذا كان يريد الشرف والأخلاق

فمكاهو مصير النبلاء العظماء؟

وإذا كان يحب الشريفات

فماذا يفعل هذا الكم من الجميلات؟

وإذا نفى الفاسقين

فماذا يفعل القساوسة الأثرياء؟

وإذا كان يحتقر المديح الزائف

فماهو مصير المهالقين؟

وماذا يفعل أصدقاء الملل

المعينين في الأقاليم؟

ماهو مصير الكفرة

إذا أصبح رعاياه أبناءه؟

(كلامـا) عندئذ، أراد الجميع الكتـابة للملك ليحـدثوه عما هو خير وما هو شر، عن الخيرين والأشرار، وما يجب أن يبقى وما يجب أن يزول .

عرائض الالتماسات

المنادي : (تصاحب حديثه دقات طبـل، وكأنه مناد عام). إخواني! جاء زمـن العدل! إخواني، ملكنـا الطيب لويـس السادس عشر بنعمة الـرب مهتم بدولتنا . إخـواني، يدعوكـم ملكنا الطيب إلى الكتابة له في عرائض مسماة عرائض الالتماسات! إخـواني، جاء زمـن الأمل! اكتبـوا له، اكتبـوا له بسر عـة! سأعود لآخذ عرائضكم بعد ساعة .

(يقف على منصة مواجهة لتلك التي يقف عليها المنادي رجل وامـرأة من الفلاحين يطيران فرحـا، لا يصدقـــان ما يحدث ، ويحلمان بحياتهما المستقبلة) . . . . .

نستين : يا لـــه من ملك طيـب! يا له من ملك طيب! جسبار، يا له من ملك طيب!

ماري : جسبار! نستين! سمعتما المنادي؟

الجميع : (يقبلون بعضهم بعضا) يا له من ملك طيب!

نستين : ماذا إذن عن ضريبة الملح؟

جسبار : انتهت!

نستين : ونصيب السيد في محصول المدينين؟

جسبار : انتهى!

ماري : والإعانات، وضريبة الحرب؟

جسبار : انتهت!

نستين : والفيضانات. . . .

ماري : والبرد. . . .

نستين : والأمراض، والطاعون، والكلب. . . . والموت. . .

جسبار : انتهت كلها!

نستين : والبطن المليئة؟

الجميع : لنا نحن!

جسبار : والمعرفة، والعادات الحسنة، والتعليم؟

الجميع : لنا نحن!

نستين : آه يا ماري! العادات الحسنة لك أنت!

جسبار : والمداعبة، والمتع اللذيذة. . .

ماري : الوقت غير مناسب.

نستين : (لجسبار الذي يداعبها) الوقت غير مناسب يا جسبار!

جسبار : قوليها لهم!

ماري : قوليها لهم يا نستين.

نستين : أقولها لهم؟ حسن، سأقولها لكم: كل الطيبات لنا نحن، وكل القاذورات لهم هم.

ماري : يجب أن تكتبي ذلك.

جسبار : خذي ورقا.

نستين : ما عندي ورق! الورق شيء كمالي، ترف يا جسبار! يمكن أن آخذ قطعة من ملاءتنا.

جسبار : ملاءتنا!

ماري : وفي أي شيء يكفنوك؟

نستين : وهل نبخل بملاءة؟ إليّ بملاءة الآن! سأبدأ بضريبة الملح!

ماري : نعم، اكتبي للملك «ضريبة الملح»!

نستين : لابد من ريشة. (يجرون وراء دجاجة وهمية، ويعودون ومعهم ريشة) اكتب «ضريبة الملح» وبأي شيء أضع العلامة؟

جسبار : بشيء أسود!

الجميع : (للجمهور) أعندكم شيء أسود، أو أبيض، أو أحمر؟

نستين : جسبار، شيء أحمر. لابد إذن من دم!

جسبار : هيا، اجرحيني!

نستين : أما هذا فلا! لن أجرحك من أجل ضريبة الملح!

جسبار : قلت لك اجرحيني!

نستين : لا ! لن أجرحك!

ماري : حسن! اجرحيه مادام يطلب منك ذلك!

نستين : اجرحيه! اجرحيه! اجرح نفسك أنت! (ويجرح جسبار نفسه، تقبله نستين، وتغمس ريشتها في دمه، وتتأهب للكتابة). اكتب «ضريبة الملح» للملك (تردد) كيف يكتب حرف الضاد؟

جسبار : اكتبي «ضريبة الملح»!

نستين : إذن، اكتبها أنت! فأنا لا أعرف حتى كيف يكتب حرف الضاد!

الجميع : كيف تكتب الضاد؟ كيف تكتب الضاد؟ ضريبة! ضريبة!

المنادي : بما أنكم لم تكتبوا شيئا، فلن نتمكن من تغيير أي شيء!

العرائس

(تقدم فرقة من الممثلين وأصحاب العرائس عرضا للكوميديا الشهيرة «اجتماع مجلس طبقات الشعب» تمثل العرائس «لويس، وطوانون، ومسيو نيكير، والشريرين، والنبلاء ورجال الدين»، و الطبقة الثالثة التي جاءت لتعمل من أجل الشعب . . . ويمثلون الأحداث التي سبقت قسم ملعب التنس واجتماع الطبقات الثلاث)

المقدم : اقتربوا، اقتربوا، سيداتي سادتي! سنمثل لكم الكوميديا الشهيرة «اجتماع مجلس طبقات الأمة» يبدأ المشهد في فرساي.

وماذا في فرساي؟ يوجد لويس السادس عشر عبارة عن مؤخرة بين مقعدين!!

لويس السادس عشر : حلمت توا حلما فظيعا، كابوسا مخيفا. حلمت لتوي أنني مفلس تماما. نيكير! نيكير! يا وزيري! أنت يا من تفكر لي، تعالى هنا حالا! نيكير، لم تعد معي نقود يانيكير، تعال هنا توا (نيكير يقبل قدميه) نيكير لم يبق معي أي مال.

نيكير : لكني لم أجد نقودا!

لويس السادس عشر : لم تجد نقودا، حسن يا نيكير، خلفا در، أنت مطرود.

نيكير : لم أجد نقودا، لكن عندي فكرة.

لويس السادس عشر : فكرة! أي فكرة؟

نيكير : لابد من دعوة مجلس طبقات الأمة.

لويس السادس عشر : مجلس طبقات الأمة! مجلس طبقات الأمة؟ ماهذا؟

نيكير : نأتي بكل أثرياء المملكة، ونتظاهر بطلب رأيهم، ونأخذ منهم كل نقودهم.

لويس السادس عشر : ها! ها! (يتعانقان. يخرج لويس).

نيكير : يا لـه من أبلـه، لويـس هذا ! فليكـن! سأدعـو مجلس طبقات الأمة! طبقات الأمة! طبقات الأمة!

النبلاء : أنا من النبلاء، على حساب الشعب أغتني.

رجال الدين : وأنا من رجال الدين، واه! واه! واه!

النبلاء : سيدي!

رجال الدين : تعالى بين ذراعينا يـا بني، كي نقبلك. وسنقبلـك مرات أخرى كثيرة يا بني.

النبلاء : وأنا سأعد يوما حساء غراب!

رجال الدين : كيف يا بني؟

النبلاء : لا شيء يا أبت.

رجال الدين : هيا بنا إلى فرساي.

الطبقة الثالثة : وأنا من الطبقة الثالثة، جئت من بعيد، وفخور بوجودي هنا.

النبلاء : أشم رائحة الروث!

رجال الدين : أشم رائحة جلة!

النبلاء : أكثر من هذا، أشم رائحة براز!

رجال الدين : يا لها من كلمة قبيحة يا بني! من أنت يا بني؟

الطبقة الثالثة : أنا ممثل الطبقة الثالثة.

رجال الدين والنبلاء : الطبقة الثالثة؟ ما معنى هذا؟

الطبقة الثالثة : معناه خمسة وعشرون مليونا من الفرنسيين!

رجال الدين والنبلاء : هذا قول فاضح! هذا فشل تام! دعني أتصرف.

رجال الدين : سيدي ممثل الطبقة الثالثة، تقـدم لأباركك! انحن قليلا إلى الأمام! قليلا! هكذا!

(يضربونه)

الاثنان : ولنذهب الآن إلى فرساي لنشكوه إلى الملك!

لويس السادس عشر : وفي هذه الأثناء، في فرساي!

ماري أنطوانيت : لويس. لم تعد الأمور على ما يرام. لم تعد عندنا نقود (تنتحب)

لويس السادس عشر : لا، عندنا نقود، عندنا نقود مجلس طبقات الأمة.

ماري أنطوانيت : آه! أهذا مجلس طبقات الأمة؟

لويس السادس عشر : نعم، هذا مجلس طبقات الأمة.

ماري أنطوانيت : إذن، لابد من طرد نيكير حالا.

لويس السادس عشر : لكن نيكير، يا عزيزتي...

ماري أنطوانيت : هيا يا لويس، ستطرد نيكير، يا عزيزي! (تضربه) في التو واللحظة! (يدخل رجال الدين والنبلاء)

النبلاء : مولاي، لن أنضم أبدا إلى القرويين ممثلي الطبقة الثالثة! أبدا!

رجال الدين : إنه لعار يا لويس! لويس، إذا استمررت في هذا، ستفصل عن الكنيسة.

لويس السادس عشر : آه يا رجال كنيستي الأوفياء
لا تخلفوا شيئا من مليككم.
يا نبلائي يا أحبائي
لا لن ينال الأوباش شيئا.

الجميع : فليعطونا نقودهم،
وننتهي من الأمر.
فليعطونا نقودهم،
ونفضها سيرة

(يدخل ممثل الطبقة الثالثة وهو يصفر)

إنها الطبقة الثالثة! . لنختبىء .

ماري أنطوانيت : ما رأيك يا أبت في مقلب صغير ندبره له؟

رجال الدين : مقلب يا سيدتي؟ آه، نعم، عندي فكرة: ماذا لو أغلقنا الباب في وجهه؟ كليك! كلاك!

لويس السادس عشر : نعم، يا لها من فكرة رائعة يا أنطوانيت! اذهبي واغلقي الباب.

ماري أنطوانيت : لويس! اذهب أنت واغلق الباب. (تضربه)

لويس السادس عشر : كريك! كراك! (يغلق الباب).

الطبقة الثالثة : لنذهب للعمل من أجل الشعب! تك! تك! تك!

ماري انطوانيت : لا يوجد أحد.

(يقهقه الجميع)

الطبقة الثالثة : لا يوجد أحد؟كيف؟ لكني ممثل الطبقة الثالثة.

الجميع : الطبقة الثالثة! ها! ها! ها! (حركة احتقار)

الطبقة الثالثة : ماذا؟ إنهم يسخرون مني، سنريهم ما يمكن أن يفعله الشعب!

(يقلدون جزءا من مشهد قسم ملعب التنس)

إنها قاعة ملعب التنس؟ برافو يا سادة، برافو، أداء رائع! لكن، «عندي فكرة ما رأيكم في اجتماعنا هنا مع زملائي أبناء الطبقة الثالثة، لنقسم قسما رسميا ألا نفترق وأن نجتمع في كل مكان، حسب ما تقتضيه الظروف إلى أن يقوم دستور المملكة على أسس متينة؟»

النبلاء : آه يا بني، إلى أي شيء نصير أمام حماس هذا الشعب؟

رجال الدين : كدت أفقد صوابي يا بني! آه نعم. دعني أتصرف. . . سيدي ممثل الطبقة الثالثة، صباح الخير!

الطبقة الثالثة : صباح الخير يا سادة!

رجال الدين والنبلاء : سيـدي ممثل الطبقـة الثالثـة، كنا مـارين مـن هنا، أنـا وزميلي، فقلنا ربما، لو لعبنا الكرة معك. . . .

الطبقة الثالثة : بكل سرور يا سادة، مرحبا بكم!

رجال الدين : فلتكن إذن أول من يأخذ الكرة يا بني

(يلعبون معا، ويتعانقون)

المقدم : وفي هذه اللحظة. . .

(يترك الممثلون عرائسهم، ويعودون إلى التمثيل)

«الجلسة الملكية»

(يبقى ثلاثة من الممثلين، يقوم أولهم بـدور لويس السادس عشر، والثاني بدور ميرابو، والثالث بدور الماركيز دي درو ـ بريزيه)

ممثل : . . في هـذه اللحظـة، ثار لـويـس ثـورة عـارمة هـي التـي سنمثلها، سيداتي سادتي، في الجلسـة الملكية الشهيرة التي عقدت في ٢٣ يونيو ١٧٨٩، والتي واجه فيها لويس، آخر سلالة أسرة آل كابيه اللعينة، والأسد الهصور، أعظم خطباء القرن الثامن عشر، الكونت دي ميرابو. . .

(يتقدم الممثـل ـ ميرابو للجمهـور وهو يـزأر). . . الذي اختار مكانـه بين صفوف الطبقة الثالثة، على الـرغم من أنه أرستقراطي. وقولوا لنا: لماذا السيد دي ميرابو؟

الممثل ـ ميرابو : لأن هذا الدور في دمي!

الممثل ـ لويس السادس عشر:

(أثناء خطـاب الملك، يضـع الممثل الآخـر الماكياج على وجه زميله الذي سيمثل دور ميرابو)

«فكروا يا سادة، لن يكون لأي مشروع من مشروعاتكم،

أو أية مداولة من مداولاتكم قوة القانون إلا بموافقتي الخاصة!»

(يسخر الممثل من الشخصية التي لن يمثلها، بأن يجعلها دامعة، متوسلة، مثيرة للسخرية)

الممثل ـ الملك : «إذن، أنا الضامن الطبيعي لحقوقكم، ويمكن أن ترتكن كل طبقات الدولة إلى عدم انحيازي وعدالتي! وأي شك من قبلكم سيكون ظلما هائلا. فأنا الذي أصنع حتى الآن سعادة شعبي!»

الاثنان الآخران : حتى الآن، يا لويس!

الممثل ـ الملك : أيها السادة، آمركم بأن تتفرقوا في التو واللحظة (يضرب الأرض بقدمه وينصرف الممثلان الآخران)، وأن يذهب كل منكما إلى القاعة المخصصة لطبقته، وبالتالي، آمر مدير المراسم . . .

(يلتفت الممثل الذي سيؤدي هذا الدور ويقدم نفسه وهو يسخر من شخصيته بحركات مفتعلة متحذلقة).

الممثل ـ دروبريزيه : أنا الماركيز دروبريزيه، أنا مدير المراسم.

الممثل ـ الملك : . . . بالتفضل بإعداد القاعات.

(يخرج مندفعا بين سخرية رفيقيه اللذين وقفا وجها لوجه وسيمثلان المواجهة الشهيرة)

الممثل ـ دروبريزيه : (قفزات خفيفة راقصة) سيدي.

الممثل ـ ميرابو : (يقف ثابتا، على عكس رفيقه) ما هذه الدكتاتورية المهينة؟ إعداد الأسلحة وانتهاك المعبد الوطني لإصدار الأمر لنا بأن نكون سعداء، نحن الذين نتقلد منصباً سياسياً ولا ينتهك، نحن الوحيدون الذين ينتظر خمسة وعشرون مليون فرنسي منهم سعادة أكيدة، لأن الجميع يجب أن يوافقوا عليها ويتقبلوها.

المثل ـ دروبريزيه : هل سمعت أوامر مولاي يا سيدي؟

الممثل ـ ميرابو : «نعم (يزأر) يا سيدي. سمعنا النوايا التي أوحى بها البعض إلى الملك، لكن اعلم أنت الذي لا يمكن أن تكون لسان حاله، والسبب واضح (يسخر بالصوت والحركة من رجولة مدير المرسم المشكوك فيها)، أنت الذي لم تأت إلى هنا لتذكرنا بهذا الكلام، أنت الذي لا مكان لكلامك ولا حق لك فيه، اعلم أننا هنا بإرادة الشعب وأننا لن نترك أماكننا إلا على أسنّة الرماح».

الممثل ـ دروبريزيه : هذا آخر كلام يا سيدي؟

الممثل ـ ميرابو : (يزأر من جديد) نعم يا سيدي!

الممثل ـ دروبريزيه : هكذا؟ حسن! فليبق! (يخرج)

خيانة الملك

الممثل ـ الساحر : كان من الممكن أن يتوقف كل شيء عند هذا الحد، لكن طيبة الملك الزائفة تخفي وراءها خيانة بشعة. من يحيطون بالملك ساهرون. لذا، سنمثل لكم على الطريقة البربرية «الملك ذا الوجهين». أما المخلوقات الثلاثة التي نفذ صبرها أمامي فثلاث ممثلات سأكتم أسماءهن، لأنني أريد أن أجنبهن ـ بعد ما ستشاهدون ـ الغضب الملكي...

(يقدم الممثل ـ الساحر ممثلاته الواقفات على الأرض، وهو واقف أعلى سلم يؤدي إلى المنصات، وكلما نطق باسم إحداهن، انطلقت أمام الجمهور وهي تؤدي رقصة جامحة تصحبها دقات عالية)...

قبلت الأولى أن تكون الكلبة الشهوانية، المومس المسماة: لا لومبال!

وستكـون الثـانيـة تلـك المرأة الملعـونـة، تلـك الشريـرة المسعورة: لا بولينياك!

وهاهي ذي أسوأ الثلاثـة، النمساوية، ملكتنا! سأتحول الآن أمـامكـم إلى وحش، إلى شخصيـة لـن تجرؤوا على تصوّرهـا، إلى ساحـر رهيب: كـاليوسترو! لقـد التجأن إليّ، في غمرة انحلالهن، لأطلعهن على أسرار قدرتي!

(بعـد رقصة فـاجـرة مع النسـوة الثـلاثـة يلبي الممثـل ـ الساحر كاليوسترو رغباتهن، ثـم يتجه الأربعة في موكب إلى الملك، الذي سبق أن أعلن لميرابو عن موافقته. يقدم كـاليوسترو شرابـا مسحورا للنمسـاويـة. ويدع النسـوة الثـلاثة يـذهبـن إلى الملـك. فيستسلم هـذا الأخير لهن ويشرب الشراب. ثم يصبـح مخلوقا آخـر، ويصرخ وهو يقذف بالدمية التي تمثـل نيكير، وكان الممثل ـ ميرابو قد أعطاها له).

الملك : آه يـا مسيـو نيكير ! أنـا الملـك! آمـر بقتـل كـل نـواب الشعـب! أنـا الملـك! أريـد أن يحاصر عشرون ألـف نمساوي باريس!

(أمام قطعة من القماش تمثل خريطة باريس)

الممثل ـ الساحر : (ينزع غطاء رأسه) إذا شئتم، سنترك هنا الخيال، نعود إلى الـواقع! استنجـد الملـك بعشريـن ألف جنـدي ليغـزو باريـس. هذه النقطة الصغيرة شارنتـون (يشير إليها على الخريطة). أنزل فيهـا صاحب الجلالة ألفـي جندي من الفـرسـان. وهنـا سيفـر التي احتلتهـا كتيبـة سـاليـس سامادة«ثلاثة آلاف جندي»! وفي سان دنيس، (٢٠٠٠) فارس مع ناسو.

وفي سـان كلو، خيّـالـة برشري. أمـا صـاحب الجلالـة الألماني، فجنوده الثمانيـة ألف في كـل مكان في المدرسـة

الحربيـة، وفرسـاي، وشـان دي مـارس! وهنا، وهنـا، وهنا، إنهم يحجزون مخزوننا مـن القمح، ويغيرون وجهة قافـلاتنا! وفي فرسـاي، يمسكون بنوابنـا بين مخالبهم، ولا ينتظرون إلا أمـرا واحداً ليدكـوا باريس دكـا! أجبناء أنتم إذن إلى هـذا الحد؟ ماذا تنتظرون لكي تثـوروا؟ وهل تدعونهم يفعلون؟

الاستيلاء على الباستيل

وسط الحشـد، يقف رجل فوق كـرسي، ويبدأ خطبته، بينما يحمـل وكيله الأمين بنيامين كرسيه)

الرجل : اسمعوني. اسمي شارل مارتـان! اشتريت أرضا بالقرب من بروى، لذا يسمونني شـارل مارتان دي بروي. لكن لا داعي للمجـاملات، نادوني دي بـروي! أتعرفـون ما الذي جرى لنا؟ أخذوا منـا نيكير! لابد من عمل شيء. وسأبدأ بإغلاق البورصة! بـالمناسبة، أتعرفون لمن تذهب ضرائبكم؟ إلى النبلاء، يا أصدقائي! إلى النبلاء! بنيامين اتبعني! (يمر بين الحشد، يتجـه إلى المنصة الأولى حيث استقـر صاحـب البنك وزوجتـه. تتـم مسيرته، طـوال المشهد كله، على إيقاع الطبول).

صاحب البنك : من المؤكد أن كل شيء يزيد هذا العام، كل شيء يزيد!

زوجته : لكننا ادخرنا بعض النقود (تنظر إلى دفتر حساباتها)

صاحب البنك : هذا أفضل يا عزيزتي، هذا أفضل!

دي بروي : (يدخل مندفعا) اسمعوا، طردوا نيكير!

صاحب البنك : طردوا نيكير! اميلي! (يشير إلى زوجته بالخروج) آه! طردوا نيكير.

دي بروي : وعلى سبيل الانتقام، أغلقت البورصة!

صاحب البنك : أغلقت البورصة! سأغلق البنك! آه! سيرون في فرساي!

دي بروي : أما أنا، فأعتقد أن هذا يمثل ثورة صغيرة!

صاحب البنك : ثورة! من يقول يا عزيزي إننا سنقوم بثورة في يوم ما!

(يستبدل «الروب دي شامبر» بردنجوت، ويأخذ عصاه وقبعته، ويتجه إلى المنصة التالية، حيث وقف الإخوة دوترنكييه ـ وهم من أصحاب المتاجر ـ وهم يرتجفون، ويتبعه كل من دي بروي وبنيامين الذي يحمل مقاعدهم) طردوا نيكير يا سادة!

دوترنكييه الأكبر : طردوا نيكير يا دوتر نكييه!

دي بروي : وأغلقت البورصة!

دوترنكييه الأصغر : أغلق البورصة يا دوترنكييه!

صاحب البنك : وأنا أغلقت البنك.

صاحب أحد المتاجر : أغلق البورصة! أغلق البنك! سنغلق المتجر!

(حركة! إسدال الستار)

صاحب البنك : اتبعوني يا سادة، و لتحيا الثورة!

دوترنكييه الأصغر : تحيا الثـ . . .

(يقاطعه أخوه الأكبر بضربه من مرفقه. يغادر الرجال الخمسة البلاتوه ويتجهون على دقات الطبول إلى المنصة التالية، حيث ينتظرهم رجل عسكري محمل بالأوسمة).

صاحب البنك : طردوا نيكير، يا سيدي الضابط!

الآخرون : أغلقنا البورصة! أغلقنا البنك! وأغلقنا المتجر!

صاحب البنك : سيدي الضابط، لابد من إنقاذ الجمعية الوطنية، وقررنا تكوين حرس وطني.

الضابط : تكـونوا حـرسـا وطنيا! أنـا رجـل عسكـري. يا سـادة! خدمت تحت قيادة لافاييت في الامريكتين! إذا أراد هؤلاء السادة أن يتعلموا طـريقة استخدام السلاح، فـأنا تحت أمرهـم. لو تفضل هؤلاء السادة بالالتفات إلي. . . .

(يمد يده إلى بنيامين الذي يضع فيهـا ـ بموافقة صاحبي البنك ـ كيسا ضخما، في حين ينظر إليهم صاحبا المتجر بذهـول وحسد، يتبع هـؤلاء الكيس بنظـراتهم، وهم في الجانـب الآخر مـن البلاتـوه) حسـن يا سـادة في يدكـم بنـدقيـة، اليـد هنـا، والزنـاد هنـا، في حـالـة الخطـر، تضغطون عليه هكذا.

(يلقى الدرس بواسطة بنيامين، يجلس صاحبا البنك)

دي بروى : اضغط يا صديقي، اضغط!

الضابط : أنتـم جنود، يـا سـادة! (يلتفت الضـابـط إلى صاحبـي المتجـر اللذيـن يقـدمون لـه الكيس، فيـزنـه باحتقـار، ثـم. . . يقـول بلهجـة آمرة) لـو تفضـل هـؤلاء السـادة بالإصغاء إلي! آه يا أصدقائي، تريدون أن تكونوا جنودا! استمعـوا لأوامري جنبـا سلاح، كتفـا سلاح، ارقـدوا، انهض، افعلوا ما أقوله لكم. نيام. وقوف. يمينادر.

(يرتـاع الأخوان دوتـرنكييه عنـدما يجدان نفسيهما وجهـا لـوجه، وقـد صوب كـل منهما بنـدقيته إلى الآخـر. يعبر الرجال الثلاثة المنصات المختلفة مرة أخرى، ويصلون، على دقات الطبول وإيقاع المارش العسكري، عند مسيو دي فوبور الذي ينتظرهم مكتوف اليدين).

صاحب البنك : مسيـو دي فوبـور! اللحظـة الحرجـة! أغلقت المتـاجـر! يمكن أن تطلقوا الشعب! (صمت طويل يتبادل خلاله الضـابـط، ودي بـروي، وأصحـاب المتـاجـر نظـرات الاحتقـار والقلـق) قلـت «إطـلاق الشعـب»! ولم أقـل «تسليح الشعب».

(تتشاور الشخصيات الأخرى طويلا. وشيئا فشيئا، يعلو صوتها، وتصرخ قائلة «اطلقوا الشعب»، وهي تصوب بنادقها إلى الجمهور، ثم تولي هاربة. يخيم الصمت على القاعة. يوزع الممثلون أنفسهم على مجموعة المستويات والدرج. ويجذبون المتفرجين إليهم، ويدعونهم إلى الاقتراب منهم بالإشارة. وشيئا فشيئا تتكون مجموعات تروي قصة الاستيلاء على الباستيل).

اقتربوا، اقتربوا، تعالوا! سأروي لكم كيف استولينا، نحن شعب باريس، على الباستيل. لكن قبل أن أروي لكم كيف استولينا على الباستيل يجب أن أروي لكن أولا كيف بدأ كل شيء ، لأنكم تذكرون تماما أن الأمر لم يكن مجرد فكرة خطرت لنا هكذا، ذات يوم! لم نقل: «سنستولي على الباستيل اليوم، لا، حدث هذا بعد سلسلة طويلة من الأحداث والآلام التي يجب أن أحدثكم عنها». في مايو ١٧٨٩، اجتمع مجلس طبقات الأمة. وبالنسبة لشعب فرنسا كله، وشعب باريس خاصة، كان هذا الاجتماع حركة ضخمة مليئة بالآمال: كنا قد قلنا لأنفسنا أن الأمور ستتغير، وأن آلامنا ستنتهي، بل عدنا بسذاجة إلى حب الملك والثقة فيه. ثم مرت الأيام، وسرعان ما مرت الأسابيع، وأدركنا أن لا شيء يتغير في الواقع، وأن الملك لا ينوي أن يتخلى قط عن أي شيء من سلطته، بل اعتزم استردادها كاملة، ووضعنا تحت رحمته من جديد، وأنه مستعد لاستخدام كافة الوسائل، في سبيل ذلك. لا أدري، مثلا، أتذكرون ذلك، لم يكن لدينا شيء كثير يؤكل ذلك العام، كان المحصول سيئا للغاية عام ١٧٨٨. وكان شتاء ٨٩ طويلا جدا وقاسيا جدا. والمجاعة في كل مكان. وفي باريس لابد من الوقوف ساعات في الطوابير أمام المخابز.

والأطفال يموتون بالمئات. وبـدلا من أن يعالج الملك هذا الموقف وهذا واجبه على أية حـال، قال لنفسه إن في ذلك وسيلة جديدة لإخضاعنا، كما كان يقول، وحاول تجويعنا أكثر وأكثـر، لم تدخل باريـس عربة غـلال واحدة، لم تمر على السين مركب محملة بالدقيق، لم يكن لدينا شيء نأكله وراحوا يصادرون كل شيء ويوجهونـه إلى فرساي من أجل الملك، والملكة، والبلاط. ولم يكتف الملك بتجويعنا، بل أراد أن يفزعنـا أيضا. وذات يوم، أدركنا أن عشريـن ألف جندي — وأي جنود - يحيطون ببـاريس. لم يكونوا جنودا فرنسيين، لأنه قال لنفسه إن الجنود الفرنسيين لا يؤتمنون، وأنهم أناس مثلنا، منا، يمكن أن يتعاطفوا معنا. لذلك، أتى بجنـود أجانـب، مرتـزقة سـويسريين، ونمساويين، وألمان، ووضعهم حـول باريس، عنـد كل أبـواب المدينة وداخل شـان دي مارس أيضا، والكليـة الحربية، وقـرابة حي المارية، وفرساي. ووضـع بعضهما حول مقر الجمعية الوطنية، وعندما كنا نراهم، نحن، كنا نقول لأنفسنا ماذا يفعلون هنا، لكن، إذا كان الملك قد جاء بهم فمعنى هذا أنه يضمر الشر لنـا، معنى هذا أنه يريـد تفجير باريس، وقتلنا، وطرد نوابنا، واستولى علينا الخوف الشديد وهذا ما كان يريده.

فضلا عن أن فكـرة أخرى خطرت له: كنا نحـب الوزير نيكير، بحق أو بغير حـق، وكنا نعتبره صـديقا لنـا. ثم اذكروا أن نيكير هو الذي أفشـى إلى الخاصة بمصروفات البلاط، منذ بضـع سنوات. وهو الذي أثبـت أن بؤس الشعـب سببـه إلى حـد كبير هــذه المصروفـات. وعـن الضرائب، هذه الضرائب التي تثقل كاهلنا، اذكركم بأن نيكير هو الذي طلب توزيعها تـوزيعا أكثر عدالة، وهو الذي طلب أن يـدفع النبلاء نصيبهم منهـا أيضا. وعن

مجلس طبقات الأمة، الذي تمثلت فيه كثير من آمالنا، أكرر أن نيكير هو الذي أوحى إلى الملك بدعوته.

كنا نحبه، لهذه الأسباب بالذات، وطرده الملك لأننا نحبه. سيداتي سادتي عندما وصل نبأ إقالة نيكير إلى باريس، قلنا لا يمكن أن ندع الأمر يمر هكذا، ولو أننا فعلنا، لكنا غير أوفياء. مادام هذا الرجل الذي دافع عنا في ضيق الآن، علينا أن ندافع عنه بدورنا. أذكر أن نبأ إقالة نيكير وصل إلى باريس يوم ١٢ يوليو بالضبط. كان اليوم أحد، والجو جميل. فقلنا: حسن، سنتظاهر مظاهرة سلمية. لم يكن معنا سلاح، ولا أي شيء، وذهبنا إلى التويلري في يوم الأحد الصيفي هذا، وكأننا ذاهبون للنزهة مع النساء والأطفال. لكن، كانت معنا أيضا تماثيل نصفية لنيكير وجدناها في المتاحف، وغطيناها بالسواد وحملناها على أكتافنا، لنظهر سخطنا وحدادنا عليه بطريقة ما.

أكرر أن هذا الحشد كان يضم نساء وأطفالاً. ولا تدرون ما فعلوا هؤلاء الجنود، هجموا على الحشد بفرسانهم، فرسان يركبون الجياد ويحملون السيوف المسلولة. كان هؤلاء الفرسان فرسان الأمير دي لومبيك، والأمير يقود الهجوم بنفسه، على رأس قواته. ولا أدري، سيداتي سادتي، ما إذا كنتم تتصورون ما أسفر عنه هجوم الفرسان على حشد كهذا، ما إذا كنتم تتصورون رعب الناس وتدافعهم، وهلعهم، وجريهم في كل الاتجاهات، وتعثرهم، وسقوطهم، ودوس بعضهم للبعض الآخر بالأقدام.

لكن، حدث في ذلك اليوم أيضا شيء خارق للعادة: خاف الناس، نعم، خافوا، لكنهم لم يتراجعوا،

في حين أخـذت أجـراس الخطـر تـدق في كـل كنـائس باريـس، ودوي المدفع في باليـه رويال ليخطر الآخـرين الذيـن ظلوا في بيـوتهم بأن شيئـا ما يحدث، وبـأن هناك حـاجـة إليهـم، وبـأن عليهم أن ينـزلـوا هـم أيضـا إلى الشوارع. وحـدثت المعجزة. نعـم المعجزة، نزلـوا جميعا إلى الشوارع. واجتمعـوا إلى الشوارع. واجتمعـوا حسب الأحيـاء، والطـوائف المهنيـة، في الأمـاكـن العـامـة، والكنائس، وكل مكان يمكن الاجتماع فيـه. وقالوا: لن نستسلم هذه المرة، ولأول مـرة بل سندافع عـن أنفسنا. ولكي ندافع عـن أنفسنا، . يجب أن نعثر على السلاح. ولم يكن هذا بالأمر اليسير، لأننـا لا نملك سلاحا. كل ما هنالـك أننا نعرف أين نجده. عندئذ، أخـذنا نجري يمينـا ويسـارا، وقـال الناس: يجب أن نصنـع حـرابـا. وبدأنـا العمل، وصنعنـا الحراب، صنعنا خمسين ألـف حـربة في ستة وثلاثين سـاعـة، وهذا رقـم لابأس بـه. لكن، مـا الذي يمكـن أن تفعله الحراب أمـام المدافع؟ لذلـك. نهبنا محال بيع السـلاح، بل ذهـب البعض إلى مخازن الأثاث. وما الـذي وجدوه فيها؟ بنادق قـديمة، ودروع وخوذات قديمة، ومدافع يرجع تاريخها إلى حرب المائة عام. لكن، مـا الذي يمكن أن نفعله بكـل هذا؟ لذلك، ذهبنا إلى الانفليد، وفي الانفليـد كانت البنادق موجودة، وعندما علموا أننـا ذاهبون إلى هناك وأننا ننوي الاستيلاء عليها، تلقت الحامية أمراً بإخفائها في الأقبية. لكننا علمنـا بالأمـر. لذلـك لم نستسلم، ونـزلنا السلـم بسرعة، وكسرنا الأبواب إلى أن وجدنا البنادق. ولم يفكر أول من وجد البنـادق منا ـ ضعوا أنفسكـم مكانهم ـ إلا في شيء واحد، عنـدما أمسـك بها: الصعود ثـانية. وفي هذه اللحظة، اصطدمت موجات الصاعدين بموجات

الهابطين، وأدى كل هذا إلى التزاحم والتدافع. وهناك بائسون كادوا يختنقون في أعماق الأقبية ويبقون فيها. على كل حال، وجدنا في الانفليد ثمانية وعشرين ألف بندقية وعشرين مدفعا.

ها نحن ببنادقنا. لكن، لا ذخيرة ولا رصاص. ما الذي يمكن أن نفعله بهذه البنادق إذن، سيداتي سادتي؟ لذا، عاودنا الكرة في محال بيع البارود. كان عند الحرس الفرنسي رصاص أيضا، وكان الحرس متعاطفاً معنا، فتقاسمه معنا. لكن هذا لم يكف. كنا أربعين ألف تقريبا في هذه اللحظة. وفجأة، سرى نبأ: البارود والرصاص موجود. تدرون أين؟ في الباستيل! فذهبنا إلى الباستيل، وخاطبنا ديلوني، قائد الحصن وقلنا له: اعطنا سلاحا يا ديلوني. لكنه رفض أن يعطينا إياه. لذا، قلنا له: لا أهمية لهذا. سنأخذه، رغم ذلك، وحاصرنا الباستيل. لكن ذلك كان عسيراً، لأن الباستيل قلعة حصينة، سميكة الجدران، لها قناطر متحركة وأسوار. كنا لا ندري كيف ندخل إلى هذا الشيء. كنا نقف حوله. محلك سر، وبدأنا نثور. وفي الداخل، كان قد توصل وفد إلى الدخول لأن نائبا كان يقوده، يدعى النائب توريو. وحاول توريو أن يقنع ديلوني بفتح الأبواب لنا. وقال له إن الدماء لن تراق. لكن ديلوني رفض الاستماع إليه وعاد توريو بخفّي حنين، وقال لنا: لا استطيع أن أفعل شيئا من أجلكم.

عندئذ، بلغ يأسنا مداه، وأحسسنا بالعجز أمام هذه الجدران. لكن واحدا منا، أذكى من الآخرين ــ كان نجار عربات ـ صعد إلى سقف الثكنات المجاورة للباستيل، وأخذ بلطة، وقطع بها سلاسل أول قنطرة

متحركة. وعندما نزلت القنطرة، اندفعنا إلى أول فناء، فأخذوا يطلقون النار علينا: حامية ديلوني المزدوجة، وكتيبة من الانفليد والجنود السويسريين. وفي لحظة ما، وصل من الأوتيل دي فيل وفد آخر يحمل راية بيضاء، للتفاوض. وعندما رأينا الراية البيضاء، ضعوا أنفسكم مكاننا، ماذا فعلنا؟ ألقينا السلاح، وتوقفنا عن إطلاق النار. أما هم فأطلقوا النار، أطلقوا النار على الوفد والراية البيضاء وقلنا: معلهش، كلما زاد عدد الموتى، وكلما زاد عدد الجرحى، امتلأت الحفر، واستطعنا المرور من فوقها. وهذا ما فعلناه. وانتقلنا من الفناء الأول إلى الفناء الثاني، ومن الفناء الثاني إلى الفناء الثالث. وقلّت أعدادنا، سقط البعض، ومات البعض الآخر أو جرح. وسال الدم، وملأ الدخان كل مكان لأن النار اشتعلت في المطابخ. كانت الرؤية مستحيلة على بعد عشر خطوات. لم نكن ندري من معنا ومن ضدنا. لكننا كنا نتقدم، نتقدم. وفي لحظة ما. شعر الأنفليد بالخجل. أدركوا ما يفعلونه، وأنهم يذبحون شعب باريس، ويقتلون إخوتهم، وأن لا حق لهم في ذلك. عندئذ، ألقوا سلاحهم، ورفضوا إطلاق النار علينا، وأجبروا ديلوني على الاستسلام. وجن ديلوني من فرط الخوف، وسلم، وأخذنا الباستيل، أخذناها.

(يعلو صوت الطبول، ويندفع رجل نحو المستوى المركزي، ويأتي بالنبأ).

الرجل : أيها المواطنون! طرد الملك العشرين ألف جندي، واستدعى نيكير. سيأتي الملك إلى باريس ليتسلم الشارة. سيبدأ هدم الباستيل غدا، وسنرقص على أنقاضها، انتصر الشعب. . . . (صيحات، موسيقى

احتفال شعبي، أضواء باهرة لأول مرة بدأ الاحتفال بالاستيلاء على الباستيل . . . تتحول المنصات إلى أكواخ تمثل فيها الأحداث الكبرى لكفاح الشعب ــ داوود، كفاح الشعب ضد جوليات، الباستيل، الارستقراطية مقيدة، هزيمة الطغيان، تمثيل بالدمى كما يحدث في الحفلات الشعبية، والمصارعون، والأكروبات . . . يمثل بعض الممثلين الثملين. المشهد الذي يتسلم فيه لويس السادس عشر الشارة ذات الألوان الثلاثة من بايبي، ويمثل ممثلون من الكوميدي فرانسيز مشهد هجرة الكونت دارتواه وزوجته الكونتيسة).

حلقتان من الحفل

(ينتهي احتفال الاستيلاء على الباستيل بتعيين لافاييت قائدا للحرس الوطني البورجوازي).

لافاييت : تأثرت تأثرا عميقا، ومادمتم قد وليتموني القيادة فأرجوكم أن تكفوا عن الضجيج! أدعوكم إلى العودة إلى دياركم والتزام الصمت! وأطلب منكم فورا ألا تتجمهروا وألا تتجمعوا وآمركم بعدم القيام بمظاهرات مفاجئة!

(عندما ينطق بهذه الكلمات، تعلو الموسيقى حتى تطغى على صوته، فيلقي بقبعته على الأرض مغتاظا ويصرخ) أمنع كل الأعياد، وكل الاحتفالات وكل حفلات الابتهاج، وكل مظهر يعبر عن السعادة مما قد يؤدي إلى تعكير حالة الملاك وذلك بأي طر يقة، واعلموا حق العلم أن الثورة قد انتهت! يمر ضابط على التخاشيب ويأمر الممثلين بجمع متاعهم) انصرفوا! انصرفوا!

(تطفأ الأنوار. ينبعث من تخشيبة واحدة ضوء خافت. تحاول امرأة بكل جهد أن تسترعي نظر المتفرجين)

المرأة : لا تنصرفوا، لا تنصرفوا! مازال هناك شيء يرى! عندما هنا طبيب عظيم، إنه نبي يمكن أن يستشيره من يشاء، من يحتاج إليه، تشخيصه لا يخطىء! (يخرج رجل من وسط الحشد حاملا بين ذراعيه شابة مغشيا عليها).

الرجل : الأمة مريضة، يا دكتور جان بول مارا. أتستطيع أن تشفيها؟

(يضع الرجل الأمة المريضة بين يدي مارا).

مارا : «إنها مريضة لافتقارها إلى الحب. أمقت التسيب والعنف، والانحلال. لكن، عندما أذكر أن في المملكة خمسة عشر مليون شخص يعانون من البؤس، وهم على شفا الموت جوعا، عندما أذكر أن الحكومة تخلت عنهم بلا رحمة بعد أن أسلمتهم لهذا المصير الرهيب وأخذت تعامل المتجمهرين على أنهم مجرمون، وطاردتهم مطاردة الوحوش المفترسة، عندما أذكر كل هذا، يعتصر الألم قلبي وأني لأقسم بأن أقف بنفسي لأبصّر الشعب بحقوقه، ولأبث فيه روح الجسارة للدفاع عن المظلومين إلى أن يستردوا حقهم.

(تلي ذلك أحداث الهلع الأكبر، عندما انتشر نبأ الثورة الباريسية في الريف بين السادة النبلاء، وأصحاب الأملاك الأثرياء، وكل من كانوا يتقاسمون المملكة وتحالفوا ليبثوا الرعب في قلوب الفلاحين. وكان الفلاحون، في ذلك الصيف، صيف عام ١٧٨٩، يعانون من مجاعة رهيبة. لذلك، فرق المتحالفون بين الفقراء بنشرهم أنباء مقلقة للغاية... لكن، عندما سمع الشعب في الريف أن إخوته في باريس أزالوا الباستيل، وأنهم يتأهبون للحصول على الحرية زايلهم الخوف ومحوا الماضي! هكذا استرد الشعب حقه. هكذا

ومـزّق الشعب كـل التزامـاتهم، وكل مـا كان يـدل على عبوديته منذ القدم. عندئذ، حدث ما سترونه، والآن لا أدعوكـم للكراهيـة وإنما استثير شفقتكم. لقـد أحست طبقة النبلاء كلها، وأحس كبار رجـال الدين بالتعاطف مـع الشعـب عنـدمـا رأوه يـائسـا، وتجردوا مـن كـل امتيازاتهم. وكانت ليلة الرابع من أغسطس. . .)

تقرير لي شابلييه
بعد ليلة الرابع من أغسطس

لي شابلييه : سادتي، أقرأ عليكـم مرة أخرى ما قررتموه لتـوّكم في هذه الليلـة! قـرر المجلس الـوطنـي إلغـاء الحق المطلـق في استغلال أوكـار الأرانب وأبراج الحمام، وإلغاء العبـودية والأوقـاف، أيا كـان اسمها، وإلغـاء أي قضاء خـاص بالأشراف وإلغاء أيـة ضريبة نقدية تمثـل العشور، وإلغاء حقوق التأجيل والتأديـة، وإيراد السنة الأولى الذي كان كل أسقـف يدفعه للبـابا بعـد احتلاله منصبـه، وتعدد الأرباح. وقرر لتوه مسـاواة الجميع في دفع الضرائب، أيا كان نوعها، وحق كـل المواطنين، بلا تمييز، في الوظائف المدنية والعسكرية، و إقامة عدالة مجانية خالصة من بيع الوظائف وشرائها.

وقـرر المجلـس لتـوه التنـازل عـن الامتيـازات الخاصـة بالمقاطعات والمدن، وتعديل مجالس المحلفين والطوائف المهنية.

وسيصدر المجلس وساما ويقيم صلاة شكر رسمية تخليدا لـذكرى هـذا اليوم: (يلي هـذه القـراءة تجرّد النبلاء وكبـار رجـال الـديـن فيقـذف النبـلاء على الجمهـور شـاراتهم،

وصدرياتهم، ويـاقتهم، بحركة مسرحية للغـاية تدل على الكرم وفي الـوقت الذي يقرأ فيـه لي شابلييه تقريـره، ينشأ نوع من اليقظـة الممزوجة بالذهول، والـروع، ثم الجنون. ويحاول كـل واحد أن يسترد مـا تجرد منـه، ويولي الجميـع هـاربين، وهم يحملـون ويضمون إليهـم بعضا مـن بقايـا عزهـم وأبهتهم. وعندمـا ينطق لي شـابلييه بآخـر جملة في تقريره، ينزل إلى الأرض، بين المتفرجين).

لي شابلييه : (بلهجـة تمثيليـة) والآن سيـداتي سـادتي، ستشـاهـدون منـاقشة بـرلمانية أصيلـة حـول موضـوع حقوق الإنسـان والمواطن. سيمثل نوابنا بينكم، ونطلب منكم أن تنتبهوا مـا أمكن. هـاهو مـوضـوع اليوم: المادة الأولى: يشعـر البشر جميعا بميـل لا يقاوم إلى تحري السعـادة، على كل حكومة إذن أن تستهدف السعادة العامة.

المادة الثـانيـة: تترتـب على هذه الحقيقـة التـي لا تقبـل المنـاقشـة بعـض النتـائج: تقـوم الحكـومـة لمصلحـة المحكومين لا الحكام، ولا يمكن اعتبار أي وظيفة عامة ملكا لمن يشغلها، والأمة مصدر السلطات.

المادة الثالثة: خلق الناس أحرارا ومتساويين في الحقوق: فلا مزية لأحد إلا بقدر ما يقدم من نفع للمجتمع.

المناقشة البرلمانية

(يدخل النواب بين حشد المتفرجين. وكلما تحدث أحدهم، صعد درجات السلالم المؤدية إلى المنصات أو صعد إلى المنصات ذاتها).

أول نائب مجهول : «اذكركم، قبل مناقشة مـادة كهذه، بأن علينا أن نبت في الموضـوع الآتي: هـل نضـع إعلانـا لحقـوق الإنسـان في مقدمة الدستور؟!

النائب دوران : كلفني ناخبي بالمطالبة بإعلان يكون أساسا للدستور.

النائب الأسقف لانجر : تكوين أية امبراطورية لا يحتاج إلى إعلان للحقوق. وهناك كثيرون لن يستطيعوا معرفة الحكم التي ستقدمونها لهم!

النائب دوران : سنعلقها في المدن، والمحاكم، بل والكنائس، فالشعب الذي فقد حقوقه ويطالب بها يجب أن يعرف المبادىء التي تقوم عليها ويعلنها. ويبدو أن البعض يخشى إعلان هذه المبادىء. وسيكون الشعب أكثر امتثالا للقوانين عندما يعرف أصلها ووظيفتها.

النائب اسقف لانجر : في رأيي أن الشعب لا ينبغي أن يظل جاهلا. لكني أرى أن نعلمه بالكتب لا بالدستور أو القانون. فلا ينبغي أن نضع شيئا لا فائدة له!

النائب برناف : لا فائدة له! يقال إن الإعلان لا فائدة له لأنه مكتوب في كل القلوب، ويقال إنه خطير لأن الشعب قد يسيء استخدام حقوقه حالما يعرفها. لكن التجربة والتاريخ يردان على هاتين الملحوظتين، وينفيانهما نفيا قاطعا. اعتقد أنه من الضروري أن نضع في مقدمة الدستور إعلانا للحقوق التي يجب أن يتمتع بها الإنسان.

النائب : يشتمل إعلان الحقوق حتما على مواد صعبة الفهم ويمكن الاختلاف في تفسيرها. وليس من الفطنة أن نعرض الحقوق بدون أن نحدد الواجبات. إن إعلان الحقوق بمثابة كتاب في الأخلاق قد لا تفهمه كل طبقات المواطنين ويمكن أن يساء استخدامه. إن إعلانا للحقوق بلا حدود سيرحب به الشعب لأنه يذكره بالمساواة وبالحرية الفطرية، ولكن، هل يدرك الشعب أن هذه المساواة الفطرية ليست، للأسف سوى وهم فلسفي؟ولكن ، فلنعد إلى الشعب حقوقه مع التحفظات التي يجب أن تأتي بها قوانين احترام الملكية،

والعدالة، والراحة العامة. حذار أن نكسر توا سدا حافظ عليه الزمن قبل أن نحتمي من السيل الذي يمكن أن تمتد موجاته إلى أبعد مما نريد، وتشيع الذهر، وتفسد تراثنا.

النائب كستلان : تقولون إن إعلان حقوق الإنسان لا فائدة له، وتذهبون إلى أبعد من ذلك وتظنونه خطيرا، في هذه اللحظة التي تنفك فيها كل أواصر الحكومة، وعندئذ تأخذ الجماهير في ارتكاب أعمال عنف يخشى أن تزداد. لكني متأكد يا سادة أن أغلب الذين يستمعون إليّ يرون رأيي، وهو أن السبيل الوحيد إلى وضع حد للفوضى هو إرساء قواعد الحرية. وكلما عرف البشر حقوقهم، كلما أحبوا القوانين التي تحميها.

النائب مالويه : سادتي، تتطلب اللحظة التي نحن فيها العمل والتفكير أكثر من الكلام. الأمة تنتظرنا، وتطلب منا النظام، والسلام، والقوانين التي تحميها. ولكن لن تنتهي المناقشات يا سادة، وسيبلغ الجنون الفلسفي ذروته. فبين مواطنينا حشد هائل من الذين لا يملكون شيئا وينتظرون، أولا وقبل كل شيء، ما يعينهم على العيش من عمل مضمون، وشرطة منضبطة، وحماية دائمة وهم يسخطون أحيانا، ولهم الحق كل الحق في ذلك، عندما يرون مظاهر البذخ والترف. أنتم لا تظنون، بلاشك، أنني انتهي إلى أن هذه الطبقة لاحق لها في الحرية كغيرها ولكني اعتقد يا سادة انه من الضروري، في أية دولة كبرى، أن يرى الرجال الذين وضعهم القدر في حالة تبعية مقدار الحرية الطبيعية أكثر مما يرون حدودها.

النائب جراندان : ولنكف، بالفعل، عن الاستسلام إلى أمور خفية فلسفية. يكفي في إعلانكم أن تعرفوا كلمات الأمن، والملكية والحرية، بأنها أسس المجتمع.

على أية حال، يجب أن نبدأ أولا بالقوانين التي تعمل على تقريب البشر بعضهم من بعض قبل أن نقول لهم، كما هو الحال في الولايات المتحدة، إنهم جميعا متساوون.

النائب س : سادتي، أنا مكلف بأن أقرأ عليكم مشروع إعلان لحقوق الإنسان أعده المكتب السادس.

المادة الأولى: منحت الطبيعة كل إنسان الحق في السهر على بقائه والرغبة في السعادة.

المادة الثانية: ولكي يضمن بقاءه ويحصل على رفاهيته، فقد منحته الطبيعة بعض المواهب. وتتمثل الحرية في الممارسة التامة لهذه القدرات.

المادة الثالثة: حق الملكية مستمد من استخدام هذه القدرات.

المادة الرابعة: لكل إنسان حق متساو في الحرية والملكية.

المادة الخامسة: ولكن الطبيعة لم تعط كل إنسان نفس الإمكانات التي يستطيع بها استخدام حقوقه. ومن هنا نشأت اللامساواة بين البشر.

(يفترق النواب ــ المشخصاتية، بعد المناقشة البرلمانية، ويهنىء كل منهم الآخر في جو من التضامن الباسم والتام. وإذ يبقى النائب ـ الأسقف وحده. يخلع النائب الأسقف ثوبه ليعود مشخصا، ويمثل «الإرادة العامة» في شكل امرأة جميلة تتشاجر مع السلطتين التشريعية والتنفيذية حول موضوع حق النقض الملكي: «ليذهب حق النقض إلى المشنقة!» وتأتي مشخّصة ترتدي ملابس زنجية، وتشرح الطريقة التي يطبق بها إعلان حقوق الإنسان في سان دومينج.

ويبدو التناقض الصارخ بين المادة الأولى ــ «يولد كل البشر

أحـرارا، ويظلون أحـرارا ومتسـاويـن في الحقوق» ــ والمادة «١٧» ـ «بما أن الملكية حق مقـدس لا ينتهك فلا يمكن أن يحرم منهـا أحد» ــ وبالنسبـة لعبيد سـان دومينج السـود: «جرى الحديث عن البشر، يا أعـزائي لا عن الزنوج! . . .» والمشكلة أبعد ما تكون عن أن تجد حلا.

في بـاريـس، اقترب الشتـاء واقتربـت المجـاعـة. . . وعكفت الجمعية الـوطنية على دراسة مشاكـل الاتيكيت وتظهـر فجـأة وسـط الحشـد امـرأة تنـدد بمنـاورات المحتكـريـن، أي الخبـازيـن الـذيـن اشترتهم المؤامـرة الارستقراطيـة ليجوعوا الشعـب. وفي ذلك الـوقت، في فرسـاي، يتخم الملك والملكة ويـواصل الملك معـارضته للقرارات الهامـة. وفي النهايـة، تداس الشـارة الوطنيـة الثلاثية اللون بالأقدام أثناء وليمة الحرس الخاص.

عندئذ تقرر النسوة الذهاب إلى فرساي والعودة بالملك إلى باريس. وكان هـذا ثاني انتصـار كبير يحرزه الشعب في أيام أكتوبر. . .

وإزاء هذا الانتصـار الذي أفلت مـن الجمعية الـوطنية، ممثلا في ثلاثة نواب، فإن الجمعيـة تصدر قانون الأحكام العرفية.

إلى النسوة اللاتي عدن بالملك والملكة إلى باريس

النائب الأول : صمت! على الشعب الحر أن يكون عاقلا. إذا لم تتخلوا عن هـذه الأفعال المتسرعة الـلامشروعة فـإنهم ستحفرون قبورهم بأيديكم.

النائب الثاني : وسيهرب كل المواطنين الشرفاء الخائفين من عاصمتكم، وستصبح هذه المدينة بعد قليل مجرد صحراء!

النائب الأول : اتركـوا لنا المهام الصعبة! لأننـا نحن وحدنا نملـك زمام النظام والشرعية! لقد انتهت الثورة.

النائب الثالث : وبناء على ذلك ترى الجمعية العمومية أن الحرية تدعم الدول وأن الإباحية تهدمها، ولأن الحرية أبعد ما تكون عن الحق في فعل كل شيء، فلا وجود لها إلا بطاعة القوانين، ولأن هذه الفترات المتأزمة تتطلب مؤقتا إجراءات غير عادية للحفاظ على الأمن العام وحقوق الجميع، قررت الجمعية الوطنية وتقرر إعلان الأحكام العرفية الآتية :

المادة الأولى : إذا تعرض الأمن العام للخطر، يعلن مأمورو البلديات أن القوة العسكرية لابد أن تستخدم في التو واللحظة لإعادة النظام.

المادة الثانية : يتم هذا الإعلان بحمل راية حمراء وعرضها في كل الشوارع والميادين.

المادة الثالثة : عند التلويح بالراية وحدها، يصبح أي تجمع، سواء كان مسلحا أم لا، جرما يقمع بالقوة.

المادة الرابعة : إذا لم ينسحب المتجمهرون قط، وجه إليهم مأمورو البلدية، بصوت عال ثلاثة إنذارات بالانسحاب في هدوء. وسيكون الإنذار الأول بالعبارات الآتية : أعلنت الأحكام المعرفية، وأي تجمعات تعتبر جرما، سنطلق النار، فلينسحب المواطنون. وفي الإنذارين الثاني والثالث، يكفي تكرار عبارة : سنطلق النار. فلينسحب المواطنون.

وفي حالة التجاء الشعب المتجمهر إلى العنف، وعدم انسحابه بعد آخر إنذار، يعاقب الذين يقبض عليهم بالسجن عاما إذا كانوا غير مسلحين، وثلاثة أعوام إذا كانوا مسلحين، وبالإعدام إذا ثبت أنهم ارتكبوا أعمال عنف.

أعلن قانون الأحكام العرفية أمام النسوة فانسحبن. يبسط النواب الثلاثة ملاءة سوداء جنائزية كتبت عليها كلمة : «نظام»، ويخرج مارا من بين الحشد، ويرد على الجمعية التي تقدمت نحوه في حمى النظام.

مارا : المواطنون الحذرون، ومن يحبون راحتهم، وذوو الحظ السعيد في هذه الدنيا لا يخشون شيئا كما يخشون الثورات الشعبية : فهي تميل إلى هدم سعادتهم بإتيانها بنظام جديد للأشياء. فهم لا يتكلمون إلا عن تهدئة الشعب، ويسوقون أسبابا قوية، في هذا الصدد. إلى أي شيء ندين بالحرية إن لم يكن للثورات الشعبية؟ فالثورة الشعبية هي التي أسقطت الباستيل، والثورة الشعبية هي التي أجهضت المؤامرة الارستقراطية.

ولم تنهض الجمعية الوطنية إلا بفضل الثورات الشعبية! نحن مدينون إذن بكل شيء للثورات الشعبية، مدينون لها بتدهور الأكابر ورقي صغار القوم. أيها المواطنون، لن يساعد هذا القانون إلا على تحطيمكم. استيقظوا، أيها المواطنون! استيقظوا!

البيع بالمزاد العلني

النائب الثالث : (للجمهور) والآن، وبعد أن رسمنا بهذا القانون المفيد، الإطار الذي يمكن أن تمارس فيه الحرية طليقة من كل قيد، نقرر أن الجمعية الوطنية لن تتكون من الآن فصاعدا، إلا من النواب الذين يستطيعون أن يدفعوا ضريبة قدرها ٥٠ جنيها، لأن أصحاب الأملاك وحدهم لهم الصفات الكافية لإدارة شؤون الدولة، ولن يستفيد أحد من إدارة الدولة إذا كان مالكا ومن ثم، ننتهي إلى أن على الأثرياء أن يحكموا الفقراء! وكبداية، ولدعم...

النائب الأول : الثراء...

النائب الثاني : والنظام....

النائب الثالث : . . . والقرن التاسع عشر، إذ علينا ألا ننسى أنه يدق أبوابنا!

سنقوم ببيع أملاك الكنيسة، اليوم، بيع ضيعة رائعة بالمزاد العلني يملكها رهبان سان جيل البندكتيين: كنيسة كبيرة، وقصر، وأرض لزراعة القمح، ومخزن للدريس، وأثاث، وأطقم مائدة ـ ويبدأ المزاد بخمسة آلاف جنيه! اقتربوا! اقتربوا!

(عندما يعلن عن البيع بالمزاد العلني، يدخل موكب الملاك البورجوازيين، على أنغام الموسيقى العسكرية (مارش قنصلي). وملابسهم توحي بالقرن التاسع عشر، ويشتركون في المزاد، ويحيى كل منهم الآخر بأدب أولا، ولكن. حالما يبدأ البيع، يفقدون اتزانهم ويتبادلون الشتائم والضربات إلى أن يقاطعهم «مارا» الذي يوجه الخطاب إلى الجمهور قائلا:

مارا : أيها المواطنون، ما الذي نجنيه من القضاء على أرستقراطية الأشراف إذا استبدلناها بأرستقراطية الأثرياء، انظروا حولنا، انظروا كيف فرق البخل والجشع بين المواطنين، والآن يتحرى البلاط والوزراء ذريعة لذبح المواطنين الطيبين. وهاهي الذريعة: هرب الملك!

(يهرب الملك والملكة على إيقاع دقات مضحكة أمام أعين البورجوازية المرتاعة والتي تغطي هربهما. يخرج برناف من مجموعة البورجوازيين).

برناف : أي تغيير اليوم مشئوم، وأي امتداد للثورة اليوم كارثة. والسؤال، أطرحه هنا: هل ننهي الثورة، أم نستمر فيها؟

سيلحق بنا ضرر كبير إذا استمرت هذه الحركة الثورية

التي هدمت كل ما لزم هدمه وقادتنا إلى النقطة التي كان يجب أن نقف عندها. ولن تقف هذ الحركة إلا بعزم كل من تتكون منهم الأمة الفرنسية.

إذا خطت الثورة خطوة أخرى، تعرضت للخطر. فخطوة أخرى في سبيل المحرية معناها زوال الملكية، وخطوة أخرى في سبيل المساواة معناها الاعتداء على الملكية! لقد انتهت الثورة!

(تدق الدقات الثلاث على المنصة المواجهة للبورجوازية معلنة عن بدء عرض مسرحي. يجلس البورجوازيون وكأنهم في مقاعد القاعة ليصفقوا لعرض ثورتهم الخاصة. يقدم لهم مشخص قصة عولجت بطريقة تهريجية: تنتزع البورجوازية الشعب من حقيبة سفر كبيرة، وتقبل الأشراف ورجال الدين ثم يعود طائعة إلى مخبئها. تصفيق، وضحكات من البورجوازية. لكن، فجأة تتحول الضحكات التى صرخات هلع، ويخرج الشعب من مخبئه ويحاول أن يخنق مشخص - البورجوازية. الذي ينادي: أغيثوني بالحرس الوطني! يطبق الحرس قانون الأحكام.

العرفية : تطلق النار، ويخرج موكب البورجوازية راضيا من «المسرح» بينما ينطلق مارا بهذه الكلمات.

مارا : آه لو استطعت أن أنقل إلى روح مواطني النيران التي تحرق روحي، آه لو استطعت أن أضم إلى صوتي ألفي رجل تميزوا بالعزم؟ يا إلهي! آه لو استطعت أن أترك لطغاة العالم أجمع مثالا مروعا للانتقام الشعبي! أقولها بصدق من قلبي، مادامت الحرب الأهلية هي أملنا الوحيد، فمرحى بها في أقرب وقت.

(يقرأ مشخص النص الآتي)

«أيها الخونة، تصرخـون قائلين إن لابد مـن تجنب الحرب الأهليـة، وأنه لا ينبغـي اضرام نار الشقـاق والفرقـة بين أفراد الشعب» وأي حـرب أهلية أكثر إثارة للضغينـة من تلك التـي ترينـا القتلة في جانـب، والضحايـا العزل في الجانب الآخر!

أتستطيعون اعتبار من يريد تسليـح الضحايا ضد القتلة مجرمـا؟ فلتقـم المعـركـة حـول الفصـل الشهير الخاص بالمساواة والملكية!

فليقلـب الشعب كـل المؤسسـات البربـرية القـديمـة. ولتقف الحرب الشائنة التـي يشنها الغني على الفقير عن اتخاذ هذا الطابـع: الإقدام كله في جانـب، والجبن كله في جانـب آخر. نعـم، أكررهـا، بلغـت الآلام الذروة، ولا يمكـن أن تكون أسـوأ مما هـي عليه الآن ولا يمكـن تغييرهـا إلا بـانقـلاب شـامـل، فلنتطلـع إلى هـدف المجتمع، ولنتطلع إلى السعادة الشاملة ولنأت ونغير بعد ألف عام هذه القوانين الوحشية.

وبـإطلاق المدافـع في شان دي مـارس، يـوم ١٧ يوليـو ١٧٩١، طبق قانون الأحكام العرفية بحذافيره: «انتهت الثورة» ومسرحية «١٧٨٩» أيضا....

ختـــام

«١٧٩٣»

الثورة أمر طبيعي في عالمنا

(تـدعو دقـات الطبـول المتفرجين الموجـوديـن في الصحن الأول، صحـن الاستقبال، إلى الدخول إلى الصحن الثاني في كنيسة «لاكرتوشري» حيث يقف ممثلو «مسرح الشمـس» على منصة طـويلة في مـلابس عظماء العهـد الماضي، وعلى أنغام مـوسيقى بـرليوز، يتقمصـون شخصيات تـاريخ الثـورة الفرنسيـة ويظهـرون تبـاعـا كلما نـادى الزعيـم، وبينما يقـدم المنـادي للنظـارة مختلـف الحلقات، يؤدي الممثلون أدوارهم بخشونة).

الاستعراض

الزعيم : سيداتي سادتي، سنقدم لكم استعراضا لسنتي ١٧٩١، ١٧٩٢ وستمثلـه أعظـم شخصيــات التـاريـخ. أولهم عـاهلنا المحبـوب الطيـب لـويس السـادس عشر، ثـم زوجته مـاري انطوانيـت، تليها الحاشيـة النمساويـة ثم جيـش المهاجـرين الهائل. والـدول الأجنبية العظمـى: فرانسـوا الثاني ملك النمسـا، وفردريك جييـوم امبراطور بروسيا، وكاترين ملكة روسيا، والأمة البولندية، وقداسة البابا بيرس السادس. والجنـرالات الارستقراطيون الماركيز لافاييـت، والجنرال ديبون والجمعيـة الوطنية التـأسيسية بطبقـاتها الثـلاث: النبـلاء، ورجـال الـديـن والطبقـة الثـالثـة، والمجلـس التشريعـي، وتمثلـه البـورجـوازيـة وحدها، وكدت أنسى شعب باريس.

يونيو «١٧٩١» جريمة كبرى تـرتكب، لويس السادس

عشر يهرب ويترك منصبه بطريقة لا تليق والشعب يقبض عليه في فارين، ويعيده إلى باريس، وتقدم عريضة في ميدان شان دي مارس.

الشعب : أيها الممثلون، على لويس السادس عشر أن يتنازل عن العرش، ويطلب منكم شعب العاصمة بالحاح، باسم فرنسا كلها، أن تقبلوا تنازله وأن تستدعوا جمعية جديدة.

الزعيم : أمر لافاييت بإطلاق النار على الجماهير المحتشدة بلا إنذار، وقالت الجمعية التي لم تغفل شيئا لتحبّب الملك في الدستور: «تقدم لك الأمة أعظم عرش في العالم، فهل تتفضل بقبوله»؟

نعم، أقبله، وتنقل الجمعية التأسيسية سلطاتها إلى الجمعية التي تنفض، لكن الملك يستمر في الخيانة فهو يراسل المهاجرين الذين يتحرقون شوقا للانتقام. انظروا إليهم في كوبلينتز. (يلبسون أحدهم الطاقية الحمراء، على سبيل السخرية، ويضربونه على إيقاع تصفيق رجال البلاط ومباركة البابا).

يوجه الملك نداء إلى الدول الأجنبية ولا ترد عليه، لأنها مشغولة بتقسيم بولندا فيما بينها. وأصبحت الآن حرة التصرف في فرنسا. وتطلب الجمعية التشريعية من القساوسة أن يقسموا بأن يظلوا مخلصين للأمة ويسهرون بإخلاص على الرعية التي عهد بها إليهم، ويكونوا أمناء عليها. لكن البابا يمنع ذلك في حين يوافق عليه الملك.
وإزاء هذا الاضطراب العام، لا ترى الجمعية خلاصا إلا بالحرب. يريد الجميع الحرب، يريدها المهاجرون لإعادة الإقطاع، والملك والملكة لأن الأمة لن ترى خلاصها إلا في الارتماء في أحضانها إذا ما حل بها الشقاء، والدول الأجنبية لكي تمنع حب الحرية الذي يدفع فرنسا إلى غزو أوربا، والجنرالات الارستقراطيين لإرساء الدكتاتورية

العسكرية، وتريدها الجمعية التشريعية لكي تضمن ثراء البورجوازية الفرنسية. وفي ٢٠ أبريل ١٧٩٢، أعلنت فرنسا الحرب على ملك بوهيميا والمجر.

وأخذ مجلس الوزراء في وضع المعارك، وسلمها للملك الذي خان الأمانة وسلم الخطط للعدو.

وفي ٢١ يوليو ١٧٩٢، تقدمت قوات عديدة نحو حدودنا. وراح كل الذين يمقتون الحرية يتسلحون ضدنا.

الجمعية التشريعية : أيها المواطنون، الوطن في خطر وعلى الذين سيكونون لهم شرف السير في المقدمة أن يتذكروا أنهم فرنسيون وأحرار. وسينقذ الوطن.

الشعب : تحيا الحرية!

الزعيم : توالت الخيانات والهزائم. وتعرضت فرنسا للغزو. وفي ٢٧ يوليو ١٧٩٢ ظن الطغاة أنهم انتصروا فأطلقوا العنان لكبريائهم، وصرح صاحبا الجلالة فرانسوا الثاني وامبراطور النمسا. وفردريك جييوم امبراطور بروسيا بأنهما سينتقمان انتقاما مثاليا يذكر إلى الأبد، بتسليم مدينة باريس للقتل العسكري والثوار للتعذيب الذين يستحقونه، بلا أمل في العفو عنهم، إذا هوجم قصر التويلري وتعرضت الأسرة الملكية لأدنى قدر من الإهانة أو العنف. (صمت) سيداتي سادتي، مثلنا لكم لتونا كفاح الأقوياء ضد الشعب وسترون الآن كيف سينظم الشعب كفاحه ضد الأقوياء. (يشير الزعيم بيده إلى الستار الذي ينفتح على الصحن الثالث. صحن أعضاء الأقسام في الوقت الذي يخلع فيه الممثلون ملابس الاستعراض). يوم ٢١ يوليو ١٧٩٢ طلبت فرنسا كلها سقوط الملك، وفي باريس خاصة حرر مجلس حيّي «السوق» وقسم موكونسيي عريضة. إذا أردتم أن تعرفوا ما فيها اتبعوني، ادخلوا!

عريضة موكونسيي

راوي : في يـوم ٣١ يوليـو ١٧٩٢ ، غـزا المواطنون على اختـلاف انتماءاتهم مجالس الأحيـاء. سأمثـل دور الخباز رينـوار الذي كان يجهـل القراءة والكتابة، وكـان رئيس المجلس آنذاك (يمثل دور المواطن الخبار)

المواطن الخباز : أولا خيانة الملك. لا نريد الملك! العدو يقترب. سيسلم لـويس السـادس عشر مدننـا للقتل. منـذ الأبد وضـع طاغية حقير أيـدينا في الأغلال، وكمم أفـواهنا، وأغلق عيـوننا، وسـد آذاننا. لنتحـد أيها المواطنون، فلننهـض ونقرر سقوط هذا الملك قاسي القلب.

المواطن الحداد : دعنا من إحصاء جرائمه وخيـاناته. لا ينبغي أن ننتظر، فلنضرب عمــلاق الاستبــداد الـرهيــب، فليسقــط، فليتحطم، وليلق صوت سقطته الرعب في قلوب الطغاة أينما كانوا.

المواطن الكاتب : أيها المواطنون «علينـا أن نسجل كـل ما نقـوله هنـا طبقا للأصـول الواجبـة في عريضـة نوقعهـا جميعا، ونقـدمها للمجلــس، بمــوافقــة الأقســام الأخــرى السبعــة والأربعين»!

المواطن الحفار : قل لهم، في عريضتنا، قل لهم إن قـوة الملوك تستمد من الـرأي العـام وحـده. حسن، لنستخـدم الـرأي العـام لإسقـاطه! ولنتفـق جميعا على أن نقـول: لم يعـد لويـس السادس عشر ملك الفرنسيين!

المواطن الكاتب : الدستور، لا نريده.

المواطن الحفار : فلنطرده، هو وخدمه الذين تغصّ بهم مدينتنا!

المواطن الاتحادي اجريكول شابيت :

نعم، أيها المواطنون، لابد من طـرد أنصار الثورة المضادة الذيـن تغص بهم باريـس. ولقد سبق أن التقينـا، نحن متطوعـي مارسيليا بهؤلاء الملكيين الذيـن كانوا يتحـدوننا ويصيحون: يحيا الملك!

المواطن الاتحادي نيني دالوك :

تحيا الأمة! لكننا لم نكن نـرد عليهم في التو واللحظة لأنه طلـب منا ألا نـرد على الاستفـزازات. لـذلك، تمالكنـا أنفسنا!

اجريكول شابيت : يحيا الملك!

نيني دالوك : تحيا الأمة!

أجريكول شابيت : آه! أنتم أعضاء اتحاد مارسيليا الذين تفرون كالأرانب!

نيني دالوك : هذا ما كانوا يقولونه لنا! (يتعاركان). وقد رأيتهم، دخلوا قصر التـويلـري ومـازالوا فيـه، ولا ينبغـي أن نتيـح لهم الفـرصة لكـي يفعلـوا ما يشـاؤون. . . لقـد جئنا نحـن لنحارب ، وإذا كان شعب باريس لا يريد أن يتحرك، سنعود إلى ديارنا!

المواطنة انجيل : أتظن أننـا لن نتحرك أيها المواطـن. . لكن، بـوسعي أن أقـول لـك، إننـا جميعـا مستعـدون، ونحـن النسـاء، بالذات، لدينا أسباب وجيهـة تجعلنا نفعل ذلك. فأمام المخابز، تقف الطوابير في الثالثـة صباحا، بل قبل ذلك أحيـانـا. وقالـت لي المواطنـة هنـرييت روكـونكـور إنها تستيقظ في الثانية صباحا.

المواطنة هنرييت : السـاعـة الآن الثالثـة صبـاحـا. وصلت أمـام المخبـز، وسأكون أول من وصل هذه المرة. ربما حصلت على شيء من الخبز!

انجيل : كـان نصف كيلـو الخبـز يسـاوي ثمانية مليمات. وكـان الشخص الواحد يحتاج إلى كيلـو ونصف في اليوم، لعدم وجود شيء آخر يؤكل، والعامل يتقاضى أربعين مليما في اليوم، كيف يستطيع إذن أن يشتري خبزا؟

(تصعد النسـوة جميعا على المائدة لتمثيل مشهد الطـابور أمام المخبز)

هنرييت : نقف نحن هنـا، في الطابور، من أجـل كسرة من الخبز، والطعـام متـوفر لـلأثـريـاء! مـررت صباح اليـوم أمـام التويلري، وأدركت أن أشياء أخرى غير الأسلحة تدخل القصر. كانت هناك عربات مليئة بالمؤن، وكميات كبيرة من اللحم، وخبز أبيض لم نأكل مثله أبدا. . .

انجيل : لا لحم في قصر التويلري فقط، بل إنه عند كل الأثرياء، وكـل البورجـوازيين، وأسيادي يـأكلـون عدة مـرات في الأسبوع الواحد.

المواطنة جبرييل : الخبز موجود عند أسيادي، خبز أبيض جميل مصنوع من الدقيـق الخالص، لا خبـز أسود كـذلك الـذي آكله في المطبخ.

المواطنة ليوني : عندما أدخل، أنا أيضا، إلى المطابخ، أرى أطباقا عائدة من قاعة الطعام، وبقايا طعام. منهم من لا يأكلون كل ما يقدم لهم!

المواطنة تريز : وأنـا أرى شيئا آخـر في السوق. إذا مـررت أمام المحـال ومعـك أوراق نقـدية، لا تجد شيئـا فيهـا، لا تجد شيئـا يعرضـه الباعـة، لكن إذا مـررت خلف المحـال، وكان معك جنيه ذهبي وجدت كل ما تريد.

المواطنة لويز : ما الذي استفدناه إذن من الاستيلاء على الباستيل وإعادة الملك إلى باريس؟ إذا كان الخبز موجودا في التويلري، فلابد أن نذهب ونأخذه من هناك، يجب أن نحمل السلاح ونذهب لنأخذ الخبز من التويلري.

المواطنة جان : (التي تمثل دور الخبازة) من الأولى؟ (تبيع رغيفا لهنرييت) لا داعي للانتظار، نفذ الخبز!

(تنقض النسوة على المرأة التي أخذت الرغيف لانتزاعه منها، ثم يشهدن الرجال على أن شعب باريس سيتحرك. يعيد الكاتب اونوريه فيرون قراءة العريضة قبل أن يذهب ليقدمها إلى المجلس.

المواطن الكاتب : العام الرابع للحرية، يوم ٣١ يوليو، انعقد المجلس، وزاد عدد الحاضرين على ستمائة مواطن وناقشوا الأخطار التي يتعرض لها الوطن. ونظرا لأن هذه الأخطار تتفاقم كل يوم نتيجة للخداع الواضح للسلطة التنفيذية وعملائها، ونظرا لاستحالة إنقاذ الحرية بالدستور، ونظرا لأن لويس السادس عشر قد فقد ثقة الأمة، يعلن المجلس بالتالي لكل الإخوان وبأوضح الطرق وعلى الملأ، انه لم يعد يعترف بلويس السادس عشر ملكا للفرنسيين، ويقرر توجيه النداء إلى السبعة وأربعين قسما وإلى الدوائر التي تقع في محافظة باريس داعيا إياها إلى الموافقة على هذا القرار، والانضمام إليه، يوم الأحد القادم ٥ أغسطس، في الحادية عشرة صباحا، ليقدم المجلس للجمعية التي يؤدي دورها أعضاء الأقسام وسؤالها أتريدون أن ينقذ الوطن أخيرا. . . »

أيها المشرع باسم قسم موكنسيي أقدم لك هذه العريضة التي نطلب فيها إسقاط الملك!

المواطن النجار : سنفكر في الأمر! (يطوي العريضة ويلقي بها في وجه الكاتب). هذا ما قالته الجمعية!

المواطن بائع النبيذ : «أيها المشرعون، مازلنا نترك لكم شرف إنقاذ الوطن، لكن، إذا رفضتم أن تفعلوا، تحتم علينا أن ننقذه نحن. إذا لم تنزل الجمعية على إرادةالشعب قبل منتصف ليلة التاسع من أغسطس، ستدق أجراس الخطر وسيعلن شعب باريس ثورته».

انتخاب المندوبين

(يجلس أعضاء الأقسام جميعا حول المائدة)

راوي : عرفنا ليلة التاسع من أغسطس، ان الجمعية تجاهلت الإنذار النهائي. عندئذ أعطيت إشارات الإنذار، ودقت أجراس الخطر، وفي ليلة العاشر من أغسطس الهادئة استعد سكان الضواحي لخوض المعركة الكبرى منذ الفجر، أيها المواطنون، ندعو أقسام باريس كلها إلى انتخاب ثلاثة مندوبين يمثلونها في «قاعة المدينة».

(يؤدي دور المواطن الحداد) كنت قد عرضت، أيها المواطن (يصعد المواطن الجزار على المائدة ليرد على الأسئلة).

اسمك؟

ـ فيليسيان بارون

ـ عنوانك؟

ـ أسكن عند صاحب العمل.

ـ مهنتك؟

ـ صبي جزار.

ـ أجرك؟

ـ عشرين مليما في اليوم

ـ هل تعرف القراءة؟

ـ لا !

ـ أين كنت يوم ١٤ يوليو ١٧٨٩ ؟

ـ وسط الحشد، في الباستيل !

ـ ماذا فعلت من أجل الثورة، منذ ذلك اليوم؟

ـ اشتركت في كل الأيام الثورية !

ـ وماذا تفعل غدا؟

ـ غدا، سأطيح بالتويلري، وبعدها، اذبح الخنزير السمين لويس كابيه، ثم أعطي طعاما للجميع، لأنني أعرف المحال الخاوية. أما خلفيات المحال، فمليئة، لذا سندخل فيها و. . .

(هياج واضطراب في القسم)

المواطن بائع النبيذ : أتظن أنني سأدعك تنهب محلي الذي أبيع فيه النبيذ؟

المواطن النجار : لن نبدأ في نهب التجار الشرفاء، لأن ذلك قد ينقلب ضدنا. .

المواطن الاتحادي **نيني دالوك** :

ولماذا لا تدلي النساء بأصواتهن؟

(جلبة تنم عن عدم الموافقة. انتقال إلى المرشح الثاني)

المواطن الحداد : اسمك؟

ـ انطوان ماريشال

ـ عنوانك؟

ـ ٧، شارع «بيتي ـ كارو».

ـ مهنتك؟

ـ نجار أثاث .

ـ ماذا تربح ؟

ـ أربعين مليما في اليوم تقريبا .

ـ هل تعرف القراءة؟

ـ لا !

ـ أين كنت يوم ١٤ يوليو ١٧٨٩ ؟

ـ في الباستيل !

ـ ماذا فعلت من أجل الثورة ، منذ ذلك اليوم؟

ـ اشتركت في كل الأيام الثورية ، ودخلت الأقسام مع المواطنين السلبيين .

وماذا تفعل غدا؟

ـ يتوقف ذلك عليكم ، إذا انتخبتموني ، ذهبت إلى جماعة الحيّ وإلا ، ذهبت للقتال في التويلري ، سيان بالنسبة لي !

المواطن الحداد : من ينتخبه؟ (تصويت برفع الأيدي) انتخب ! (انتقال إلى المرشح الثالث)

ـ اسمك؟

ـ باتيست دومون .

ـ عنوانك؟

ـ ١ ، شارع سان لوران .

ـ مهنتك؟

ـ صحفي .

ـ أجرك؟

ـ أصرف في الشهر قرابة ثلاثمئة جنيه تقريبا .

المواطنة ايميلي : أما أنا، فأكسب جنيها واحدا في اليوم، أيها المواطن!

المواطن الحداد : هل تعرف القراءة؟

ـ نعم أعرف القراءة والكتابة.

ـ أين كنت يوم ١٤ يوليو ١٧٨٩؟

ـ في داري . . . أنا من بلدة ألنسون.

ـ ماذا فعلت من أجل الثورة، منذ ذلك اليوم؟

ـ لم أفعل شيئا بعد، لكني مستعد لإعطائها حياتي.

ـ ماذا تفعل غدا؟

ـ إذا انتخبتموني، أقسمت أن أبذل كل جهدي لإنقاذ الوطن. سنكون جماعة حي ثورية مع مندوبي الأقسام الأخرى وأتعهد بأن أقدم لكم تقريرا عن مهمتي كلما أمرتموني بذلك.

ـ بعد زوال الملكية، ما الذي ستفعله من أجل سعادة الكل؟

ـ اعتقد أن عزل لويس السادس عشر لن يكفي للقضاء على مصدر آلامنا. فيم يهم زوال الملك إذا بقي الطغيان؟ وإلى أي أيدي ستنتقل السلطة الملكية إذا لم نأخذ الحذر؟ ستنتقل إلى أيدي الجمعية التشريعية. . وهنا قد يكمن شر من الاستبداد الذي لا يحتمل. والاستبداد يظل استبدادا سواء كان له رأس واحد أم كان له سبعمائة رأس. ما من شيء يثير الرعب أكثر من السلطة اللامحدودة!

سأقرأ لكم ما قاله روبسبيير، مساء أمس، لليعاقبة. يقول لنا روبسبيير:

لابد من وضع قواعد بسيطة وعادلة لضمان نجاح الثورة. تنبع كل آلامنا من الاستقلال عن الشعب الذي وضع فيه

النواب أنفسهم. وبما أن من طبيعة الأشياء أن يفضل البشر مصلحتهم الخاصة على المصلحة العامة إذا استطاعوا ذلك بلا عقاب، فإن الشعب يقهر في كل مرة يستقل فيها نوابه عنه. لذا، يجب أن يدعى كل المواطنين إلى الدفاع عن الوطن، يجب أن يهتم كل المواطنين بالمحافظة عليه وعلى مجده، يجب أن يدعى كل الفرنسيين إلى الإدلاء بأصواتهم لانتخاب المجلس الجديد، وأن تتاح لكل المواطنين فرصة اختيارهم لكل الوظائف العامة.

كلمنا بعض المحتالين، حتى الآن، عن القوانين ليستعبدوننا ويذبحوننا، لكننا لا نملك أية قوانين، لا نملك سوى نزوات إجرامية لدى بعض الطغاة. إنهم ينصحوننا بإطاعة السلطة القائمة، لكن هذه السلطة ليست سوى خداع يتستر تحت ثياب سلطان ظالم. لقد أجبرتنا جرائمهم اليوم على ممارسة حقوقنا مرة أخرى.

فلنمارسها بطريقة تليق بنا وكفيلة بأن تضمن سعادتنا. لن نسعد إلا إذا كانت لنا قوانين، ولن تكون لنا قوانين إلا إذا سمع صوت الإرادة العامة واحترم، إلا إذا كف نواب الشعب عن الكذب عليه بلا رادع. وهذا هو هدف الوفاق الوطني الذي سنكونه. فلنبعد عنه كل أعدائنا الطبيعيين، كل عملاء الدسيسة، والطمع، والأنانية، بعمل الفضيلة والعبقرية، وهو ملك للأمة كلها دون سواها، لكن أيا كان نوابكم لا تجعلوا منهم سادة مطلقين لمصائركم، بل راقبوهم، وابدوا رأيكم فيهم، أيها الفرنسيون، المجد الخالد ينتظركم، لكنكم ستضطرون إلى شرائه بالعمل العظيم. لم يبق أمامنا إلا الاختيار بين أبشع أنواع الاستعباد والحرية الكاملة..
يجب أن يسقط الملوك أو يموت الفرنسيون!

إن مصيرنا مرتبط بمصير كل الأمم، يجب أن يساند الشعب الفرنسي كل العالم، وأن يدافع فيه عن نفسه في الوقت عينه ضد الطغاة الذين يتسببون في شقائه. فلينهض الجميع، فليتسلح الجميع، فليعد أعداء الحرية إلى الظلام!

فلنسمع أجراس الخطر التي تدق في باريس في كل أنحاء فرنسا. . أيها المواطنون، من الآن فصاعدا، نحن في حرب ضد ظالمينا. . ولن يعود إلينا السلام إلا إذا اقتصصنا منهم.

(ينتخب ويهتفون له)

المواطن الحداد : لقد انتخب!

باتيست دومون : أيها المواطنون، يحيطكم قسم المسرح الفرنسي علماً بأنه يفضل أن يموت ألف مرة على عدم السير معنا.

ـ وبواسونيير؟

ـ قالت إنها ستكون معنا.

ـ وعمال مصانع جوبلان؟

ـ يحملون السلاح وسيكونون معنا.

ـ وبون ـ نوفيل؟

ـ سبق أن تسلح

ـ حقوق الإنسان؟

ـ قادمة.

ـ والاتحاديون؟

ـ يطلب الاتحاديون في المحافظات الاثنتين وثمانين الانضمام إلى قسمنا للدفاع عن الوطن وإنقاذه تحت لواء واحد. .

ـ وأقسام «كنزفان»، و«مونترى» و«بوبنكور»؟

ـ أعلنت هذه الأقسام أنها ستتسلح وتسير معا، نظرا لارتباطها الوثيق بقسمنا، قلبا وقالبا، إذن، سيأتي كل قسم فوبور سان انطوان معنا.

ـ هل توجد أقسام لن تحمل السلاح؟

ـ لا، أيها المواطنون، باريس كلها ستتحرك، والمواطن روبسبيير انتخب في قسم «دي بيك» ولقد وصل إلى قاعة المدينة (محمولاً على الأعناق).

العاشر من أغسطس

راوي : بدأت كل الأقسام تتسلح منذ عدة ليال، لكن السلاح كان قليلا. (يمثل دور المواطن الحداد) من معه بندقية؟

المواطن لوبريتون : أنا!

المواطن الخباز : اصعد! هل تعرف كيف تستخدمها؟

المواطن لوبريتون : لا..

المواطن الحداد : من أين جئت؟

المواطن لوبريتون : من نانت..

المواطن الحداد : تمسك البندقية هكذا وتفعل ما سأعلمه لك الآن.

(وأخذ يعلمه استخدام البندقية بطريقة هزلية تهريجية)

(يعيدون الكرة. يتراجع لوبريتون، وينفذ صبر الآخرين)

المواطن الحداد : لا يوجد أمامنا من الوقت، ستعرض نفسك للقتل، أعطني بندقيتك..

المواطن بولنجيه : أعطني بندقيتك، وستكون أكثر فائدة للمجلس..

(يصبح الـدرس جماعيا، شيئـا فشيئـا، ثـم يـزداد الإيقـاع). أيها المواطنـون، سنسقـط الملـك، سنسير في الصفوف الأولى. إذا لم نجد بنادق، أخـذنا حرابا، وإذا لم نجد حـرابا ذهبنـا بأذرعنا العـارية وسنحتشـد صباح غد، سيكـون قصر التويلـري أمامنـا وسيصل الصـف الأول أمـام المدافع التـي ستطلق، لكننـا لن نمـوت أيها المواطنون، وسنـواصل المسيرة. وسيطلـق السويسريـون المحتمون بنوافذهم النار (يسقـط، ثم ينهض) لكننا لن نموت أيها المواطنـون وسنواصـل المسيرة، عندئذ سـآخذ شعلة وألقيها في مخزن البارود وسينفجر كل شيء (يسقط ثم ينهـض)، لكننا لن نمـوت. سيكون الباب أمـامنا، وسنكسره بـأذرعنـا العـارية (يكسر الـرجـال البـاب). سيكـون هنـاك سلـم كبير وسنصعـد بسرعـة، سيطلـق السويسريون الواقفون أعـلاه النار، سنلتفت، وستنطلق الطلقات القاتلة من كل جانب (ينهار).

راوي : وصلوا في الصباح. كان البعض يحمل سلاحا، والبعض الآخـر لا يحمل سـلاحا، بـل يحملون العصي. ووضـع البعض خطـاطيف الجزارين في طـرف العصي، ووجدوا أنفسهم هكذا، يحملون عصيهم والخطاطيف في طرفها، أمـام الصـف الأول مـن الحرس السـويسري، منتصبين كالأوتـاد. ورأينا أحـدهم يقترب مـن السويسري، فلـم يتحـرك. عندئذ، ضربـه ضربـة خفيفـة، كان جـامـداً كـالثلـج، وظل بـلا حـراك. فـأمسكـه بالخطـاف مـن عروةسترته و. . . . هوب، جذبه! عندئذ، أعاد الآخرون الكرة مرة، واثنتين، وثلاثة، وأربعة وخمسة، وهلم جرا. وعندمـا رأى القادة الارستقراطيون ذلـك سحبوا الحراس السويسريين كالأرانب. فلقـد رأوا جيدا أن روح التآخي تسود في كل مكان، وحدث هـذا مع رجال المدفعية. في

هذه اللحظة أطلق السويسريون الواقفون أمام النوافذ رصاصهم، ونكسوا سلاحهم، وقالوا لهم بثقة: اقتربوا. ولم يكادوا يصلوا تحت النوافذ حتى انطلقت القذائف من كل جانب. انبطحوا أرضا (ينبطح بعض أعضاء الأقسام على المائدة (وعندئذ، وصل نيني دالوك مع الموجة الثانية (يمثل دور هذه الشخصية).

نيني دالوك : لكي أدخل القصر، اضطررت أن أمشي على جثث إخواني القتلى. كان هناك ألف ميت أو لا أدري كم، مشيت في الدم، في الصمت، في الدخان. ومن خلال الدخان، رأيت السويسري الأول وقد صوب سلاحه إليّ، كان السنكي في طرف بندقيتي، لم أطلق النار. اتجهت إليه، وغرست السنكي في بطنه، وأخرجته من فمه. والسويسري الثاني أطلقت بندقيتي في وجهه مباشرة وفي أعلى السلم، رأيت الارستقراطيين. فصعدت. وهم أيضا، فتحت بطونهم ووراءهم رأيت النساء، والنساء أيضا قتلتهن.

المواطن الكاتب : لا، هذا غير صحيح! لقد كان شعب باريس عظيما، في ذلك اليوم ولم يلحق أي أذى بالأرستقراطيات.

نيني دالوك : لو استطعت أنا، لقتلت النساء.. الآن... انظر، في حيّنا وحده (يشير إلى الأجساد الممددة على المائدة، وبمساعدة المواطن الجزار، يقوم بالتعرف على الموتى الذين يختلط ذكر أسمائهم بالرواية التالية التي يرويها المواطن لوبريتون.

المواطن لوبريتون : مات «١٢٠٠» في التويلري، وكان سكان باريس آنذاك ستمائة ألف.. وأجبرت الجماعات الثورية الجمعية الوطنية على إسقاط الملك، ودعت كل المواطنين إلى اختيار وفاق وطني، ونقل الملك إلى سجن «التاميل»

وأرسلت الجمعية الوطنية مندوبين إلى الجيوش ولهم سلطات واسعة لتنحية الجنرالات الارستقراطيين. وكان البروسيون على الحدود. وسقطت مدينة لونجفي، وضرب الحصار حول فردان، وكان لابد من الذهاب للدفاع عن الوطن. وأدانت المحكمة ثلاثة من الارستقراطيين لجرائم العاشر من اغسطس، فانتقل الشعب إلى السجون، يحكم بالعدل. وفي ٢ سبتمبر، أعدم كل الرهبان الملكيون في سجن «لابيسي»، وفي ٣ و٤ سبتمبر، أعدم كل الارستقراطيين أنصار الثورة ـ المضادة في سجن «لافورس»، ثم فاض الغضب، وفي ٥ و٦ سبتمبر قتل المسجونون في جرائم عادية في سجن «بيستر» و«لاسلبتريير».

رواية الاتحادي

راوي : مادامت باريس قد تخلصت من أنصار الثورة ـ المضادة يستطيع المتطوعون أن يذهبوا إلى الحدود. وكل يوم ساد الاتحاديون في كل المحافظات والباريسيون أيضا إلى الحدود، غير عابئين بأسرهم. وليلة سفره، كان أجريكول شابيت في ثكنات الاتحاديين في مارسيليا (يمثل دور اجريكول شابيت النائم في الثكنات).

المواطن الكاتب : (ينادي) من هناك؟

اجريكول شابيت : المتأخرون عليكم أن تأخذوا فراشكم وتذهبوا إلى المربع الخلفي . . .

المواطن الكاتب : أيها المواطن، ابحث عن ثكنات الاتحاديين . .

اجريكول شابيت : أنت في ثكنات الاتحاديين . .

المواطن الكاتب : أود أن أقابل أحدهم . .

اجريكول شابيت : أمامك أحدهم، أجريكول شابيت، اتحادي من مارسيليا.

المواطن الكاتب : أنت اتحادي؟ (يقبل كل منهما الآخر) على أن أكتب قصة صعودهم إلى باريس لشحذ همم الذاهبين للانضمام إلى الجيوش . .

اجريكول شابيت : اجلس! سأعطيك شمعة لكي ترى. لكن، عندما تنتهي من العمل اطفئها وأعدها إلى مكانها، خلفك، لأننا نحن الذين ندفع ثمنها وثمنها غالي! (يعاود الاستلقاء)

المواطن الكاتب : احتاج إليك، أيها المواطن، لكتابة هذه القصة . .

اجريكول شابيت : لكني لا أعرف الكتابة . .

المواطن الكاتب : أنا أعرفها . . ارو لي القصة اذن، وسأكتبها . .

اجريكول شابيت : أيجب أن أروي لك كل شيء . .

المواطن الكاتب : كل شيء . .

اجريكول شابيت : حسن . . . . سافرنا يوم ٢ يوليو، صباحا. وكان قد صدر إلينا أمر بالتجمع تحت أشجار منتزه سان لوي. وذهبنا إلى هناك بمعداتنا، كل هذا، وكان معنا أيضا المدفعان اللذان أخذناهما من باريس، وكان هناك طبعا كل الذين جاءوا لتوديعنا، الأجداد، والجدات، والإخوة. . . كان هناك أبي الذي اشترى لي قبقابا جديدا، وفي لحظة ما، جاء العمدة موراي ومساعده ريكور. وسلم لنا العمدة راية الكتيبة، ثم ألقى خطبة، أذكر ذلك جيداً، وقال فيها «السير هو الهدف»، وسرنا، سرنا لأننا أنشدنا بعد ذلك نشيد الحرب. واتجهنا إلى اكس ـ اون ـ بروفونسي. وكان علينا أن نقطع قرابة مائة وعشرين كيلو مترا في اليوم، وسرنا عبر الحقول. لذلك، عندما وصلنا إلى اكس، كانت تغطينا أشياء . . . .

المواطن الكاتب : أية أشياء؟

اجريكول شابيت : أشياء صغيرة توجد في القمح تدخل في البنطلون وتصعد إلى السيقان. وبما أن «هذا» كـان يغطينا عندما وصلنـا، ذهبنا إلى النبع واغتسلنا وشربـت أنا ثلاثة لتر مـن الماء على الأقل لأن حلقي كان جافا إلى حد ما، كنت أشعر بعطش هائل. بعـد ذلـك، أكلنـا. كنـت قـد أحضرت زيتـونـا صغيرا، وسجقاً، وزجاجة نبيذ. وبعد ذلك نمنا..

(منذ هذه اللحظة، تتداخل القصتان إلى أن تطغى قصة الكاتب على كلمات الاتحادي تماما).

اجريكول شابيت : وفي اليـوم التالي، وصلنـا إلى اكس ــ اون ـ بـروفونسي، ثـم كودو، إذ كان علينا أن نتوقف في كود فهي محطنا. وهناك، آوانا فيرمـان. وأراد فيرمان أن أنام في مخزن التبن فقلـت له: «أتـريد أن أنـام في مخزن التبـن، في هذا الجو الحار، في عـز شهـر يـوليـو؟» بينما كـان عنـده مخزن صغير يضـع فيـه المحصول، في الظـل دائما. في النهايـة، نمت في البيـدر.. بعد ذلـك؟ آه! وفي لحظة معينـة، رأينا على الطـريق رجلين يحملان البنـادق. كنا نجهل مـن هما. ربما كانا مـن أنصار الثورة المضادة؟ كانـا في الواقع من كتيبة مونبلييـه، وكانا في انتظـارنا في بـون سانـت اسبريه. فلحقنـا بهما، وسرنا معـا بمحاذاة الرون. آه.. بعـد ذلك كان ممر التـوريت، حيث وجدنا شيئا فظيعا: العاصفة، والوحل. ووقعت في حفرة. وكان على بـاتستان أن يمر تحت العجلـة ويدفعهـا، هكذا فانكسر قبقابـه! وانتظرنا نصف يوم تقريبـا حتى يصلحه إذ كان فيـه شق كبير هنـا بـ... بعـد ذلك، نـزلنا مـن ممر التـوريـت، وكان الجو صحـوا، وفي لحظـة مـا، رأى بيبير سمانـة، فصـوب إليهـا بنـدقيتـه، وأطلـق النـار، لكنـه أخطأها... يحدث ذلك أحيانا. لكن، فجأة، وصل قائد الكتيبـة وثار ثـورة عنيفة وقـال «إذا بـددتم الـرصاص قبـل

وصولنا إلى باريس، ستعودون إلى دياركم . . » خسارة لأن هذا السمان الصغير لا يخرج وحده أبدا، ولاشك أن كمية كبيرة منه كانت مختبئة وراء السياج . . بعد ذلك وصلنا إلى لابوس . لم أكن قد رأيتها من قبل . لم يكن فيها سوى القمح، حقول جميلة مليئة بالقمح، بينما يزرع القمح عندنا في قطعة أرض رديئة أو صغيرة جدا . لم أر شيئا كهذا من قبل . بعد ذلك وصلنا إلى إلى معسكر شارنتون، آخر محطة، ولم نضع وقتا هناك . أولا، تنظفنا وتجملنا، ثم ارتدينا الزي الرسمي والقبعات، وحمل بعضنا السيوف . كنت أحمل، أنا، بندقية ثم استعرض القائد القوات من ناحية إلى أخرى ليرى إذا كان كل شيء على ما يرام . كان الجو حارا، وعلاوة على ذلك كانت الزنانير تطير حول وجهي . بعد ذلك، رددنا نشيد الحرب . . .

المواطن الكاتب : يوم ٢ يوليو، تجمع محاربو مارسيليا البواسل، وسط أسرهم في ميناء مدينتهم . وجاء موكب أعضاء البلدية الطويل للقائهم وتقديم تمنياتهم لهم برحلة سعيدة، وكان جماعة من الفتيات المتوجات بالغار قد عهدوا إلى المحاربين بشارات المدينة . وحركت الفتيات غصون الغار، وصاحبت الموكب حتى أبواب مارسيليا حيث خرجوا، تحت أقواس النصر التي أقامها السكان لهم . وبعد ثلاث ساعات، وصل المحاربون إلى المدينة ذات الألف نافورة وهناك كانت الجماهير المحتشدة في انتظارهم بعد أن أعدّت على الموائد زجاجات النبيذ وألوان الطعام التي قدمها أهل القرى المجاورة، لتهبهم الشجاعة والقوة . ودوت الأناشيد في كل مكان وصاحبتهم الطبول والأبواق على الطرقات، وامتدت الأيدي إليهم، كانوا لا يشعرون بالتعب، كالأبطال القدامى . وفي كل مكان، كانت جيوش الثورة المضادة

تفر أمام بسالتهم. بقفزة واحدة عبروا جبال الالب ونهر الرون سباحة، ولم تكن المراكب شيئا بالقياس إليهم. ووصلوا إلى فيين، حيث قدمت لهم فتاة يرمز زيها إلى الأمة مفاتيح المدينة، ودوت الأناشيد في فيين أيضا، حيث لحقت بهم كتائب مونيلييه. وأنشد الجميع، بصوت واحد، نشيد الحرب جيش الراين: «هيا، يا أبناء الوطن، جاء يوم المجد، ارتفعت ضدنا، راية الطغيان الدامية» وعلى إيقاع الأناشيد، دخلوا وسط حقول قمح لابوس، حيث شقت خطواتهم، خطوات الأبطال، . طريقا لها عبر السنابل، وانفتحت أمامهم الطرقات، جاء إليهم الناس جميعا بالأطفال والشيوخ. ورفعوا لهم تلال من الغار عبروها بقفزة واحدة ليصلوا إلى باريس حيث بركان الثورة. ولسوف يجدون هذه الهمة غدا، ليهزوا أبواب باريس، وينطلقوا نحو الشمال، حيث تنتظرهم كل الجيوش الأخرى لإنقاذ الأمة، وتحرير العالم من الطغيان، وتأسيس جمهورية عالمية، تحيا الأمة. .

(يتعانقون ويسيرون وسط هتافات النسوة اللاتي سيمثلن مشهد «المغسل في الصيف»)

المغسل في الصيف

(النساء جميعا جالسات حول المائدة، ولكي يظهرن، يصعدن من مقعدهن إلى المائدة)

راوية : رحل الرجال إذن وبقيت النساء في باريس، وكانت روز ماري تذهب كل يوم إلى المغسل، حتى يوم الأحد (تمثل دور روز ـ ماري).

انجيل : صباح الخير، يا روز ـ ماري. .

روز ـ ماري : صباح الخير، يا انجيل. . آه، اليوم يوم الأحد، ومع هذا أعمل من أجل سيدتك. .

انجيل : بالمناسبة، تريد سيدتي هذه الملابس. .

روز ـ ماري : لكني بدأت أغسلها الآن فقط، ولا يمكن أن انتهي منها غدا، أتظن هذه المرأة أن لي أربعة أذرع؟

انجيل : أوه! هذا لا يهمها. . قالت لي احضريها غدا. .

روز ـ ماري : حسن، سأسرع إذن. . (تجلس انجيل وتقرأ) ماذا تقرأين؟

انجيل : صديق الشعب. .

روز ـ ماري : دعيني أرى أين كتب اسم مارا. علميني قراءة مارا. .

انجيل : اسمه مكتوب هنا. .

روز ـ ماري : هذا هو؟ إنه صغير. انتظري حتى أجده في أماكن أخرى

انجيل : انتبهي. . هه. . . . يداك مبتلتان. .

روز ـ ماري : مارا. .

انجيل : حسن. .

روز ـ ماري : حفر اسمه في ذهني الآن، سأعرف كيف اقرأه في كل مكان، وسيدفىء ذلك قلبي. .

انجيل : هيا، اسمعي ما يقوله: «الناس، منذ القدم، وحوش. في العهد البائد، كان سادتنا طغاة بالنسبة لنا، ولنا الآن نواب خائنون».

لويز : صباح الخير، أيتها المواطنات. .

روز ـ ماري : لويز، الزنجية (إلى لويز) هذه انجيل، التي تغسل لسيدتها!

لويز : صباح الخير يا انجيل. . آه. . سأرطب وجهي قليلا. .

روز ـ ماري : يعجبك هذا الجو؟

لويز : نعم، يعجبني جدا. .

روز ـ ماري : (إلى انجيل) تعرفين ان الجو حـار في بلدها، لذا يـذكرها هذا الجو به. . . أعرف كيف أقرأ مارا، انظري.

انجيل : انتبهي، يداك. . يداك. . مبتلتان. .

روز ـ ماري : يداي نظيفتان. . (تقرأ) مارا. .

انجيل : انتبهي، جريدتي. .

لويز : ماذا يقول صديق الشعب؟

انجيل : يجب أن يظل مجلس الوفاق باستمرار تحت أعين الشعب لكـي يتمكـن مـن مـراقبتـه، لابــد مـن قـاعـة تتسـع شرفاتهالأربعة آلاف متفرج!

روز ـ ماري : أربعة آلاف. . لا يدرك مـارا ما يقول. . كل الـرجال في الجبهة! ذهب ثمانية عشر ألف في ثـلاثة أسابيع، وذهب زوجـي معهـم. كيـف نملأ الشرفـات إذن. . نملـؤهـا بالاغنياء؟

تيريز : صباح الخير، أيتها المواطنات.

الجميع : صباح الخير، يا تيريز. .

روز ـ ماري : إنها تقرأ لي «صـديق الشعـب» اعرف كيـف أقرأ مـارا. انظري!

انجيل : انتبهي، يداك مبتلتان. . روز ـ ماري!

روز ـ ماري : (تقرأ) مارا، مارا، مارا!

انجيل : «لابد مــن قاعــة تتسـع شرفاتهـا لأربعـة آلاف مشاهد لا لثلاثمئة واش عفن.

تيريز : العفن، والفسـاد في كل مكـان. . فردان، لقـد سلمت فردان. . ومع ذلك كان الوطنيون هناك يريدون القتال، لكـن عنـدمـا وصل البروسيـون، فتحـت لهم سلطـات

المدينة الأبواب وقالت لهم، ادخلوا، ادخلوا. . وما حدث في فردان حدث في لونجفي وتيونفيل. أتعرفون أين هم الآن؟ في شالون - سور - مارن، أي على أبوابنا. سيدخلون باريس لينتقموا للأسرة المالكة ولن يكون هناك عفو أو غفران.

روز - ماري : قولي لي، يا انجيل، الخمسة عشر مليما في اليوم، ألهذا ذهب زوجي، نعم سافر من أجلها، متى سأقبضها؟

انجيل : لن تقبضيها. . الآن عليك أن تنظري حتى يعود. .

روز - ماري : وإذا عاد بعد خمس سنوات؟

انجيل : حسن، ستقبضيها بعد خمس سنوات.

روز - ماري : هذا تصرف غير شر يف. . كيف أدبر أمري، وأنا أكسب بالكاد عشرين مليما لإطعام خمسة أفواه، د ولا أحسب نفسي بينها؟ هذا تصرف غير شريف. .

انجيل : هذا ما أقوله. إنها الفاقة، إننا نغرق في الدم. إنها الفوضى، لا ندري أين نحن ولا ندري كيف سينتهي كل هذا. .

روز - ماري : إنه الأمل. . أيضا وهذا أسوأ ما في الأمر. مارا نفسه شعر أنه يشك. سنموت جميعا من الفاقة. .

لويز : كلا، يا روز - ماري! تعرفين جيدا أننا نستطيع احتمال أشياء كثيرة قبل أن نموت من البؤس! استطيع أن أقول لك أن أمي بقيت في بلدها. إذا رأيتها، وهي مستهلكة كالكوخ العتيق المنهار، ورأيت وجهها، قلت إنها حجر خفاف دحرجه النهر أياما وأيام. عندما كانت حاملا فيّ، قالت: أريد أن يولد طفلي في المزرعة، وهربت، لكن الكلاب أمسكت بها عند منتصف الجبل، وكانت لا تستطيع أن تسرع وأعادوها إلى المزرعة. وبما أنها هربت، كان لابد من

عقابها. وإذا كانت على وشك الوضع، كان لابد من المحافظة على الطفل لأنه غال جدا بالنسبة للسيدة وسيكون عيدا صغيرا، مستقبلا، لذلك عذبوها بالأوتاد الأربعة! ربطوا ذراعيها وقدميها، ولكي يحافظوا على بطنها، حفروا حفرة كبيرة في الأرض، ونالت ما تستحقه من ضرب بالسوط وهي في هذا الوضع. لكن أخي كان أكثر حظا، فلقد استطاع الهرب.

روز ـ ماري : إلى أين؟

لويز : . . فر إلى الجبل . .

تيريز : وحده؟

لويز : كان وحده في البداية، ثم التقى بالآخرين، فهناك جماعات وجماعات من الهاربين في الجبل. . في البداية كان يهبط من الجبل ليبحث عن الطعام، وبعد ذلك، تقدم حتى استطاع أن يأتي لرؤيتنا، أنا وأمي. . وفي هذه اللحظة حلّ الوباء. . أخذ كل شيء يموت، البقر، والجاموس، والبغال، ولم يعرف أحد لذلك سببا، وأخذ السادة يموتون أيضا! كانوا لا يستطيعون لمس أي شيء، ماء الآبار، أو الثمار، أو الحشائش، لأن كل شيء كان مسموما. ثم فهموا ما في الأمر، فطردوا وقتلوا وعذبوا أكثر من المعتاد بقليل ثم عاد وعاد كل شيء إلى ما كان عليه، وهدأ كل شيء. وذات مساء تعرفين أن المساء في سان دومينج هو أجمل لحظات اليوم، لذلك يتناول الناس عشاءهم مبكرا ليستمتعوا به. وترتاح السيدات في الشرفات، في مقاعد مستديرة لم أر مثلها أبدا، في فرنسا، وكل العبيد حولهن، ويبقين على هذا الحال، بينما تهرش الوصيفات رؤوسهن، ويدلّكن أقدامهن. وكل شيء هادىء ساكن، يصل البحر في هدوء إلى الشاطىء،

وتفوح من الرمال رائحة طيبة وقصب السكر يتأرجح، وربما صدر عنه صوت أعلى من المعتاد بقليل، لكن لا يقلق أحد لذلك. وفجأة، تدوي الصيحات، وينتصب أمام السادة حشد من العبيد الواقفين على أقدامهم، أقدام البشر. ويقتلون، ويذبحون، انتقاما للضربات، والبؤس، والسوط والعبودية. ويعودون أدراجهم. ولا يعثر عليهم أحد بعد ذلك أبدا، ولن يعثر ولكن، سرعان ما يعودون ليلقوا بكل السادة إلى البحر. لن يوجد عبيد في سان دومينج بعد الآن! وإذا حل البؤس بنا، لا يهم، مادمنا قد أصبحنا شعبا حرا (صمت)..

انجيل : هل تعرفين، أيتها المواطنة، انكم في حاجة إلى رجل مثل مارا؟

لويز : عندنا رجل مثل مارا، إنه عبد يدعى توسان لوفرتور..

انجيل : حسن، أنا عائدة، يا مواطنات..

روز ـ ماري : انجيل..

أنجيل : نعم..

روز ـ ماري : بالنسبة للغسيل، قولي لها إنني سأعيده يوم الثلاثاء..

فالمـــي

(من آخر القسم، يصل المنتصرون في فالمي.... المواطنان جان شو ولوبريتون « يحرسهم موكب الاتحاديين »، والموسيقيون. يجر الاثنان وراءهما المدفع الذي اغتنماه ويرويان للقسم كيف احرزا النصر).

حيّ لي كورتيبي

المواطن بائع النبيذ : كان الثوار قد اعتادوا الاجتماع، أيام الآحاد، في حانات حيّ كورتيبي.

(يصل الرجال بعضهم بعد بعض. وترحب بهم تعليقات الأوركسترا الموسيقية، ويرحب بهم أيضا مزاح نساء القسم اللاتي اجتمعن على مائدة أخرى).

المواطن لوبريتون : أيها الموسيقيون! اعزفوا موسيقى وأغاني الثورة.

نعم، أنا ثائر (مرتين)

رغم أنف أصدقاء الملك (مرتين)

يحيا أهالي مارسيليا وبريتانيا

وتحيا قوانيننا..

الجميع : لنرقص ونغني أغاني الثورة

يحيا الغناء، يحيا الغناء،

لنرقص على أنغام موسيقى الثورة

يحيا صوت المدفع

المواطن النجار : , لما رأت انطاونيت البرج (مرتين) أرادت أن تعود ادراجها (مرتين)

وشعرت بالحزن عندما رأت نفسها بلا شرف

المواطن الخباز : كان كل السويسريين قد وعدوا (مرتين) بإطلاق النار على أصدقائنا (مرتين)

لكن كم قفزوا

كم رقصوا جميعا

المواطن لوبريتون : سأغني لكم المقطعين الأخيرين اللذين حفظتهما هذا الصباح . .

قانون الثوار (مرتين)

هو عدم احتمال أي ملك (مرتين)

أنه يأكل الصيد المتوج

في وجهة واحدة

الجميع : تحيا الجمهورية . .

يحيا صوت المدفع

تحيا الجمهورية

يحيا صوت المدفع

المواطن لوبريتون : عندما يقف شعب بأكمله

سرعان ما يتغلب على كل شيء

فلنسرع جميعا إلى المعركة

وليسقط كل الأنذال . .

اجريكول شابيت : انتبهوا إلي، أيها المواطنون، جئت بسيد سمين، عظيم الشأن، ينتظر عند باب الحانة. سيأتي حالا بينكم، وعندما يحضر إلى هنا، يجب أن تكونوا محترمين جدا، وجادين جدا، حتى يرى أنكم مواطنين حقيقيين. . انتبهوا! هاهو ذا. . (يدخل نيني دالوك، ويمسك فوق رأسه حزمة كبيرة من الخرق رسمت عليها ملامح الملك لويس السادس عشر مشوهة) لقد عرفتموه، إنه لطيف مع أسرته الصغيرة، خيول جميلة بيضاء وكل هذا. تخيل، يا لويس، إن الشعب الفرنسي يتهمك!

نيني دالوك : (يمثل دور الملك) لا !

أجريكول شابيت : بلى . . إنه يتهمك بقتله . .

نيني دالوك : غير معقول!

اجريكول شابيت : بلى! تلك هي الشائعة التي سرت في كل مكان، باريس كلها تتحدث عنها في الشوارع، تسمعهم يقولون: لويس... السمين مذنب!

نيني دالوك : هذا شيء مزعج..

المواطن لوبريتون : تخيل. يا لويس، يتهمك الشعب بأنك أردت حل مجلس طبقات الأمة عام ١٧٨٩!

نيني دالوك : آه! عام ١٧٨٩، كنت القائد، كانت لي علامات العظمة في كل مكان، كنت أقوى وأعظم شخص، وكان الحق معي.. كنت أحصل على كل ما أريد.. وانتهى كل هذا الآن..

المواطن الكاتب : قل لي يا لويس، كنت لا تريد إعلان حقوق الإنسان؟

نيني دالوك : نعم، كنت لا أريده، لأنه كان لا يعجبني.. وكان لي الحق في ذلك.

المواطن الكاتب : لويس، يقال إنك كنت تلهو وأنت تدوس الشارات الوطنية؟

نيني دالوك : آه! لم أفعل أنا هذا، فعله الحرس أثناء وليمتهم.. ولم أكن حاضرا، أنا..

المواطن بائع النبيذ : لويس، أصحيح أنك أعطيت مالا لميرابو لكي يفسد الفكر العام؟

نيني دالوك : آه! لا أذكر..

جان شو : وانك كنت تمول صحف الثورة المضادة؟

نيني دالوك : آه! لا أذكر ذلك أيضا..

المواطن الجزار : يقال إنك كنت ترسل كل نقودك للمهاجرين لكي يأتوا ويحطموا رؤوسنا؟

نيني دالوك : لا. . لم أرسل نقودي، كانت النقود نقود الأمة. .

المواطن النجار : وإلى أين كنت ذاهب، في فارين؟

نيني دالوك : كنت ذاهبا للنزهة، ولزيارة مزارعي، وبطيء، ودجاجي. .

المواطن الخباز : وميدان شان دي مارس؟ ودم الشعب؟

نيني دالوك : لا شأن لي، لا شأن لي بذلك. إنه لا فاييت. .

اجريكول شابيت : نعم، لكن، تخيل يا لويس إنهم عثروا على خطاب تواطؤ بينك وبين لافاييت. .

نيني دالوك : مدهش! أنا لا أعرف الكتابة!

المواطن لوبريتون : أنت بريئة إذن، يا حمامتي البيضاء. . تعالي هنا. . أنت طاهر كالحمل الوليد. . والدولاب الحديد.

نيني دالوك : لا أدري ما هذا؟

المواطن الجزار : والأوراق التي كانت موجودة في الدولاب الحديدي، وكانت تحمل جميعا الخاتم الملكي؟

نيني دالوك : الخاتم الملكي كان عند الجميع. .

المواطن الكاتب : نعم، هذا صحيح، أيها المواطنون، أذكر أنه كان عندي، أنا أيضا، في تلك الفترة. .

المواطن الخباز : والتويلري؟ والألف ومائتي قتيل؟

نيني دالوك : لم أكن هناك، لم أفعل أنا هذا. .

جان شو : قل لي إذن يا لويس، من أصدر الأمر بإطلاق النار على الجماهير المحتشدة؟

نيني دالوك : ماري انطوانيت. .

اجريكول شابيت : ولماذا لم تأمر السويسريين بوقف إطلاق النار إلا بعد أن ذهبت إلى الجمعية الوطنية؟

نيني دالوك : لأنني كنت قد انتهيت . .

المواطن الحداد : لويس، الشعب يتهمك، ويحاكمك، ويدينك . .

المواطن الكاتب : انتظر يا لـويس . يمكن أن نوجه نـداء إلى الشعب، وقد يكسبك ذلك بعض الوقت .

المواطن الخباز : يجب أن يموت لويس لكي يحيا الشعب . . فليمت . .

(على دقـات الطبـول، يمثلـون إعـدام الملـك . تسقـط الرأس)

المواطن لوبريتون : والآن، ما رأيكـم في محاكمة أحـد أعداء الشعـب، أحد المحتكرين؟

الجميع : نعم، نعم . .

(يصعد المواطن النجار يمثل دور المحتكر)

المواطن لوبريتون : قل لي، أيها المواطن، التجارة الآن على ما يرام؟

المواطن النجار : آه . . تسير أمورها الآن على خير ما يرام . .

المواطن لوبريتون : قـل لي، أيها المواطـن المحتكر، يبـدو أن أسعـار السلـع ترتفع كل اليوم؟

المواطن النجار : طبعا إنه ارتفاع الأسعار . . وهذا شيء طبيعي . .

المواطن بائع النبيذ : قبل ذلك، كنت تتاجر في المناديل . . والآن؟

المواطن النجار : لا يمكن أن يفعل المرء دائما نفـس الشيء . . كنت أصنع المناديل والآن، جاءت الحرب، لذا أصنع المدافع .

المواطن لوبريتون : قل لي أيها المواطـن، يبدو أنه لا يـوجد في باريـس حتى كيس غلال صغير!

المواطن النجار : ربما وجـدت في باريـس كميـة أكبر مـن هذه، أمـا أنـا فعندي أكياس غلال ادخرتها . .

المواطن لوبريتون : ماذا فعلت إذن لكي تشتري هذه الكمية من الغلال؟

المواطن النجار : هيه . . دبرت أموري . . سأشرح لك الأمر . كنت أصنع البنادق للجيش وكنت أتقاضى ربحا ضئيلا عن كل بندقية، وإذا أضيف ربح ضئيل إلى ربح ضئيل تكوّن ربح كبير . . وبالأرباح الكبيرة، اشتريت شحنة من القمح . . .

المواطن الخباز : لماذا إذن لا تبيع هذا القمح، أيها المواطن المحتكر؟

المواطن النجار : لأني انتظر حتى ترتفع الأسعار، وكلما انتظرت كلما ارتفعت . .

المواطن لوبريتون : هل عرفت طعم عرق الشعب؟

المواطن النجار : أوه عرقت كثيرا . . أنا أيضا، في حياتي . .

المواطن الخباز : هل تربح كثيرا من الثورة؟

المواطن النجار : يدبر المرء أموره، ويفعل ما يقدر عليه . .

(يقودونه بهدوء أمام المقصلة، حيث يركع، تسقط الرأس، تمثيل)

المواطن الكاتب : (يمثل دور النائب الجيروندي) هكذا، لا تسير الأمور على ما يرام، أيها المواطنون . . ماهو مصيري إذن أنا النائب الفقير الذي يمثل الغني، إذا أعدمتم على المقصلة أعز أصدقائي؟ أولئك الذين انتخبوني، أولئك الذين أمثلهم؟

المواطن الحداد : ماذا أنت فاعل مع الذين يجوعون الشعب؟

المواطن الكاتب : الشيء الوحيد الذي يمكن أن أفعله، هو التصريح بأنني لن أفعل شيئا . .

المواطن الخباز : والحرب؟

المواطن الكاتب : الحرب شيء خطير لابد من الموت، لابد من الموت . .

المواطن الخباز : والثوار؟

المواطن الكاتب : يجب أن يذهبوا للموت، الموت في الحرب، الموت من أجل الوطن. . (يغني)

«الموت من أجل الوطن (مرتين)

أجمل مصير

يحسد المرء عليه».

(يموت النائب الجيروندي أيضا على المقصلة)

المواطن الكاتب : أيها المواطنون، الشعب اليوم هو صاحب السيادة وصاحب مصيره، سنضع دستورنا. .

المواطن النجار : اكتب أيها الكاتب، سيكون اسمه دستور ماريشال. . ، أنطوان ماريشال. . المادة الأولى: لا ينبغي أن يوجد بعد الآن أي فرق بين أبناء الملاك الأثرياء وأبناء الحرفيين الفقراء، لا مساواة عندما يجد البعض كل شيء جاهزا أمامهم ويضطر البعض الآخر إلى عمل كل شيء!

الجميع : موافقون. .

المواطن النجار : المادة الثانية: لكل مواطن الحق في ملكية صغيرة، لكل حرفي ورشة، ولكل بائع متجر، ولكل فلاح حقل، ملكية متواضعة لكن تكفي لكل أسرة، يجب أن يكون كل فرد حرا مستقلا، يجب أن يكتفي بذاته!

المواطن الحداد : أرى، أنا، مستقبلا بلا ملاك وبلا أثرياء، إذ يظن الأثرياء أن لابد منهم للفقراء، وعندما يشغلون عددا كبيرا في أراضيهم أو مصانعهم، يقولون إنهم يساعدون الكثيرين على العيش، في حين يجب أن يقولوا إن لابد من الكثيرين لمساعدتهمَ على العيش!

المواطن الجزار : نحن الذين نبذر دائما والأغنياء هم الذين يحصدون!

لماذا نعمل دائما إذن لكي يثرى الآخرون؟ اقترح أن نعمل جميعا من أجل الأمة!

الجميع : موافقون . .

المواطن الحداد : ربما اعتبرت الأرض ملكا طبيعيا وأن لكل البشر الحق في هذا الإنتاج .

المواطن الكاتب : هذا ما قاله روسو!

المواطن الحفار : وقاله فلاسفة آخرون!

المواطن الحداد : أيها الكاتب ، يجب أن تقسم الأرض إلى قطع صغيرة يتساوى عددها مع عدد الأسر لرب الأسرة الذي يطلبها . .

الجميع : موافقون . .

جان شو : أنا جندي ، وأسكن المدينة . .

المواطن الحداد : لا ينطبق هذا ، طبعا ، على حرفيي المدن والجنود ، أيها المواطن . . لن يتركوا مهنتهم ، لكن اسمع . . إنهم يستطيعون المطالبة بنصيبهم في الملكية البلدية العامة ، إذا احتاجوا إلى ذلك ، أو أصابتهم مصيبة .

سيشعرون عندئذ بالأمان ، وستكون هذه الملكية العامة بمثابة حماية لهم من الفقر وأخطار الحياة . .

الجميع : موافقون . .

المواطن الخباز : اقترح أنا أن يتساوى كل الجنود في الأجر وأن تلغى الرتب!

الجميع : موافقون!

جان شو : اقترح أنا أن ينتخب الجنود ضباطهم!

الجميع : موافقون . .

المواطن النجار : لكن ، أين مكان الميراث في حديثكم هذا عن الملكية العامة؟ يجب أن يتمكن الأب من توريث نصيبه لابنه ، وإلا أصبحت الأبوة بلا معنى!

المواطن الكاتب : ربما وجد من يتمتع بشيء ما لذة في توريث ما يتمتع به لأولاده. فلا شيء أقسى على المعدم من إحساسه بأنه لا يورث أولاده إلا شقاءه وبؤسه. أو ليس المعنى الحقيقي للأبوة، والسعادة الحقة هو رؤية أبنائنا يكبرون تحت رعاية أمة عادلة جديرة بهذا الاسم؟ لذا، يجب أن تكون الأمة المالك الوحيد، وأن يعود كل شيء إليها بعد موت المالك!

الجميع : موافقون. .

المواطن الحفّار : إذن، أيها الكاتب، ستكون كل الطرقات جميلة دائما، وستكون الترع والقنوات صالحة للملاحة دائما، وبعد قليل تتم السيطرة على مجرى الترع، وتجفف المستنقعات، وتصلح الأراضي البور، وحتى مياه السيول، ستمر هادئة في المراعي الجديدة. . بين يوم وليلة، ستصبح فرنسا بحق جنة في الأرض!

المواطن الكاتب : المادة السادسة: يجب أن تكون فرنسا جنة في الأرض.

الجميع : موافقون!

باتيست دومان : سنقدم للعالم هذه الجنة بدستورنا الحقيقي الذي يصيغه الآن نوابنا. سنضع قوانين عادلة ومبادىء حقيقية يتبناها كل الذين يريدون إسقاط الطغاة!

المواطن الحفار : يجب أن نرجو كل الثوريين الأجانب أن يرسلوا لنا آراءهم ومشروعات قوانينهم، من أجل دستورنا، وعندئذ سنتأكد من أن دستورنا سيقوم على أفضل إنتاج للفكر العالمي. .

المواطن الكاتب : يجب أن يكون الدستور عالميا، وأن ينطبق على كل الناس وعلى الأرض ويهيمن على جمهورية عالمية تحذف كلمة «الحرب» من قاموسها إلى الأبد. وفي هذه الجمهورية العالمية لن يقوم نزاع بين الأرض والكواكب.

المواطن لوبريتون : أيها المواطنون، أعلن رسميا الاتحاد الفوري بين الأرض والقمر!

(يشرب الجميع نخب الأرض والقمر)

المغسل في الشتاء

راوية : في شتاء عام ١٧٩٣، منيت الجيوش بالهزيمة تلو الهزيمة. كانت فرنسا تحارب بروسيا، والنمسا وهولندا، واسبانيا، وانجلترا! وقرر مجلس الوفاق تجنيد ثلاثمئة ألف متطوع، لكنها عهدت بقيادة الجيش إلى الجنرالات الملكيين وراحت الثقة في نواب الأغلبية تتناقص يوما بعد يوم.

(وصلت كل من هنرييت وتيريز إلى المغسل، ثم جاءت روز ـ ماري ولويز)

لويز : صباح الخير، أيتها المواطنات!

هنرييت : صباح الخير، أيتها المواطنات!

روز ـ ماري : جاء القيظ إذن!

هنرييت : أناملي خدرة ومتألمة!

تيريز : تعالي يا لويز. (تتظاهر برشها بالماء المثلج)

روز ـ ماري : أوه.. لا تفعلي هذا.. ستقتلينها..

لويز : هيا، ادفئي قدمي عقابا لك!

هنرييت : يا لها من فكرة جميلة، ادفئي قدمي أنا أيضا!

(تكسر روز ـ ماري الثلج بالعصا)

روز ـ ماري : إنه يزداد سمكا..

لويز : كسري ثلجي، بالمرة. .

هنريت : وثلجي أنا أيضا، من فضلك!

روز ـ ماري : ماذا تريدين أيضا؟ أي مبلغ ستدفعين لي؟

تيريز : على كل حال، تسقطي فيه. . هه. .

روز ـ ماري : وخرجت من المولد مستقيمة كسيف العدالة!

تيريز : أسوأ، أسوأ شيء اليدان، انظري أصابعي، تبدو كالسجق الصغير. .

روز ـ ماري : أوه، لا تتحدثي عن السجق ياتيريز، فالوقت غير مناسب، ومع ذلك آه لو احضر أحد لنا سجقا صغيرا ساخنا. .

تيريز : لا يبدو أنه في طريقه إلى هنا. . صباح اليوم، كانوا يسلمون في السوق عربات مليئة بالخبز، وفجأة، انقض الناس عليها، وتعاركوا، ونهبوا الخبز. .

لويز : وحصلت أنت على شيء من الخبز؟

تيريز : طبعا!

هنريت : ما هذا بالشيء الغريب، نظرا لسعر الخبز صباح اليوم. كان ثمن نصف الكيلو ثمانية مليمات. لذا لم أحصل على شيء منه!

روز ـ ماري : أما أنا، فأتمنى أن أحصل على شيء من الصابون، من ثلاثة شهور وأنا لا أغسل إلا بالرماد والرمل. .

لويز : أما أنا، فأعتقد أنني لن أغسل شيئا بالمرة اليوم!

روز ـ ماري : تشجعي يا لويز. . آه. . أردت المجيء إلى فرنسا؟ ها أنت ذي فيها!

آنا : أنجيل، روز ـ ماري، لويز!

هنرييت : ماذا بك؟ أتشعرين بالدفء، هذا الصباح!

آنا : تسلمت رسالة من الجيش!

روز ـ ماري : هل تتحدث عن زوجي؟

هنرييت : انتبهي، ستطبقينها.

لويز : لا تقلبيها هكذا. . ضعيها في وضع مستقيم! (تجتمع النسوة حول الرسالة، في حين لا تعرف إحداهن القراءة)

روز ـ ماري : لكن، مادمت استطيع أن أقرأ مارا. . (تحاول أن تقرأ). . مارا. .

هنرييت : مارا في الجبهة؟

تيريز : لا، مارا لم يذهب إلى الجبهة، إنه في باريس مدام يحضر جلسات مجلس الوفاق. .

لويز : (تحاول أن تفك الخط) آ. . . نا. . .

انجيل : ياله من برد، أيتها المواطنات. . .

آنا : انجيل تسلمت رسالة من الجيش. .

انجيل : آه يا آنا، كم أنا مسرورة. .

تيريز : تعالي، اجلسي. . (يجلسن جميعا حول أنجيل التي تقرأ لهن الرسالة) «تيرطون، في ١٢ فبراير ١٧٩٣. العام الأول للمساواة، المواطنة آنا».

آنا : لم يدعوني بالمواطنة؟

تيريز : لم يكتب الرسالة بنفسه، مادام لا يعرف الكتابة. . .

انجيل : (تواصل القراءة) اكتب لك هذه الرسالة بتكليف من زوجك. . إنه بخير، لكنه أوقف إثر حادثة مؤسفة جدا. تعرفين بلاشك أن كل شيء ينقصنا، نشعر بالبرد، ونعيش في الوحل، لكن، أسوأ ما في الأمر أننا لا نستطيع أن نثق في أولئك الذين يقودوننا. فنوابنا الجيرونديون لا يحسنون إدارة هذه الحرب. كنا نشك، منذ وقت طويل، في أن واحدا من ضباطنا الموجودين معنا يراسل العدو. وذات يوم ذهب زوجك وجنود آخرون، ساعة الهجوم، ليطلبوا منه بارودا. فرفض، وسبهم، وأهانهم، ووصل بهم الأمر إلى حد الضرب بالأيدي، ومات الضابط. سيحاكم زوجك بعد بضعة أيام، ولا يزال محتفظا بشجاعته وهو يرسل لك وللصغير ألف قبلة، ويبعث بتحياته الأخوية إلى إخوته الوطنيين. تحيا الحرية، تحيا الأمة. رقيب جان بوشيه أوصلي هذا الخطاب لصديق الشعب، للمواطن مارا. (صمت)

تيريز : كل هذه التضحيات. . نموت نحن هنا من الجوع. . ويخونونا هم في المجلس، والجيش. . يا للقذارة! . .

عريضة جاك رو

راوي : في شتاء عام ١٧٩٣، انصب الاهتمام الأساسي على الحرب لسوء إدارتها، فنواب اليمين يخونون، ومقاطعة «فنديه» تثور، والخبز الذي كان يعوزنا بصفة خاصة، يمثل دور الكاتب المواطن لوبريتون، الكلمة لك!

المواطن لوبريتون : أنا مكلف بأن أقرأ لكم عريضة ستقدم لمجلس الوفاق الوطني بعد موافقتكم عليها. حرر هذه العريضة المواطن جاك رو.

باتيست دومون : أعلـن أن هذه العـريضـة غير مفيـدة ولا سياسيـة في آن واحد، مادام قد اتضح أن أنصـار الثورة المضادة يعيثون فسادا في الجمعية الوطنية ويسعون إلى الفرقة.

المواطن لوبريتون : (يقرأ) «أيها المواطنـون المشرعون، لا يكفـي أن نعلن أننـا جمهوريـون، يجب أن يكون الشعب سعيـدا أيضا، يجب أن يحصل على الخبز»

باتيست دومون : نحن مـدينون للشعب الفـرنسي، لا بالخبـز فقط. . . .، فـالطغاة يعطـونـه لـرعايـاهـم، وإنما بـالحرية المدعمـة بالقوانين أيضا. .

المواطن لوبريتون : يجب أن يحصل على الخبز، فحيث لا يوجـــــد الخبـز، لا توجد القوانين، والحرية، والجمهـورية، قالوا لكم إن إصدار قـانون جيـد عن المؤن شيء مستحيـل، ألا يرى أنصـار حريـة التجـارة إذن أنهم لا يثرون إلا المضـاربين الجشعين بانتزاعهم الخبز من الفقير. . .

باتيست دومون : ألا تتبينون النوايا الخبيثة التي تتخفى وراء هذه الكلمات؟ بعد قليـل، لن يوجد بينكـم شخص واحد لا يبلـغ عنه باعتباره أعدى أعداء الشعب. .

المواطن لوبريتون : «اكتفى البعض بتصريحات من شأنها تنوير الشعب»

باتيست دومون : أنت تحجب الحقيقة عنه، أيها المواطن. . .

المواطن لوبريتون : «لكن أيمكن إشباع الجائعين بالتصريحات؟»

باتيست دومون : لا، ولا بإفزاعهـم عن المؤن، يريد أعداؤنا أن يـرعبوا كل من يملك شيئا. .

المواطن لوبريتون : «لا ينبغي أن نخشـى إثارة حقد الأثـرياء، أي الأشرار، يجب التضحية بكل شيء لإسعاد الشعب. .»

باتيست دومون : حتى الثورة. . هكذا تصبح عميلا للثورة المضادة. .

المواطن لوبريتون : «لـن نرى أنكـم فعلتـم شيئـا لخلاصنا طـالما لم تضربـوا الاقتصـاديين الذيـن يستغلـون القـوانين لكي يثـروا على حساب الفقراء. . .»

باتيست دومون : الإجراءات التي تقترحها مبالغ فيها وهدامة . .

المواطن لوبريتون : لا، إصدار قانون جيد شيء ممكن، نريد قوانين تقضي ألا يبيع تاجر بعد الآن كيس الغلال بأكثر من خمسة وعشرين جنيها، وإلا حكم عليه بالإعدام!

(يحمل أعضاء الأقسام لوبريتون على أعناقهم).

باتيست دومون : أرى جيدا أن كاتب هذه العريضة هو القس جاك رو. . الذي يشي بأفضل الوطنيين، بينما هو مأجور من النمسا ويساند أسوأ أنواع الضلال. صباح اليوم، ظهرت تجمعات للنساء بحجة غلاء الصابون وكان بين النسوة المتجمعات خادمات يعملن عند الأرستقراطيين، بل بعض الارستقراطيات . . وهؤلاء هن اللاتي دفعن الأخريات إلى النهب . .

(رد فعل عنيف عند النسوة)

انجيل : أنت لا تدرك معنى ما تقول، أيها المواطن، أنت لا تعرف بؤس الشعب. ثلاث ساعات انتظار في الطابور، من أجل الطعام، وقد تعلم نوابنا أكثر من ثلاث سنوات بليت خلالها سراويلهم على مقاعد مجلس الوفاق . .

هنرييت : كان ثمن نصف كيلو دهن الخنزير خمسة عشر مليما أمس، ولم أحصل على شيء منه. وثمنه اليوم عشرون مليما، وآمل أن أحصل على شيء منه.

انجيل : باريس لا ينقصها شيء، المحال مليئة بالبضائع. كل ما هنالك أننا لا نستطيع شراء شيء لأن الأسعار ترتفع كل يوم بطريقة باهظة، أما الأجور فلا تزيد! كيف تريدون إذن أن ندبر أمورنا؟

(يصعدن مرة أخرى على المائدة ليمثلن مشهد طابور الانتظار أمام المخبز)

هنرييت : نقف نحن هنا في طابور الانتظار، بينما يحتكر التجار البضائع ليرفعوا سعرها ويجوعوننا . .

روز ـ ماري : وأنا ينقصني الصابون. . مع أنه موجود في كل مكان، لكن سعره باهظ. .

آنا : يرفض مجلس الوفاق التسعيرة، ويرسل رجالنا إلى الحدود. . يجب أن نقول له: لن يجند أحد، طالما أن البضائع لم تسعّر. .

ليوني : وما فائدة ممثلينا، مادمنا نقف حتى اليوم هنا، في طابور الانتظار، ونموت جوعا. .

تيريز : وتجار الذهب الذين يضاربون ويستغلون بؤسنا. . يفقد ورق البنكوت قيمته كل يوم بسببهم. .

جبرييل : والأغنياء يستخفون بالأمر، لأن عندهم ذهب. .

لويز : يجب أن نكتب إذن عريضة تلو أخرى، ونقدمها للجمعية الوطنية ونجبر هؤلاء النواب الجيرونديين، صنعاء الأغنياء، على الموافقة على التسعيرة. .

ايميلي : رأيت صباح اليوم، على ضفاف السين، صندلا يفرغ حمولة من الصابون. وكانت هناك مجموعة من الغسالات. صاحت إحداهن: «بيع لي صابونا، ياسيدي. .» فرد عليها قائلا: «لا شيء عندي للسفلة» ـ «لكن، معي أوراق نقدية ادفع لك الثمن بها» ـ «لا أقبل أوراق النقد، لا أقبل إلا القطع الذهبية، أيتها القذرات. .» عندئذ صعدن إلى الصندل، وامسكته إحداهن من خناقه وقالت له: «ستبيع لنا صابونك، بعشرة مليمات النصف كيلو. .» وحصلن على الصابون ودفعن عشرة مليمات ثمنا للنصف كيلو. . (صمت)

جان : (تمثل دور البقالة) من الأولى؟

هنرييت : أريد نصف كيلو من دهن الخنزير، كم يساوي اليوم؟

جان : ثلاثين مليما. .

(تخرج هنرييت بدون أن تشتري)

آنا : أريد شمعا. كم يساوي اليوم؟

جان : خمسة مليمات للواحدة . .

(تخرج آنا بدون أن تشتري)

روز ـ ماري : كم تساوي قطعة الصابون؟

جان : أربعين مليما .

روز ـ ماري : أربعين مليما! (إلى ايميلي) بكم اشترتها النسوة صباح اليوم؟

ايميلي : بعشرة مليمات . .

(صمت . ترجع رو ز ـ ماري إلى البقالة)

روز ـ ماري : أريدها بعشرين مليما . .

جان : بأربعين . .

روز ـ ماري : بعشرين مليما . .

جان : بأربعين . .

(تحيط النسوة بالبقالة شيئا فشيئا ، ويجبرنها على وضع تسعيرة للمواد الأساسية . . يلحق بهن رجال القسم الذين سبق أن وافقوا على عريضة جاك رو، في المشهد السابق . يبقى دومون والكاتب وحدهما) . .

المواطن الجزار : يرفض نوابنا وضع تسعيرة للبضائع ، إذن لم يبق أمامنا سوى السلب والنهب . .

(تعترض النسوة على ما يقوله ، ويجبرونه على الصمت)

المواطن لوبريتون : (ينتهي من قراءة عريضة جاك رو) «تصبح الحرية شبحا لا فائدة له إذا استطاعت طبقة من البشر أن تجوّع الأخرى بلا عقاب ، تصبح المساواة شبحا لا فائدة له عندما يمارس الغني ، بالاحتكار ، حق الحياة والموت على مثيله . . وتصبح الجمهورية شبحا لا فائدة له نتيجة لممارسات الثورة ـ المضادة يوما بعد يوم ، لا تصل السلع إلا إلى ربع المواطنين بعد أن يذرفوا الدمع . استفاد الأغنياء وحدهم ، منذ أربعة أعوام ، من مزايا الثورة . حان الوقت لكي تنتهي المعركة المميتة التي أعلنها الأنانيون على الطبقة الاجتماعية التي تكدح أكثر من الأخريات» .

نطالب بقوانين ضد المحتكرين، نطالب بوضع حدّ أقصى لتسعيرة السلع عامة. . (يؤيده الجميع)

المواطن الكاتب : لا تنسوا، أيها المواطنون، أن الاتحاد قوتنا الوحيدة، إنهم يهاجموننا من كل كانب، إنهم يخونوننا من كل جانب. . ففي الجيش، يسلّم الجنرالات المواقع المحصنة ويتركون العدو يقتل جنودنا. وصارت أرض فرنسا مغطاة بالجثث، من الشمال وإلى الجنوب، وفي «فنديه»، ضربت حفنة من اللصوص المسلحين بالعصي ثلاثة آلاف رجل مسلحين بأحسن الأسلحة، وثار الجنوب.
ففي مارسيليا التي كانت فيها مضى مهدا للحرية، أصبحت اليوم مقبرة لها، وغزت الثورة المضادة جمعيات الاحياء في ليون. ونفس المصير ينتظرنا، إذا لم نتحد! فلنتحد، أيها المواطنون، أتوسل إليكم انصتوا إلى المواطن دومون. .

باتيست دومون : لا أقول لكم إن الشعب مذنب، لا أقول لكم إن هذه الحركات عدوان. أؤكد أن أول حقوق الإنسان هو حقه في الوجود، تطلبون قوانين ضد المحتكرين لكن، من الذي يختص بالقوانين ضد المحتكرين لكن، من الذي يختص بالقوانين حاليا في الجمعية الوطنية؟ إنهم نواب الأغنياء. (يلحق بالآخرين الذين يجلسون حول المائدة ليستمعوا إليه). اجلس كل يوم على أعلى منصات مجلس الوفاق، وأراقبه، وأعرفه. لا ينبغي أن تغيب عنكم الطريقة التي يعمل بها. يقال إن المداولة في هذا المجلس مداولة عامة. لكن أدرك كل المراقبين أن المجلس نظم بكثير من الذكاء، بحيث يختفي النواب عن أنظار الجمهور. فهناك بضع مئات من المشاهدين يتكدسون في مكان ضيق غير مريح لا يسمعون منه شيئا والمكان الوحيد الذي يصلح لسماع الجلسات وتقييمها مخصص للصحفيين و«للناس الأمناء». ولا توجد جلسات علنية حقا، لأن ذلك قد

يتطلب مبنى يتسع لاثني عشر ألف متفرج ولا يمكن أن يظهر الفساد، والدس والخداع، أمام أعين هذا العدد الهائل من الشهود في هذا المجلس، يوجد اليمين، ومستنقع الوسط، واليسار. على اليمين، يجلس عدد كبير من النواب، نواب الأغنياء، وأصحاب البنوك، والمحتكرين، ومحامي رجال الأعمال، وكبار التجار في بوردو والموانئ الأخرى! هؤلاء هم الذين تجاهلوا إنذارنا، هم الذين طلبوا توجيه نداء لإنقاذ الملك من القصاص العادل، هم الذين جرونا إلى حرب مشئومة، حرب فيها منفعة لهم، لأنهم لا يهتمون إلا بالمنفعة ولا يهتمون قط بحياة البشر. لم يدافع هؤلاء عن حقوق الشعب إلا طوال الفترة التي احتاجوا فيها إليه! في الوسط، تجلس أغلبية كبيرة مترددة قلقة قوية، لا تتحرك.

لاتزال ضفادع المستنقع تنقّ حتى الآن مع الجيرونديين! وعلينا نحن أن نضمها إلينا لا أن نخفيها. فلا تستطيع الثورة أن تستغني عنهم بعد. على اليسار، يجلس النواب الوطنيون، أصدقاء الحرية الوحيدون، اليعاقبة، ورجال حزب الجبل. إنهم أقلية، لا تستطيع أن تفعل شيئا للثوار، ولا تستطيع أن تفعل شيئا بدونهم. يقول روبسبيير: إنهم يريدون وضع دستور جمهوري حقا. ولكن كل شيء قد أعد لوضع الشعب تحت سيطرة البورجوازيين. تأتي الأخطار الداخلية من البورجوازية. أصيب الوفاق بالفساد، لابد من بتره، واستبعاد الخونة. عندئذ فقط، سيمكننا اتحاد الثوار «والجبل» من إرساء حكومة ثورية، حكومة أمن عام تكسب الحرب، وتطهر فرنسا، وتنقذ الجمهورية! يقف الشعب على حافة قبره سيبعث الاستبداد ويجلس على أكوام من الجثث. سينتصر أعداؤنا في كل مكان، لأن بؤرة الثورة ــ المضادة داخل الجمعية ذاتها، لابد من الثورة. .

المواطن الحداد : من يوافق؟ (تصويت برفع الأيدي) يا دومون، وضعنا فيك ثقتنا المطلقة مرة أخرى (يعود دومون إلى الجلوس بين الآخرين، ويتحول المواطن الحداد إلى راوي). يوم ٢ يونيو ١٧٩٣، أحاط حشد هائل قوامه مائة ألف شخص، بمجلس الوفاق وطوقه خمسة آلاف رجل من الحرس الوطني بالمدافع. وصدر أمر بعدم دخول أو خروج أي نائب طالما لم يمتثل المجلس لرغبات الشعب الذي يطالب بإلقاء القبض على نواب الثورة المضادة والمشبوهين وتطهير الإدارات، وتكوين جيش ثوري، ووضع تسعيرة للخبز قدرها ثلاثة مليمات للنصف كيلو.

واستسلم المجلس وأطاع الشعب. هكذا أتى اتحاد الجبل والثوار ثماره. ويوم ٢٧ يوليو، دخل روبسبيير لجنة الخلاص الوطني، بينما كانت الحرب على أشدها. وفي الداخل انتصرت الثورة المضادة في «فنديه» وخان الجنرالات عند الحدود، واجتمعت نساء كل أقسام باريس في الكنائس التي تحولت إلى ورش يصنعن فيها مهمات الحرب..

(تتحرك النسوة في اتجاه المائدة، التي ستصور الكنيسة التي سيعملن فيها).

ورشة النساء في الكنيسة

(تدخل جان وروز ــ ماري أولا، وتجلس الأخريات حول المائدة، التي يصعدن إليها عند دخولهن).

جان : لم أتمكن من الحضور صباح اليوم، لأنه كان علي أن أرسل كمية كبير ة من الجرائد إلى الجبهة..

روز ـ ماري : ترسلين جرائد؟

جان : طبعا . . فهم يهتمون بها . .

روز ـ ماري : وهل تصل إليهم؟

جان : لا تصل بسرعة، لكنها تصل!

روز ـ ماري : سأقول لك شيئا يا جان، أود أن أكتب خطابا لزوجي . . .

جان : إنها فكرة صائبة، يمكن أن تكتبيه الآن، والجو هادىء . . .
ماذا تريدين أن تكتبي له؟

روز ـ ماري : لا أدري . . اكتبي التاريخ . .

جان : ٢٣ اغسطس ١٧٩٣، العام الأول للمساواة .

روز ـ ماري : «زوجي العزيز، في باريس، الثورة بخير ولكنها شيء قاس، ثمن الخبز الآن غير مرتفع، ثلاثة مليمات لنصف الكيلو، لكنه غير موجود، وتنشأ عن ذلك بعض الاضطرابات . منذ أن رحلت، أي منذ عام، أذهب كل مساء إلى القسم، حيث نعمل . لم أتسلم بعد الخمسة عشر مليما، ولو مرة واحدة . حدثت مصيبة كبرى أخبرك بها : قتل مارا . وسرت في جنازته، وبكيت، وبكي الجميع! الأطفال بخير، وجييوم عنده ثمانية أسنان . كنت، في البداية، اصطحبهم معي إلى القسم، لكنهم يثيرون كثيرا من الضجة والشغب، لذلك كففت عن اصطحابهم إلى هناك . تركت المغسل، لأننا نتقاضى أجرا لكي نضع ضماد الجروح، لذا، أصنعها أنا، وكل نساء القسم . (تدخل لويز وانجيل) لي صديقة زنجية اسمها لويز . . ولقد روت لي، من فترة، كيف قامت الثورة في بلدها وكيف نجحت، . كلنا إخوة . . أفكر كثيرا فيك، وأتمنى أن تعود . . . » .

جان : لا تكتبي هذا، فأنت تعرفين جيدا أنه لا يستطيع العودة .

روز ـ ماري : لا، اكتبي «أتمنى أن تعود قبل أن يدركنا الكبر ونجفّ، ونكف عن معرفة بعضنا. أحبك. روز ـ ماري»

جان : خذي، ارسمي صليبا. .

روز ـ ماري : تعتقدين أن الخطاب سيصل؟

جان : طبعا. . لن يصل غدا، لكنه سيصل. . (صمت)

روز ـ ماري : هناك شيء لم أقله لزوجي، أود أن تضيفي: هناك شيء لم أقله لك، منذ أن مات مارا، معنا رجل مثل مارا اسمه جاك رو، مع أنه قس. يمكن أن تقولي إننا نثق فيه. . (إلى الأخريات) أو ليس هذا صحيحا؟

ليوني : إنه يعرف ماهو البؤس، يعرف معنى الحاجة. .

لويز : مع أن هناك أناسا انعدم شرفهم لدرجة اتهامه بالاحتفاظ لنفسه بالمال الذي يجمعه للفقراء. .

انجيل : يا للعار. هناك أناس يتكلمون عن البؤس ولا يعرفونه أما هو فيعرفه، يعرف الطوابق الثمان.

لويز : سنستمر في صنع ضماد الجروح؟ لقد صنعنا منه الكثير!

جان : أوه. . لكنه لا يكفي، نحن في حاجة إلى كمية كبيرة منه!

انجيل : لن نصنع منه ما يكفي أبدا!

تيريز : لأن عدد الجرحى كبير جدا. .

جان : لابد من تغيير ضماد الجروح ثلاث مرات اليوم. .

تيريز : طبعا. . وإلا تلوثت وأحدثت غنغرينة. .

ليوني : إنهم في الوحل. .

روز ـ ماري : إنهم في الوحل، وحدهم، هكذا، ولا نجد حتى وقتا لعلاجهم، ومن ذا الذي يستطيعون الاستنجاد به؟جارهم؟ لا، لأنه في حال مثل حالهم.

انجيل : يجب أن نتسلح بالصبر والشجاعة، لأنهم يتسلحون، هم الصبر والشجاعة. . (صمت)

روز ـ ماري : اتعلمين، يـا انجيل، إننـي لم أتسلـم شيئـا من النقـود بعد؟

انجيل : ما هـذا بالشيء الغـريب، لـن تتسلمي شيئـا، يجب أن تنتظري حتى يعود. .

روز ـ ماري : وإذا لم يعد؟ لا أعـرف حتى من الذي يجب أن أسـأله! هذا تصرف غير شريف. . (تـدخل هنرييت التـي توزع تفـاحـا على الحاضرات. إلى جـان التـي لا تـأكـل) ألا تشعرين بالجوع؟

جان : خذيها، لأن أسناني أنا. . . . . .

(تغني هنرييت أغنية تفهم كلماتها شيئا فشيئا)

«أيتها الحرية التي تشعلين قلوبنا

يا معبودة الفرنسيين،

معبدك المقدس في نفوسنا،

ولن ينهار أبدا. .

عندما يخاف الطغاة الحاقدين

الشجاعة التي تعرفين كيف توحين إلينا بها

سيحضرون جميعا إلى معبدك ويموتون فيه

وأنت، يالص فنديه،

يا من يقوده قس إلى المعركة

حانت ساعتك الأخيرة،

رفعت فرنسا ذراعها.

نار الانتقام تتقد

على آثار خطاك،

ودمك يهدر بموجات عالية

ويلفظ الفولاذ موتك!

أيها الجنود، انقضوا على هؤلاء الخونة

وسيفكم في يدكم،

لا نصيب لهؤلاء الخونة
أعداء الجنس البشري . .
وليكن صليبهم، الرمز العتيق
لخرافاتهم، يد حرية أو طهار مدفع».

ايميلي : صحيح إنهم لصوص. عرفت من أخي الذي يحارب في فنديه أنهم ارتكبوا جريمة بشعة منذ شهور، في قرية ماشكول بالقرب من شوليه. كان في ماشكول، في ذلك اليوم، خمسمائة جندي وطني جاءوا لمصادرة السلاح وتكوين بعض الفرق، عندئذ ثار الفلاحون. .

وذات يوم، جاءوا بالآلاف في الصباح، يتقدمهم الصليب، ودخلوا الكنيسة. لأن راعي الكنيسة ناشدهم أن يكونوا مخلصين للجمهورية وأن يذهبوا للدفاع عن الوطن. صلبوه، ثم طاردوا الجنود الوطنيين في الشوارع، اشترك في ذلك الجميع، حتى النساء والأطفال، وقتلوا كل الجنود. . مع أنهم فلاحون وفقراء، . . لا أفهم ذلك.

تيريز : هناك أشياء كثيرة يجب أن تنجز لكي تسود العدالة والمساواة. . ويجب تغيير أشياء كثيرة. .

انجيل : إذا انتظرنا أن تأتي السعادة من تلقاء نفسها، فلن تأتي أبدا. .

روز ـ ماري : آه. . هذا صحيح. . ثم إننا نريد تغيير بعض الأشياء، لكن ماذا نصنع مكانها، بعد ذلك؟ لم نفكر في هذا، على الأقل. . لم أفكر فيه أنا. . أعرف ما أريد، لكنه غامض مبهم. . حسن، سأفكر فيه الآن هيا. .

جان : أول شيء يجب أن نفعله هو تعليم القراءة للجميع، ويجب أن يكون إلزاميا. .

روز ـ ماري : ألا تريد أن تتعلم القراءة ياجييوم؟ . . بف، بف. . . (تضحك)

ليوني : لكن، يجب أن تتوافر لنا إمكانية تعلمها. . هل تقدرين على شراء بعض الكتب، أنت؟

هنرييت : لكن، مادام كل شيء سيصبح مجانيا، الكتب، والمدارس، وكل شيء. .

جان : طبعا، لقد طلبوا ذلك في الجمعية الوطنية، التعليم الإلزامي والمجاني للجميع، البنين والبنات. .

انجيل : النساء أيضا، يجب أن يتعلمن. . عند سادتي كتاب ألفه شخص يدعى بواسيل يقول: أينما وجدت أم مع ابنتها، وجبت إقامة معبد لهما، لا لتكريمهما فقط، وإنما أيضا للانتقام لما فعل الرجال بهما. . (تخاطب المواطن الحفار الذي أحضر قماشا جديداً لصنع الضماد). .

المواطن الحفار : لسنا في حاجة إلى معبد للمرأة فقط، بل في حاجة إلى معابد عامة، مفتوحة للجميع، تكون لنا بمثابة المدرسة، أو ورشة العمل. .

ليوني : لكننا سنتوقف عن العمل، مادمنا سنقضي وقتنا في التعليم. . .

المواطن الحفار : يزعم بعض الفلاسفة أن أربع أو خمس ساعات عمل يوميا قد تكفي. . . (ضحك عام)

تيريز : استيقظ إذن في الخامسة صباحا، هادئة، انتظري، سأحسبها: خمس ساعات، ست ساعات، سبع ساعات، تسع ساعات، عشر ساعات، في الساعة العاشرة، ينتهي يومي. .

ليوني : وتشربين حساءك. .

تيريز : وأنام. .

انجيل : لا، تذهبين إلى المعبد لتقرئي. .

تيريز : أوه، إنها فكرة متسلطة. إذا عرفت أنني سأقضي وقتي في كل هذا، أفضل ألا تعلم. .

المواطن الحفار : ستذهبين للنزهة في الحدائق . . . .

ليوني : أما هذا، فلن أفعله غدا . .

روز ـ ماري : إذا كان هـذا سيحدث غـدا، أخذت أطفـالي الخمسة، وهيا إلى الشوارع . .

تيريز : طبعا . . الشوارع الواسعة المنيرة، حيث يمكن أن تتنزهوا أنتـم الستة وتـواجهـون الآخريـن . . بـدلا من التسلـل الواحد تلو الآخر بين الجدران . .

ليوني : الشوارع التي تفوح منها رائحة العفن . .

روز ـ ماري : وستكون هناك حدائق، وعند تقـاطع الممرات، ستوجد دكاكين صغيرة يباع فيها الخبز مجانا . .

لويز : وما دمنا لـن نعمل كثيرا، فمعنى هذا أننا لـن نعمل من أجل الأغنياء، وهكذا يبدأ عهد المساواة . .

انجيل : وهكذا، لن تكون هناك حـاجة إلى الأشياء الكمالية، أو الذهب، أو الفضة . .

ايميل : سنرصف الشوارع بالذهب، ونمشي عليه، وهكذا يفقد قيمته . .

المواطن الحفار : ولن تـوجد بعـد الآن منازل للأغنيـاء في ناحيـة، ومنازل للفقـراء في الناحيـة الأخـرى . ستوجـد منـازل مفتوحـة للشمس دائما، للجميع . .

روز ـ ماري : لكن، من سيسكن غرفتي الحقيرة، عندما أغادرها؟

ليوني : ستغلق، هي ومثيلاتها . .

انجيل : وسيحولونها إلى حدائق معلقة . .

جان : أظـــن، أنا، أنني أود كتابـة كتاب أروي فيــه كــل ما حـدث، كل جهـودنا، وعلى كـل الشيوخ أن يكتبـوا كتابا مثله، قد ينفع الأبناء، فيما بعد . .

ايميلي : نعم، هكذا يعرفون ما حدث، ومعنى كلمة الطغاة . .

تيريز : قد يجدون في ذلـك مثالا يحتذى بـه ويعرفـون ما يجب أن يفعلوه لكي لا يتكرر. .

لويز : هذه الفكـرة تملؤني فـرحا، لكـن انتبهوا، قـد يكون المرء شيخا لكن هـذا لا يعني أن حياته مثـال يحتذى. . لابد من التـأكد مـن أخلاق الشخص، لـذا لابد مـن وضع قواعد. . . و. . .

هنرييت : قوانين؟

لويز : لا. . قـواعـد أخـلاقية. . . ضـد الاستغـلال. . ضـد الأنانية. . . . .

(تثير هذه الفكـرة أحلام النسـوة اللاتي يـواصلن التعبير عن رغبـاتهن ومشروعاتهن ثم يتجهـن إلى مائدة الـوسط التـي ظـل الـرجـال حـولها، يجلـس الجميـع استعـداداً للمأدبة الوطنية). .

المأدبة الوطنية

راوي : في ٢٣ اغسطس ١٧٩٣، تقـرر تجنيد المتطـوعين، وأقام القسـم مأدبة وطنية، بهذه المناسبة. .

(بعـد نداء الأسماء، ينشـدون نشيد العقـل، بمصاحبـة المواطن الموسيقار). .

«يا رفيق الحكيم الجليل
اهدم الأحلام الخادعة
تقبل تحية الشعب الحر
تعال واحكمنا بالأخلاق،
أيها العقل القدير الخالد
وضعت القانون للبشر

وقبل أن يتساووا أمامه

كانوا متساويين أمامك (مرتين)».

المواطن الكاتب : أيها المواطنون، قبل أن نبدأ هذه المأدبة الوطنية التي تجمعنا اليوم، احتفالا بالتعبئة العامة وسفر كثيرين منا إلى الجبهة، سيرتل البعض علينا موادا من أعظم مواد ذلك الإعلان الذي توج دستورنا . .

المواطن الحفار : «المادة الأولى. هدف المجتمع السعادة العامة التي تنشئها الحكومة لتضمن للإنسان الاستمتاع بحقوقه الطبيعية الدائمة.

هنرييت : المادة السادسة: الحرية هي أن يستطيع الإنسان عمل كل ما لا يضر حقوق الآخرين. الحرية مبدؤها الطبيعة وقاعدتها العدل، وضمانتها القانون، وحدودها الأخلاقية في هذه الحكمة: لا تفعل بالآخرين ما لا تحب أن يفعلونه بك.

جبرييل : «المادة الثالثة عشرة. بما أن كل إنسان برىء إلى أن تبثت إدانته، يجب أن يعاقب القانون بصرامة أي شدة لا تكون ضرورية للتأكد من شخصية الإنسان إذا رأى أنه لابد من القبض عليه» . .

لويز : «المادة الثامنة عشرة. يستطيع أي إنسان أن يقدم خدماته، ووقته، لكنه لا يستطيع أن يبيع نفسه أو يباع! فشخصه ليس ملكا يمكن التصرف فيه ولا يعترف القانون بالخدمة المنزلية، ولا يمكن أن يوجد إلا التزام بالرعاية والعرفان بين الإنسان الذي يعمل ومستخدمه» . .

نيني دالوك : «المادة الخامسة والثلاثون ـ عندما تنتهك الحكومة حقوق الإنسان، تصبح الثورة بالنسبة للشعب وكل جزء منه أكثر حقوقه قدسية، وأكثر واجباته إلحاحا»

(تكرار الأغنية)

المواطن الحفار : أيها المواطنون، اقترح أن نتبادل قبلات الإخاء. . . (تبدأ المأدبة في جو من الفرح. . يشرب الجمع نخب قضايا مختلفة، بناء على اقتراح عضو القسم هذا أو ذاك. خبز المساواة ، وسيكون ثمنه ثلاثة مليمات للنصف كيلو، ونخب المساواة ، والجنرالين الثوريين بيشجرو وهوشي ، ونخب روبسبيير، ونخب الإخاء وأقسام فرنسا الأربعين ألف) .

المواطن لوبريتون : أيها المواطنون، اخترنا بمناسبة المأدبة الوطنية، الهة للحصاد. . (يتوج هنرييت التي تغني نزولا على رغبة الجميع) . .

هنرييت : سأغني لكم. . تحية لمارا:

«بوطنيته وحبه للقوانين

بقوميته الراسخة وكرهه للملوك

عرف مارا كيف يمهد لسعادة فرنسا وبعطفه عرف كيف كسب قلوبنا!

أيها الجبل العزيز، يا من تفي بتعهداتك،

أيها اليعاقبة المقدامين،

يا أمل وطني وهلاك الطغاة،

فلتكونوا دائما هداتنا إلى الخلود

من أجل حريتنا. . » .

(يصفق الجميع لها، ويشربون نخب مارا)

لويز : يجب أن أعلن لكن أن القاضي سانتوناكس بادر بإلغاء العبودية في سان دومينج! . . أطلب أن نشرب نخب توسان لوفرتير، محرر كل العبيد. .

اجريكول شابيت : أيها المواطنون، أعرف، أنا أيضا شابا وطنيا استشهد من أجل الوطن وكان اسمه فيالا، كان في الحادية عشرة، وحارب على ضفاف الدورنس ضد المتمردين في الجنوب. وكان عليه أن

يقطع حبل جسر من القوارب ليمنع المتمردين من عبور النهر، رفع بلطته، وأطلقت النار عليه، واستطاع أن يقطع الحبل، وقبل أن يموت قال: «أموت من أجل الحرية» لنشرب نخب فيالا. . (يصعد لوبريتون على المائدة). .

المواطن لوبريتون : أيها المواطنون، سنمثل لكم مشهدا قصيرا عن الحد الأقصى. . تعرفون جميعا بقال شارع سان بليز! سيكون اسمه: البقال المحتكر أو قدح الحد الأقصى (يدق المواطن الكاتب الدقات الثلاث، وأثناء المشهد كله، يسلك أعضاء الأقسام سلوك جمهور يشهد عرضا للدمى. يمثل دور البقال).

صباح الخير، أيتها المواطنة. .

ليوني : صباح الخير، أيها البقال. .

ـ ماذا تريدين أيتها المواطنة؟

ـ أريد دهن خنزير طازج. .

ـ أوه دهن خنزير طازج، تسلمت شيئا منه صباح اليوم وإني لمسرور لأن سعره ارتفع. . مائة مليم لنصف الكيلو. .

ـ أوه. . لكن هذا ليس السعر الأقصى. . أيها البقال!

ـ السعر الأقصى، أيتها المواطنة لا يهمني في شيء

ـ إذن، أيها المواطن، سيجلسونك على خازوق. .

ـ يا مفوض!

المواطن الحفّار : (يمثل دور مفوض الجيوش الثورية، يظهر فجأة وراء المائدة) أيها المواطن البقال، السعر القديم لدهن الخنزير: ثلاثون مليما، السعر الأقصى الجديد: خمسة عشر مليما. .

(ينتهي المشهد التهريجي بإدانة البقال وموته على المقصلة. يستمر جو المرح. يتحدث باتيست دومون

ولوبريتون معا، يتحدثان بلاشك عن انتصار السعر الأقصى، وشيئا فشيئا، يتغير تعبير وجه دومون)

المواطن لوبريتون : أيها المواطنون، اسمعوا ما يقوله المواطن دومون! .

دومون : تخيلوا الإجراء الذي اقترحناه عليكم في هذا المشهد التهريجي إذا عهد به إلى بعض الإدارات الخائنة . .

المواطن الخباز : لا يتعلق الأمر ببعض الإدارات الخائنة . الأمر أمر جيش ثوري مكون من الثوار فقط يمكن أن يجوب فرنسا ويرعب الأشرار.

دومون : أتريدون إلقاء الروع في نفوس كل المواطنين بالتحدث إليهم باستمرار عن القبض، والدم، والجرائم؟ احترموا القوانين، ثقوا في ممثليكم، وسيبذلون قصارى جهودهم لكي يداووا آلامكم .

المواطن النجار : فليضع ممثلونا القوانين التي نطالب بها، إذا كانوا يريدون حقا أن يداووا الآلام التي تهاجمنا، وليتركوا لنا تطبيق الإجراءات التي نراها عادلة .

المواطن الكاتب : تطلب منا احترام القوانين، لكن القانون يظل تعسفيا طالما أن الشعب لم يوافق عليه بمعرفته .

المواطن الحداد : لنا وحدنا الحق في وضع القوانين، وبالتالي، لنا أيضا الحق في مخالفة القوانين التي لا تناسبنا . .

دومون : الإجراءات التي يجب اتخاذها لإنقاذ الشعب ليست هي هي دائما، إذا كانت القوة لا تجدي مع أعدائنا، علينا أن نستخدم الحيلة والرقة والخداع .

المواطن الجزار : مهمة نوابنا الوحيدة هي اقتراح هذه الإجراءات! الشعب يدفع لهم أجرا من أجل ذلك، لا لكي يستخدموا ضدنا الخداع والحيلة .

دومون : أود أن أرى هؤلاء الرجال الذين يزعمون أنهم أكثر وطنية من ممثلينا . . .

المواطن الكاتب : نواب الشعب لا يمثلونه، إنهم مجرد مندوبين عنه!

دومون : أوه.. أن أرى هؤلاء الرجال الذين يريدون مكان نوابنا.. فليأخذوه.. إدارة أحد عشر جيشا، وحمل عبء أوربا الثقيل، وكشف الخونة في كل مكان وتخويف كل المتآمرين ـ أود أن أراهم!

المواطن الحداد : عندما يكون الوطن معرضا للخطر، بالذات، لا يمكن أن يكتفي الشعب بانتخاب نوابه، بل عليه، بوصفه صاحب السيادة، أن يوجدفي مكانه في كل موقع، على رأس جيوشه، و إدارة شئونه..

دومون : هل تعتقد أن الحكومة تستطيع أن تتغلب علي هذا القدر من العقبات والأعداء، بدون وحدة العمل، وسرية العمليات؟

المواطن بائع النبيذ : الحكومة هي الشعب مجتمعا في مجالسه!

المواطن الحفار : إذا فصلت الحكومة عن الشعب فكأنك تنادي بالدكتاتورية، وهدمت الديمقراطية.

دومون : الديمقراطية ليست دولة يجتمع الشعب فيها باستمرار لينظم بنفسه كل الشئون العامة (ضجة)

المواطن النجار : الديمقراطية هي الشعب مجتمعا في مجالسه والشعب الذي يمارس حقوقه كاملة..

دومون : لكنها ليست الشعب الذي يقرر مائة ألف جزء منه مصير أمة بأكملها. إن الديمقراطية هي دولة السيادة فيها للشعب مسترشداً بالقوانين.

نيني دالوك : ... القوانين التي أرادها...

دومون : ووضعها، دولة يعمل فيها الشعب بنفسه كل ما يمكن أن يتقنه ويعمل فيها المندوبون كل مالا يستطيع أن يعمله..

المواطن الكاتب : نواب الشعب لا يمثلـونه، بل إنهم لا ينوبـون عنه، لأن السيادة لا تنقل إلى الغير. .

المواطن الخباز : وأي إنسـان يـزعــم أن السيـادة لـه فهـو طــاغيـة، أو مغتصب، أو حــامي حمى، سمه كــما تشــاء، لكننا لا نريده. .

المواطن الكاتب : ذلك ما قال روسو «إذا ظـن الشعب الإنجليزي أنه حر، فهو مخطىء كـل الخطأ فهو لا يصبح حـرا إلا خلال فترة انتخاب أعضـاء البرلمان، وبعد انتخـابهم مباشرة يعـود عبدا، ويصبح لاشيء بالمرة». . .

جان شو : يجب أن يحاسـب الشعـب الحر منــدوبيـه على أفعـالهم وأعمالهم. .

دومون : يجب أن يسترشد الشعب بعقله، وفي ظــــروف كهـذه، لا تقدم الحكـومة الثوريـة كشف حسـاب إلا لفضيلتها هي، عليكم أن تنتخبوا رجالا أفاضل! . .

المواطن الكاتب : الحصانـة التي تريـدها امتياز لا يحتمـل. . إنها معطف خدّاع يمكـن أن يرتديه النـائب الفاسد ليخون مصـالح الشعب بلا عقـاب، إذا لم يعد للأقسام حـق في النقد، حلّت ارستقراطية الممثلين محلّ ارستقراطية النبلاء. .

المواطن النجار : من نكـون إذن، إذا كنا لا نستطيع أن نـراقب عـن قرب سلوك الذين يحكموننا؟

المواطن بائع النبيذ : هذا يعنـي حرمان مجالـس الأقسام، والجمعيات الشعبيـة من ممارسة حقوقها، وحرمانها من الوجود!

دومون : المجتمع الشعبي الكبير هو الشعب الفـرنسي ومن ناحية أخرى، هـل يتواجد الشعـب كل يـوم في الأقسام؟ (رد فعل عنيف) لا. . يأتي الوطنيون إليها عندما يتسع وقتهم لـذلك، بـل إن درجة تعليمهـم لا تمكنهم، في أغلـب الأحيان، من الانتصار على الارستقراطية. .

المواطن الكاتب : دومون! الممارسة اليومية في الأقسام تساعد على تربية المواطنين تربية قومية . .

دومون : الشعب في الورش لكن الأمر مختلف هنا. مازال الشعب هنا، أناشدكم أن تنضموا إلى التمثيل الوطني . .

المواطن لوبريتون : حسن، وأناشدك أن تضع نفسك مكان التمثيل الوطني، فليترك النواب مقاعدهم، فهي ملك للشعب.

دومون : أنت تلقى في المجالس الشعبية بذور الدس والطمع. أنت تريد تدمير الثورة. ألا تثق في الرجال الذين أثبتت أعمالهم الكثيرة أنهم أهل لذلك؟ لا تثق إلا في ممثليك (يساعد المواطن الكاتب نيني دالوك على الصعود على المائدة، في مواجهة دومون)

المواطن الكاتب : ماذا؟ المواطن نيني دالوك؟ هاهو ممثلك؟ (مواجهة صامتة)

نيني دالوك : إنه جميل جمال الملوك!

(ينزل دومون من على المائدة، وينتحي جانبا. يصعد المواطن الخباز على المائدة ويخاطب نيني دالوك وأعضاء الأقسام الآخرين الذين يلحقون به تدريجيا).

المواطن الخباز : هيا، سنذهب ونطالب بالخبز. سننضم إلى عمال البناء ومهمات الحرب الذين هجروا عملهم. . سنلتقي في ميدان دي جريف، وهناك، سننضم إلى العمال ونذهب إلى القسم، ونقول «أيها المواطنون إن صعوبة الحصول على الخبز من المخابز هي السبب الذي جعلنا نأتي لنقاطعكم لحظة أثناء مشاغلكم. . مضى شهران ونحن نتألم في صمت، أملا في أن يتغير الحال، لكن الألم زاد على عكس ذلك أيها المواطنون، لا تستسلموا للموت جوعا. لا تجبروا العامل الذي يشتغل أثناء النهار، ويحتاج إلى الراحة ليلا، على السهر جزءا من الليل وتضييع نصف النهار لكي يحصل على الخبز وقد لا يحصل عليه في أغلب الأحيان. لم

نعد في حاجة إلى الوعود، نحن محتاجون إلى الخبز حالا. إذا كان الخبز موجودا، اعرضوه للبيع، وإذا كان غير موجود قولوا لنا السبب! يقدم الثوار لكم أنفسهم، ووقتهم وحياتهم وأنتم، أيها المشرعون، تضعون قوانين حكيمة، وتعدون الناس بالسعادة، لكنكم تخطئون، لأن القوة التنفيذية تعوزكم، دعونا نستخدم وسائلنا الخاصة ولإنقاذ أنفسنا، أيها المواطنون، لابد من إعلان الإرهاب، إنها الحرب المعلنة، حرب الأغنياء ضد الفقراء، إنهم يريدون سحقنا، لذا يجب اتقاء شرهم، يجب أن نسحقهم بنفسنا. لقد التهموا ثمرة أعمالنا، وخربوا بيوتنا، وشربوا عرقنا ويريدون الارتواء بدمنا. . أيها المواطنون، إن يوم العدل والغضب آت لا محالة، تتضح كل يوم خيانات جديدة لأن الأعداء المختبئين في الداخل يحولون دون استمرار الحياة. لابد من أن تضمنوا فورا، وتقرروا تكوين جيش ثوري يجوب المقاطعات بحثا عن أعداء الثورة، جيش مكون من الثوار الذين سيطهرون أرض الحرية من كل اللصوص الذين يفسدون فيها. أيها المواطنون، اعلموا أننا عشرة الآف وأننا مستعدون للثورة، إذا كنتم لا تريدون النزول على رغبات الشعب. فنحن عشرة آلاف وأنا على أتم استعداد للتمرد والسلام لمن حسنت نيته، والحرب لمن يجوعوننا والطغاة. وهكذا يسترد الوطن أنفاسه. (يعود الجميع إلى أماكنهم التي تركوها ليحيطوا بالمتحدث باسمهم).

يوم ٥ سبتمبر، ترك عمال البناء ومهمات الحرب عملهم واجتمعوا في ميدان دي جريف، واتحدوا مع الثوار، وحصلوا على الحد الأقصى العام للأجور. وكان هذا آخر انتصار شعبي عظيم أحرزته هذه الثورة. .

يوم ٩ سبتمبر، منعت لجنة الخلاص العام استمرار الأقسام فحطمت حركة الثوار، طليعة الشعب. وفي الشهور التالية، سافر خمسمائة ألف رجل إلى الحدود

(ينهض كل واحد، ويقول ما الذي صار إليه)

ادريان ريفيار : ذهب إلى الجيش.

اجريكول شابيت : ذهب إلى الجيش.

جان شو : ذهب إلى الجيش.

جرمان فاير : ألقي القبض عليه يوم ١٩ مارس ١٧٩٤.

فيليسيان باورن : ألقي القبض عليه، يوم ٢٠ فبراير ١٧٩٤.

انطوان ماريشال : ذهب إلى الجيش.

شارل هنري لوبريتون: ألقي القبض عليه أكتوبر ٩٣، وأعدم في فبراير ٩٤.

نيني دالوك : ذهب إلى الجيش.

اونوريه فيرون : اتهم في مؤامرة جراكسوس بابوف: ألقي القبض عليه، ثم أعدم في ١٧٩٨.

بازيل رينوار : ألقي القبض عليه يوم ٩ سبتمبر.

جوزيف دوبريل : ذهب إلى الجيش.

باتيست دومون : عين عضوا بلجنة الخلاص العام وأعدم يوم ١٢ ترميدور ١٧٩٤.

(ينهض الكاتب، ويقرأ النص الآتي)

«إن ظاهرة كهذه لن تنسى أبدا في تاريخ العالم لأنها كشفت في أعماق الطبيعة البشرية عن إمكانية التقدم الأخلاقية التي لم يحدسها أي من رجال السياسة حتى الآن. حتى إذا كانت هذه الساعات الأولى في ظل الحرية لم تبلغ الهدف المنشود، فهي لا تفقد شيئا من قيمتها لأن هذا الحدث كان هائلا ومختلطا بمصالح البشرية ومؤثرا في كل أرجاء العالم، بحيث يستحيل أن تنساه الشعوب في ظروف أخرى، ويستحيل ألا ينتهي بها الأمر إلى تكرار تجربته».

رأى أبداه. كانت عن الثورة الفرنسية في كتابه الأخير صراع القدرات (١٧٩٨).

ختـــام

نيكراسوف

تأليـــــف: جـان بـول سـارتـر

ترجمـــــة : د. عبدالقادر التلمساني

مراجعة وتقـديم: د. رضـا الجمـل

فكر سارتر ومسرحه

مقدمة

ولد جان بول سارتر عام١٩٠٥ في باريس، وبعد حصوله على البكالوريا التحق بمدرسة المعلمين العليا سنة١٩٢٤ ثم اجتاز بعد تخرجه سنة١٩٢٨ مع زملائه خريجي المعلمين العليا سيمون فيل وبول نيزان وسيمون دي بوفوار امتحان الأجريجاسيون في الفلسفة (مسابقة عامة) ومارس بعد ذلك مهنة التعليم حتى ١٩٤٤ سنة اعتزاله المهنة واختياره الأدب وظيفة ورسالة . .

وخلال سنوات دراسته وعمله بالتعليم عمق فكره الفلسفي بما اكتسبه من مناهج الدراسة من آراء فلسفية متعددة، وخلال مرحلة التعليم والدراسة قام بين عامي١٩٣٣-١٩٣٤ برحلة إلى ألمانيا تابع خلالها محاضرات الفيلسوف الألماني . . «إدموند هوسرل» Edmund Husserl مؤسس مذهب «الفينمونولوجي» الذي يستنتج مقومات الجوهر من مظاهره وسلوكياته والذي ينادي بأهمية التجربة الصادقة في تنمية العقل وإيقاظ الضمير.

وساعدته هذه المحاضرات على تحديد معالم فكره الذي أخذ يشكل مدرسة جديدة ضمنها في كتابه الذي صدر سنة١٩٤٦ تحت عنوان «الوجودية اتجاه إنساني» وتتلخص رؤيته في أن يختار كل إنسان لنفسه السلوك الذي يريحه، ويمكنه من تحقيق ذاته حسب ما يبتغي على أكمل وجه . . متخذا من سلوك «فاوست»(*) نمطا سلوكيا غير تقليدي بعيدا عن ماجبلت عليه التقاليد من انضباط قائم على رؤية الأديان للخير والشر . .

وتجنح آراء سارتر منذ بداية حياته إلى المادية وهو لم يحظ بشهرته العالمية بصفته مؤسس المذهب الوجودي المادي فحسب وإنما اكتسبها أيضا بتصرفه الاجتماعي الخارق عن التقاليد مثل فلسفته باستباحة معاشرته الغرامية لـ «سيمون دي

(*) شخصية تفضل مكاسب الحاضر واللحظة على أحلام المستقبل . . . وبأي ثمن وأي سلوك .

بوفوار» رفيقة دراسته ورحلته الأدبية على غير ما تعارف عليه الناس وما سنته الأديان والتقاليد من شروط والتزامات لإقامة مثل هذه العلاقة بغرض تنظيم وتنسيق المجتمع الإنساني. . وأحاطته هذه العلاقة الغير الشرعية بإسطورة إمكانية قيام علاقات جنسية تعاقدية بين أصحاب الأمر بلا اكتراث بما تعارفت عليه المجتمعات وضعيا. . وأدت هذه العلاقة إلى وجود تيار معاصر جارف بين الشباب يقطع الصلة بينهم وبين ما سبق واتبعه الآباء. . . وبهذا السلوك انهارت قيمة العفة ومشاعر السمو لتحل محلها قيمة الإشباع الحسي ليتفرغ العقل لشئون الفكر والوجود.

ويحتل سارتر مكانة خاصة في الدوائر الأدبية الفرنسية والعالمية ففي سنة١٩٣٨ استقبل شباب فرنسا المتلهف على أي جديد يجد فيه حلولاً شرعية لمشاكله، استقبل كتابه «الغثيان» La Nausée بحماس شديد لما فيه من صدق الإحساس ونقد للمجتمع البورجوازي. وفي سنة١٩٣٩ صدرت مجموعته «الجدار» Le Mur ولاقت نفس النجاح وبعدها صدرت سنة١٩٤٩ ثلاثيته الشهيرة «سبل تحقيق الحرية» Les chemins de la liberté وتتكون من: سن الرشد في عام ١٩٤٥ والتأجيل في نفس العام وموت الإحساس عام١٩٤٩.

وبهذه الكتب أخذت الوجودية تعبر عن نفسها. . فهذه المدرسة الفلسفية التي أنشأها أصلا الفيلسوف الدانماركي «سورين كير كجارد (١٨١٣-١٨١٥) والذي تناولها من بعده كل من الفيلسوف الألماني كارل يازبرس(*) (١٩٦٩-١٨٨٣) ومارتن هايدجر (١٨٨٩-١٩٧٦) أخذت طابعا خاصا في فرنسا(**) على أيدي جان بول سارتر(***) فبفضل كتبه ومسرحه انقلبت الوجودية من تنظير تجريدي إلى تطبيق تجريبي. فالوجودية على أيدي سارتر تهتم بالمواقف الحية: مواقف الإنسان المتضاربة في الحياة اليومية وتهتم بالمشاعر العاطفية الذاتية كالوحدة واليأس والقلق والغثيان والاختيار والحرية الشخصية.

ففي أوربا منذ سنة١٩٢٠ حاولت ظاهرة الوجودية الأدبية أن تستبدل الفكر

(*) Soren Kierkgaard

(**) karl Yaspers

(***) Martın Heidgger

الفلسفي الديكارتي الثقافي بنمط جديد يتسم بالحركة الديناميكية والتصرف الذي يتناسب مع المواقف. . وعلى هذا المفهوم تقوم شخصية Roquentin بطل قصة «الغثيان» فنجد أن مشاعره ليس إلا ردود فعله الذاتي وانفعالاته الشخصية التي يجترها في معزل عن الفكر الديكارتي الملتزم والمنطقي. . فرؤيته للحياة قائمة على أنه فرد حكم عليه بالوجود دون استشارته وعليه أنه يقاوم متاعبه وأن يعدل من نفسه وينمو داخل مجتمع في رأيه متعفن دون أن يبطش به أحد. . فأول ما يسعى إليه هو أن يشعر بوجوده حر وسط هذا العالم بمعنى المتحرر من التراكمات التاريخية والأعراف المتداولة بين سائر الناس في عصره. . وبهذا المنظور الجديد يشعر بوحدته وعليه أن يصنع حياته ويحقق هويته. . وما الهوية سوى ما يسلكه في الحياة من تصرفات اختيارية. . فوجوده أسبق على صيرورته، وتوصيف شخصيته ماهو إلا تحصيل حاصل لجميع تصرفاته. فالإنسان بحسب بيئته وظروفه يصنع معالم شخصيته من معترك المواقف المختلفة التي يتعايشها. فهو يختار لنفسه إما الشجاعة و إما التخاذل. . .

ففي جو عاصف في فرنسا واختل توازنه وانقلبت فيه المعايير، ولا يتمسك بأية قيمة فيما وراء الحياة، ضاربا بقواعد الالتزام التقليدي للخير والشر ينادي سارتر بالحرية للإصلاح. . يطالب بوقفة لإعادة الصواب بأسلوب لا يرتكز على ما عرف من صواب. وحركته الوجودية مثلها مثل الفوق واقعية تنتهي بالمقطع isme Existentialisme - suerréalisme وتعلن رفض القدرية والحتمية. . وتنادي بالاختيار الحر دون ضوابط مسبقة ولا نماذج مثلى متخيلة فالوجود الحقيقي في عرف سارتر هو السلوك الذاتي الذي يتسم بالتحرر. .

ويعبر مسرح سارتر عن نفس أفكار أعماله الأدبية ودراساته ففي مسرحية «الذباب» سنة١٩٤٣ تأتي أسطورة «أورست» اليونانية وقت احتلال الألمان لفرنسا وتلقن الجمهور أهمية التحرر من التقاليد والأعراف. . «فأورست» Oreste يلقي عرض الحائط بكل ماهو عاطفي وتقليدي، ويتحدى الآلهة وذوي السلطان ويطالب بالإصلاح بحرية رافضا كل قيد في يديه أو عنقه من التقاليد المتوارثة التي أخرته وأخرت شعبه عن تحقيق النصر والعدالة. .

ففي حين كـان مسرح القرن السـابع عشر مسرح العقل والـرشد الكـلاسيكي ومسرح القـرن الثامـن عشر مسرح التطـور العلمـي وإلغاء الفـوارق الاجتماعيـة، ومسرح القـرن التاسـع عشر مسرح الرومـانسيـة وتمجيد الحواس، نجـد أن مسرح القرن العشريـن جاء ليعبر عن إلغـاء موازين القيـم والتغاضي عن مـاوراء الحياة. واكتسحت الـوجودية بـأعمال جان بول سـارتر كـافة المدارس الأدبية السـابقة على مسرحه سنة ١٩٤٤. . يسانده في تياره هذا جبرييل مارسيل(*).

ولا يقاس نجاح مسرح سارتر بالعـروض المسرحية الناجحة وإنما من المضمون الذي يعبر عن فلسفته الوجودية. . فالـدراما في كل مسرحية عبارة عن استمرارية لنفس التيمة «حرية الشخصية الرئيسيـة في تحقيق نفسها بحسن اختيارها للتصرف الإصـلاحي في المواقـف. . وخـاصـة المواقف الحرجـة التـي تحدد معـالم الطريـق والسلـوك لحيـاة كـاملـة». ونجد دائما عـلامـات الاقتبـاس أو التقليـد في مسرح سارتر. . فنجد فن التهكم والأساطير كما لدى Giroudoux في مسرحية «الذباب» Les mouches التي مجدت التمـرد ويقظة الضمير وتأتي مسرحية «الأيـدي القذرة» Les mains Sales ١٩٤٨ لتطرح قضية الغاية والوسيلـة في رؤية جديدة بعيدة كل البعد عن القضية الأخـلاقية وتمزجها برؤية شيوعية سـوفيتية. . والمسرحية تتعرض لأحداث هنجاريـا في أوربا الوسطى عندمـا استولى عليها الشيوعيـون. ففي نهاية الحرب انقسم الحزب الشيوعي: هل يخاطر بمبادئه ويتحالف مع الفاشية والأحرار ليتقاسم معهم الحكم، أم يدخل ويحتل البلـد الذي تحالفت حكومته الغاشية مع ألمانيا الهتلرية. . فالبطل Hoederer «هويدرر» يفضل الاقتراح الأول وبذلك طلب أعداؤه مـن رجال الجيـش شابـا مثقفا Hugo «هوجـو» ليقتله بعـد أن عينوه لـديه سكرتيرا لفترة اكتسب فيها ثقته. وهذا يذكرنا بمقتل Trotsky «تروتسكي» في نفس الظروف. واقترف «هوجـو» جريمته(**) بعد تردد لدوافـع نفسية شخصيته وليس بدافع سياسي.

وحكم عليـه بالسجـن وبعد عـامين أقر الحزب مبـادىء «هويـدرر» وفكر في

(*) Gabriel Marcel

(**) ثائر روسي ولـد ١٨٧٩ وقتل في المكسيـك ١٩٤٠ وهو مـؤسس الجيـش الأحمر والمساعـد الأول للينين فيما بين ١٩١٨-١٩٢٥ وطرده ستالين من روسيا ١٩٢٩ .

التخلص من «هوجو» حتى لا يفشي السر. . وهذا العمل المسرحي السياسي يذكرنا بمسرحية Lorenzacio لوزمزا شيو لألفريد دي موسيه Alfred de Musset .

وفي مسرحيـة «الرحمن والشيطـان» عرض سـارتـر في (١١) لوحـة جميع معـالم مسرحيـة الحذاء الساتـان لكلوديـل (Cloudel) Le Soulier de Satan وذلـــك بما جاءت بـه مسرحياته مـن تصوير للحـرب المدنية الغير رحيمة والتـي اشتعلت في ألمانيا وقت الإصلاح بزعامة Luther «لوثـر»(*) . . مما جعل ثورة الفلاحين كما لو كانت حدثت في عهد الرومانسيين. فبطل المسرحية جوتز Goetz يؤكد سلوكيا أن الإنسان يمكنـه التعديـل من نفسه وتغيير سماتـه من رحمن إلى شيطـان والعكس. فهو كـرئيس للميلشيات يشعـل النار في ألمانيا ويهب نفسـه للخيانة والشر مـؤكدا إمكانيـة تحقيق ذاتـه على نقيض صورتـه الأولى حتى يقتل جميـع سكان البلـدة ثم يتحـول مـن جـديـد إلى رحمن يوزع أراضيـه على الفـلاحين. وبهذا تصبـح كـافـة سلوكياته غير ضارة لأنها حققت مشاريعه ولم تخضع لنظام الأخلاقيات التي سنتها الأديان. حر منتصر يقول «سأستمر بمفـردي تحت سماء خالية فوق رأسي طالما أنه لم يحن الـوقت لينضـم إلي الآخريـن. . وهذه المسرحيـة تشبه مسرحيـة Pardaillon المعنونة «بمفردي ضد الجميع».

وفي «سجناء الطونـا» سنة١٩٥٩ Les Séquestrés d'Altona أصعب روايـاته المسرحيـة وأثراهـم أراد سارتـر أن يعبر عن قضـايا القـرن العشرين. أراد أن يتهـم التاريـخ الذي يشوه الوجـود ويتساءل هل يـرضخ الإنسان لـلإثم الماثل بالقـانون والمدمر أم على العكـس يدافـع عن براءتـه من جـرائم العصر. وهو نفـس السؤال الذي قدمـه سارتر في دراسته عـن جان جينيه ١٩٥٢ Jean genet . . ويقـــول في ذلك «إننا نشعر في القـرن العشرين أن المثقفين الذين سيخلفوننا والـذين سيتركون بصماتهم على كل شيء على غير علم منا سينصبون لنا محاكمة ضارية ولهذا. . ومن أجل أجيـال المستقبل التـي ستحملنا مـا لا طاقـة لنا بـه يجب أن نخضع عصرنـا للدراسـة، ونوجه الاتهام للمسئولين فيـه. . لأن أبناء المستقبل سيكتشفـون فشلنا

(*) مارتـن لوثـر المصلح الـديني لألمانيا ضـد صكوك الغفـران ومترجم الانجيـل إلى الألمانية ولـد سنة ١٤٨٣ ومات سنة ١٥٤٦ بعد حياة حافلة بالإصلاح الديني والعمل الجامعي الفلسفي.

وإثمنا إن لم نفعل لأن القرن العشرين هو الوحيد من نوعه في التاريخ الذي فقد الديناميكية وانقلب إلى الاستاتيكا الجامدة.

وبهذا يكون عمل الأديب حسب وجهة نظر سارتر هو الاعتراض على التاريخ واحتضان الشجاعة لتحريره من الجمود. فالبطل في المسرحية فرانتز فون جرلاخ Frantz von gerlach سجين غرفة قصر الطونا يمر بهذه المحنة.. تسلطت عليه ممارسة العنف التي قام بها أثناء الحرب على الجبهة الروسية ومحاكمة «نورمبرج» التي تدين ألمانيا بجرائم النازي، وقرر أن يتحمل مسئولية أعماله، ومسئولية وطنه كبطل. ولكن الخلاص والطهارة لا وصول لهما إلا بوضع عكسي وهو الادعاء بأنه ضحية ولذلك اختلق لنفسه قصة ألمانيا المدمرة مرتع الشهداء لمدة خمسة عشر عاما بعد الهزيمة.. وهذه القصة تشبه إلى حد بعيد قصة السقوط La chute لألبير كامي Albert Cammy الحائز على جائزة نوبل مثله، والمنافس له بالتضاد الفكري.. وهذه المسرحية تظهر مدى تأثر سارتر بحرب الجزائر والعنف الفرنسي بها..

ولا يجب القول بناء على ماجاء في مسرحيات سارتر من موضوعات فلسفية أو سياسية بأن مسرحه ليس إلا عروضا مسرحية دياليكتيكية مجردة أو لوحات منمقة مزخرفة للتسلية.

الواقع أن مسرحياته تعرض القضايا التي لم يستطع هو بلورة فكرته الفلسفية عنها.. فشخصياته المسرحية تعيش وجودا لم تستطع الفلسفات القائمة إيجاد حلولا لقضاياها وتناقضاتها المأساوية.. وهذه الشخصيات تبدو غريبة ومنقسمة على نفسها رغم كافة المجهودات اليائسة التي يبذلونها لتوحيد حياتهم وتحقيق مشاريعهم وإثبات ذواتهم.. فهم دائما يصدمون بعوائق نفسية واجتماعية.. ويعبرون مفترق طرق شائكة، لم تتحدد معالمها لدى الآخرين بجلاء.. فهم أبطال لأعمالهم التي لا يستطيع الآخرون عملها رغم بساطتها، لأنهم تغاضوا عن المعايير التأسيسية في المجتمع.. وهذه المواقف هي ذاتها مواقف الدراسة الفلسفية لدى الكاتب والتي يبحث لها عن حلول.

فمسرح سارتر ليس مسرحا تعليميا وإنما مسرح حوار فلسفي فهو يعرض لنا شخصيات واعية بشدة بعدم معاملتها للآخرين وافتقادها قدرة العزم في أمور

الدنيا السارية . . فهو يرى فيهم الانفصاليون عن النظام مثل «أورست» Oreste في الـذباب و«هيجـو» Hugo في «الأيدي القـذرة» . . الذين يسعون لإصـلاح حالهم بعمـل كل مـا يجعل لمشروع حيـاتهم شرعية وجـود . . ومع ذلـك فهم لا يحققـون الأصالـة المرجوة أو التضامـن مع الآخريـن إلا في سكرات الموت أحيانـا . رافضون أو مرفوضون فهم في المجتمع التقليدي كاليتامى أو الضائعين . وهذه الشخصيات ومثيلاتها لا خلاص لها مـن الوحدة إلا باللجوء إلى الالتزام السيـاسي مما يؤدي لهم دائما إلى مـواقف العنـف والإرهـاب والقتـل . فـ «أورسـت» Oreste يقتـل أمـه كليتمنستر Clytémnestré وأجيسـت Egisthe بـلا نوم مـن أجل الخروج مـن وحدته . . ويواجهـه رجال المقاومة في مسرحية «موتى بـلاقبور » الإرهاب المنصب عليهم مـن الميليشيا ولا يتـورعون مـن قتل واحـد منهم وهـو طفل صغير لاحتمال وتوقـع أن يبوح بسرهـم لصغر سنـه وذلك خنقـا أمام شقيقتـه التي لا تعترض ولا تنفجر فيها عاطفة الدم .

. . . ونجد في الأيـدي القذرة Les Mains Sales جريمتين مماثلتين مـن النوع السياسي . . ونجـد في «الشيطان والـرحمن » سلسلة من المجـازر سواء مـن أجل الخير أو الشر ونجد في سجنـاء الطونـا Les Séquestres d'Altona أبخرة الأفـران الطاحنة ومعسكرات الاعتقال والإرهاب العنصري وقتل اليهود لجرائم وآثام تلاحق عـائلـة Von Gerlach فون جرلاش خمسـة عشر عاما بعد الحرب . . ولقـد تأثر في هاتين المسرحيتين بأعمال فيكتوريان ساردو Victorien Sardou . وجميع شخصياته مأساوية درامية . ويقـول هايدجر Heidgger (*)ولدت شخصيات سـارتر كلها لتمـوت Etre - jour - la mort . . فكل شخصية ترغب في تحمـل مسئولية قدرها المهلك وتـواجه مصيرها وتبحـث عن التفاهم مـع الآخرين المتعـارضين بطبيعتهم معها . وتمتلىء المسرحيـات بالحوار بين الجانبين المتعـارضين ليبرر كل منهما وجهـة نظره وفلسفته في الحياة . على فرض أن يقنـع أو يقتنع . . يتحاوران ولا يجمع بينهما في الإنسانية سوى العذاب . . حتى الحب في مسرحيـاته مدمر فالمرأة تسعى لتغيير

(*) مؤلف مسرحي فرنسي ولد سنة ١٨٣١ ومات ١٩٠٨ وله مسرحيات جيدة الحبكة مثل مدام وعائلة Sans - Gene Benoiton .

الرجل والإخوة والأخوات تتنازعهم أحقر الأهواء . . ولا مكان في مسرحياته للرحمة أو العفو أو الرجوع في الأمر . . وليس للبطل في مسرحياته سوى استكمال ما نوى عمله على سوء قدرته لتحقيق الانتصار أو التفوق . . فهو دائما لا مفر له من إتيان البطولة باختيار وجودي في الموقف المفروض عليه . . فلا نجاة له ولا خلاص ولا مخرج مهما كانت بسالته ومرونته . فيتحول المواقف إلى قدر حتمي لا مناص منه تاريخيا واختيار البطل يصبح الحل الوحيد في الموقف ولو كان فيه موته وهلاكه .

ويبدو واضحا أن سارتر في مسرحه يتبع مدرسة برتلوت بريخت Bertlot Brecht مما أكسب جميع مسرحياته شكلها الملمحي ليبرر المفارقة LaDistanciation : التي تجعل الجمهور قادرا على متابعة الأحداث وتفهم الحوار بجلاء بعيدا عن المعايشة المباشرة بالنسبة للديالوج وفنه نجد أن سارتر قد قلد واقتبس بمزيد من الحرية لا عن وفاء وإنما عن عوز واحتياج ماجاءت به مسرحيات الكسندر دوماس Alexandre Dummas ويوربيد Euribide في أعماله المسرحية Kean سنة١٩٥٣ والطراودة Les Troyemmes سنة١٩٦٥ والواقع وخلاصة القول، أعطى سارتر للمسرح أعمالا يعالج منها مفهوم الحرية والمسئولية كما يتصورها نفسيا . . فلقد طبق مفاهيمه الفلسفية التي تناولها في دراسته عن «بودلير» ١٩٤٧ Beaudelaire والتي تتناول سيرته ومنهجه في الحياة وتعايشه «المرارة» Le Spleen وأهمية الاختيار الأمثل لتحقيق مشروع الذات في الموقف المفروض بلا التزام بالأخلاقيات وما تنسجه من معايير. . . وهذه المفاهيم جعلت مسرحياته تثير الفزع لدى المحافظين والتقليديين في هذه الحقبة . وتأتي مسرحياته بعد فترة الاحتلال وأثناء المقاومة والتحرير في فترة اتسمت بالتأمل نتيجة القلق واختلال التوازن الاجتماعي والعقائدي في فرنسا ونتيجة فحش التصرف النازي والسلوك الفاشي في أوربا لتؤكد للنظارة انقلاب المعايير.

ولم يكتب سارتر المسرح بدافع الهواية أو الاتجاه الفني ولكن بغرض الاتصال بالجمهور بحوار مباشر على لسان الشخصيات محاولا تطبيق نظرياته الفلسفية وإيجاد بلورة لها . . والمعروف عن سارتر أنه في طفولته كان شغوفا بالسينما، ولكن مع محاولته الأولى سنة١٩٤١ عندما كتب للمساجين Mme Bariona «مدام

بـريـونـا» التـي أرادت بمـوافقـة رجـال الكنيسـة جمع شمـل المتنـاقضين المؤمنين والملحدين في ليلة العيد. . وكان يمكن أن يظـل هذا العمل بلانتيجة ولا فائدة في حياة سـارتر لـولا أن شارل دولان Charles Dullin(*) شجعه ليستمـر في الكتابـة للمسرح. . وعليـه اتجه سارتـر إلى المسرح وكتب مـاسبق وعـرضنا لـه، ثم كتـب مسرحية «المومس الفاضلة» التي أكد بها أن الفضيلة ليست مرتبطة بالحرام والحلال كما ورد في الأديان وإنما الفضيلـة من وجهة نظـر الوجـودي ونظره هي التـي تحسن العمل لخدمة الإنسان كما فعلت المومس لوطنهـا مالم يفعله المؤمنون ولا السياسيون LaPutain Respectueuse.

ولكـن هذا النجـاح الكبير الـذي أحـرزه سارتـر واكبـه إخفـاق عندمـا قـدم مسرحيات كـان يأمل لها نجاحـا كبيرا وهي «موتى بـلا قبور» سنة١٩٤٦ ومسرحية «نكـــراســـوف» ١٩٥٥ Necrassov وهـذه الأخيرة تعرض لنـا الحيـاة السياسيـة والاجتماعية في فرنسا وتبين لنا دور الإعلام في خلق الأساطير السياسية والتأثير على الجماهير بصورة حزبية وبهدف النجاح الصحفي ورفع عدد التوزيع للجرائد بغض النظر عـن الحقيقة والمسرحية تعرض ببسـاطة شديدة التحـول الاختياري الحر على المستـوى الفردي والمستـوى الجماعـي وفقـا للفكر الـوجـودي. . فـالمسرحية تبـدأ بحـديـث الدهماء على الشـاطـىء بين عجـوز وزوجته لا يجدان قـوت يـومهما إلا بالتسول وانتشال جثث المنتحرين أو سلـب مخلفاتهم على الشاطىء، وفجأة يظهر لهما شاب في محاولة لـلانتحار تفشل ويلجأ إليهما ويختفـي بارتداء ملابـس العجوز حتى يهرب من الشرطـة التي تلاحقه. . ويعـرف العجوزان أنه لص هـارب. . ثم في تسلسل طبيعي في منزل صحفي لاهم له إلا الفرقعة الصحفية والفبركة الإعلامية على نقيض مـع ابنته الصحفيـة اليساريـة يظهر اللـص الهارب الذي تقـع في حبه الفتاة وتساعده على الاختفـاء ويرسم القدر لعبته: اللص يـريد الاختفاء والجريدة تريـد خبرا جديداً وهامـا تركز في هروب نكـراسوف Necrassov مـن روسيــا. . . فيتحول اللـص الهارب إلى البطل السيـاسي الهارب الذي أرادت الجريـدة أن تعلن

(*) مديـر مسرح وممثل فرنسي ولـد سنة ١٨٨٨ ومات ١٩٤٩ وهو معـروف بتحديده الفني للأعمال المسرحية الخالدة.

عنه وتناهض به الحزب الشيوعي وترفع به عدد التوزيع وتتفجر القضايا الاجتماعية والسياسية والقوى الحاكمة تتخبط بين تأييد ورفض للشيوعية التي قتلتها المسرحية نقدا وبحثا في الفترة التي تلت المقاومة والتحرير في فرنسا، والتي سيطرت فيها الفلسفة الوجودية على الفكر الأوربي.

ولذلك نرى أن اللص يمثل الإنسان الوجودي الذي يسهل عليه التحول من صورة إلى أخرى مثله مثل بطل مسرحية.. «الشيطان والرحمن» وكذلك المجتمع الفرنسي يتخبط بين يمين ويسار وأن الوجود يسبق الجوهر «L'existence Precede l'Essence» ولذا فالمجتمع الفرنسي في هذه المرحلة كان يصنع نفسه بنفسه ولا وجود لله في حياته التي خلت من الإيمان.

وتنتهي المسرحية بعد جدل وحوار طويل ومجالس مستمرة للإدارات ومتابعة الشرطة الدائمة للص وللمحتال نكراسوف بسقوط المحتال ونجاة اللص...

وبذلك يثبت سارتر أنه ليست في الحياة طبيعة بشرية ثابتة وسابقة على أعمال الفرد.. وأن الإنسان باستطاعته أن يشكل نفسه ويصنع مستقبله بأعماله وتصرفاته الحرة.. وهذا السلوك الإرادي الحر هو الشيء الوحيد الإنساني في نظر الوجودية السارترية حتى ولو كان سلوكا مخالفا لما اتفق عليه البشر.

المراجع

المنظر الأول

الديكور: ضفة نهر «السين»، قريبا من أحد الكبارى، في ضوء القمر

المشهد الأول

المتشرد في نعاس، والمتشردة جالسة تحلم

المتشردة : أوه!

المتشرد : (وقد استيقظ قليلاً) إيه!

المتشردة : ياالجماله!

المتشرد : ماذا؟

المتشردة : القمر.

المتشرد : إنه ليس جميلا، نحن نراه كل يوم.

المتشردة : إنه جميل لأنه مستدير.

المتشرد : على كل حال إنه للأغنياء، وكذلك النجوم.

(يضطجع من جديد وينام)

المتشردة : كلمني! كلمني! (تهزه)

المتشرد : ألا تتركيني في سلام!

المتشردة : (منفعلة جداً) هناك! هناك! هناك!

المتشرد : (يفرك عينيه) أين؟

المتشردة : على الكوبري، إلى جوار فانوس الغاز، إنه رجل!

المتشرد : ليس في ذلك غرابة، إنه الموسم الآن.

المتشردة : إنه ينظر إلى القمر. وهذا يضحكني، فقد كنت أنظر إليه كذلك منذ قليل. إنه يخلع سترته ويطويها. لابأس به، أليس كذلك؟

المتشرد : على كل حال هو مخلوق ضعيف.

المتشردة : لماذا؟

المتشرد : لأنه يريد أن يغرق نفسه.

المتشردة : إني أحب الغرق، على شرط ألا ألقى بنفسي إلى الماء، وإنما أنام على ظهري واسترخى فيغمرني الماء من كل جانب، كأنه حبيب صغير.

المتشرد : ذلك لأنك أنثى.. فالذكر الحق حين يخرج من هذا العالم، لابد أن يحدث دويا.. وهذا الصبي لن يدهشني أن يتصرف قليلا مثل النساء. (يعود إلى رقاده).

المتشردة : ألا تنتظر لتراه وهو يقفز؟

المتشرد : هناك متسع من الوقت. ستوقظينني حينما يقرر أمره. (ينام)

المتشردة : (لنفسها) تلك هي اللحظة التي أفضلها، قبل القفز مباشرة، إذ يبدو عليه الوداعة. إنه ينحني وينظر إلى القمر في الماء. والماء ينساب والقمر في مكانه. (وهي تهز المتشرد) إنه يستعد إنه يستعد! (صوت ارتطام بالماء) لقد قفز في عزة نفس... أليس كذلك؟

المتشرد : باه! (ينهض)

المتشردة : إلى أين أنت ذاهب؟

المتشرد : سترته! لقد بقيت هناك، فوق.

المتشردة : لكنك لن تتركني وحدي مع هذا الغريق.

المتشرد : ليس هناك مايخيفك. إنه في القاع. (يهم بالخروج) «ياللقرف» لم يمت.

المتشردة : ماذا؟

المتشرد : لاشيء إنها الرأس التي تعود إلى الظهور. الرأس وحدها، وهذا طبيعي. (يجلس من جديد) فقط، علي أن أنتظر قليلا، إذ طالما هو حي فلن أمس سترته، وإلا اعتبر ذلك سرقة. (يطرقع بلسانه استنكارا).

المتشردة : ماذا؟

المتشرد : لا أحب ذلك.

المتشردة : ولكن ماذا؟ ماهو؟

المتشرد : إنه يعوم!

المتشردة : أوه! إنك لا ترضى عن شيء أبدا.

المتشرد : أنا لا أحب المعاندة.

المتشردة : معاندة أو غير معاندة.. سوف ينجو بجلده.

المتشرد : هذا لا يمنع أنه عنيد. ثم ان السترة قد ضاعت عليّ. أنا على الأقل، انتظر حتى يموت.. ولكني أراهنك أن أول مار على الكوبري لن تكون عنده رقة إحساس (يقترب من مربط مركب ويفك الحبل الذي يحيط به).

المتشردة : روبير، ماذا تفعل؟

المتشرد : (وهو يفك الحبل) أفك هذا الحبل.

المتشردة : لماذا؟

المتشرد : (نفس الحركة) لألقيه إليه .

المتشردة : ولماذا تريد أن تلقيه إليه؟

المتشرد : ليمسك به .

المتشردة : كف عن ذلك أيها التعس . . . ودع ذلك للمحترفين فلزام علينا أن نظل كالزهور نحن المتشردون ويجب أن نبقى في المؤخرة ، وإذا وضعت نفسك في المقدمة فسوف تنال جزاءك! .

المتشرد : (مقتنعا) أيتها العجوز، إنك تتحدثين كعليمة بالأمور.

المتشردة : إذن لا تلق إليه بهذا الحبل .

المتشرد : بل لابد أن ألقيه إليه .

المتشردة : لماذا؟

المتشرد : لأنه يعوم .

المتشردة : (تقترب من حافة الرصيف) كف عن ذلك! كف إذن! أرأيت . . فات الأوان ، لقد غرق . نهاية طيبة .

المتشرد : (ينظر بدوره) يالبؤسنا! (يعود إلى النوم)

المتشردة : والسترة؟ ألا تذهب لإحضارها؟

المتشرد : لم يعد لدي دافع لهذا العمل ، هاك رجل مات لأنه لم يجد من ينقذه، وهذا يجعلني أفكر في نفسي . . لو أنهم ساعدوني في الحياة . . . (يتثاءب)

المتشردة : أسرع ياروبير، أسرع!

المتشرد : دعيني أنام .

المتشردة : أقول لك أسرع! الحبل! انه يطفو على سطح الماء من جديد. (تحث المتشرد على النهوض) أيها الوغد! أتترك رجلا في ضائقة؟

المتشرد : (ينهض وهو يتثاءب) إذن فقد غيرت رأيك؟

المتشردة : نعم

المتشرد : (وهو ينتهي من فك الحبل) لماذا؟

المتشردة : لأنه عاد يطفو على سطح الماء.

المتشرد : فلتفهموا النساء اذن! (يلقي بالحبل)

المتشردة : لقد ألقيت به في المكان المطلوب. (مستاءة) تصور! إنه لا يمسك به!

المتشرد : (يسحب الحبل) كلهن سواء! هاك رجل ألقى بنفسه منذ لحظة في الماء، وتريدين أن يدع نفسه يخرج منه دون احتجاج! ألا تعرفين إذن ماهي الكرامة؟ (يلقي الحبل مرة أخرى)

المتشردة : لقد أمسك به! لقد أمسك به!

المتشرد : (وقد خاب ظنه) ولم يتظاهر حتى بالاحتجاج ولو قليلا. أقول لك أنه فتى طري العود.

المتشردة : إنه يسحب نفسه بمفرده. لقد نجا، ألست فخوراً بنفسك؟ إني أحس بالفخر، كأنني أنجبت منك طفلا.

المتشرد : أرأيت، ترين أنه ليس في الحياة سوى أشرار الناس. لو أني التقيت بمخلوق مثلي لكي ينتشلني من القذى... (يظهر جورج يقطر ماءً).

المشهد الثاني

نفس الشخصيات وجورج

جورج : (مهتاجا) ياعصبة مغفلين.

المتشردة : (في حزن) هذا جزاؤنا!

المتشرد : إنه الجحود الإنساني.

جورج : (يمسك بالمتسول من سترته ويهزه) وماشأنك أنت أيها البشع؟ أتظن نفسك العناية الإلهية؟

المتشرد : لقد اعتقدنا . . .

جورج : لا شيء البتة! الليل مضيء كالنهار، ولم يكن من الممكن أن تسيء فهم نواياي، كنت أريد أن أقتل نفسي أتفهم؟ هل سقطتما إلى الحضيض حتى لا تحترما آخر رغبة لرجل يحتضر؟

المتشرد : لم تكن تحتضر.

جورج : بلى، بما أني كنت في طريقي إلى الموت.

المتشرد : لم تكن في طريقك إلى الموت حيث أنك لم تمت.

جورج : لم أمت لأنكما تعديتما على رغبتي الأخيرة.

المتشرد : أية رغبة؟

جورج : رغبة الموت.

المتشرد : لم تكن الأخيرة.

جورج : بل كانت الأخيرة.

المتشرد : كلا، فقد كنت تعوم.

جورج : مرحى! كنت أعوم قليلا في انتظار الغرق. لو لم تلق إلي بالحبل...

المتشرد : إيه! ولو لم تمسك به...

جورج : لقد أمسكت به لأني كنت مضطراً لذلك...

المتشردة : وما الذي اضطرك؟

جورج : أقول لك: الطبيعة البشرية، فالانتحار ضد الطبيعة!

المتشرد : فأنت تعرف جيداً..!

جورج : ماذا أعرف؟ هل أنت من الطبيعيين؟ كنت أعلم جيداً أن طبيعتي سوف تحتج، ولكني كنت قد أعددت العدة لكي يأتي ذلك بعد فوات الأوان: البرد يخفت حياتي. كل شيء كان مدبراً مقدماً، كل شيء سوى أن يأتي عجوز أحمق فيستغل أضعف مشاعري لنفسه.

المتشرد : لم نكن نفكر في شر.

جورج : وهذا هو عين ما أعيبه عليكما! كل الناس يفكرون في الشر. ألم تكن تستطيع أن تفعل مثل كل الناس؟ لو كنت تفكر في الشر لانتظرت مليا حتى أغرق، ولصعدت إلى الكوبري بعد ذلك في هدوء لتلتقط السترة التي تركتها هناك. وبذلك كنت أسعدت ثلاثة أشخاص: أنا، الذي كنت سأصبح ميتا، وأنتما الاثنان لأنكما كنتما تكسبان ثلاثة آلاف فرنك.

المتشرد : السترة تساوي ثلاثة آلاف فرنك؟ (يريد أن يتسلل) (فيمسك به جورج)

جورج : ثلاثـة آلاف على الأقل، وربما أربعـة. (المتشرد يريـد أن يتسلل يمسـك به جـورج) الزم مكـانك! طـالما أني حي فملابسي ملكي.

المتشرد : يا للأسف!

جورج : سترة جميلـة وجديـدة تماما، مـن الصوف وعلى أحـدث طراز، ومبطنة بالحرير، ولها جيـوب داخلية!.. ضاعت منـك رغم أنفـك ولسوف أحملهـا معي إلى الموت. هـل فهمت أيها الأبله؟ لقد كانت مصلحتك في أن أموت.

المتشرد : كنـت أعرف ذلـك يـاسيـدي ولكن لم يكـن همي سـوى مصلحتك أنت.

جورج : (في عنف) ماذا قلت؟ أيها الكاذب!

المتشرد : كنت أريد أن أؤدي لك خدمة.

جورج : أنـت تكـذب! (المتشرد يريـد أن يحتـج) ولا كلمـة وإلا الضرب.

المتشرد : اضرب ماشئت، إني أقول الحقيقة.

جورج : لقد عشت خمسـا وثلاثين سنة، أيها العجوز، وجـربت كل الموبقـات وكنت أظن أني عـرفت مشاعـر الإنسان. ولكن كـان لابد أن انتظر آخر أيـامي لكي يتجـرأ مخلوق فيعلن في وجهـي (مشيرا إلى النهر وأمـام فراش مـوتي أنه أراد أن يؤدي لي خدمة. لا أحـد، أتفهم جيداً، لا أحد يسـدي خـدمـة لأحد. لحسـن الحظ! كنـت تعلـم أني سأصبح أسير معـروفك، أنا.. أسير معروفـك! أترى: إني أضحك مـن ذلك. أفضـل أن أضحك مـن ذلك. (ينتابه شك ما) خلصني مما أشك فيه: أو تظن مثلا أني أدين لك بحياتي؟ (يهزه) أجب!

المتشرد : كلا ياسيدي، كلا.

جورج : لمن هي حياتي؟

المتشرد : إنها لك، لك كلها.

جورج : (يترك المتشرد) نعم، أيها العجوز، إنها لي، ولا أدين بها لمخلوق، ولا حتى لوالدّى اللذين كانا ضحية خطأ في الحساب. من الذي أطعمنيورباني، من الذي واسى أحزاني الأولى؟ من الذي حماني من أخطار العالم؟ أنا، أنا وحدي! إني أدين بكل شيء لنفسي وحدها. أنا صنيع أعمالي. (يمسك المتسول من تلابيبه) قل لي السبب الحقيقي الذي دفعك! أريد أن أعرفه قبل أن أموت. النقود، هيه؟ أكنت تظن أني سأعطيك بعض النقود؟

المتشرد : ياسيدي، من ينتحر يقتل نفسه لفقره.

جورج : إذن، فلابد أن هناك شيئاً آخر. (يلتمع ذهنه فجأة) فهمت، ذلك أنكما شيطانان يملؤهما الكبرياء.

المتشرد : (مأخوذاً) نحن؟

جورج : قلت في نفسك «هاك رجل ذو قيمة، مهندم محترم، يوحي وجهه ـ ولو أنه ليس شديد الوسامة ـ بالذكاء والحيوية، ومن المؤكد أن هذا السيد يعرف مايريد. وإذا كان قد قرر وضع نهاية لأيامه فلابد أن يكون ذلك لأسباب قوية، حسن، أنا، أنا فأر البالوعة، الخنفساء، كل الحشرات الموجودة ذو العقل المتعفن، أنا أرى أكثر وضوحا من هذا الرجل، وأعرف مصلحته كما لا يعرفها هو، وأقرر مكانه أن يعيش!» أليس هذا من الكبرياء؟.

المتشرد : ياربي..

جورج : نيرون كان ينتزع العبيد من أحضـان زوجاتهم لكي يلقي بهم إلى السمك. وأنـت، أشد قسوة منـه، تنتزعنـي من السمك لكي تلقي بي إلى الإنسان. ألم تسأل نفسك على الأقل ماذا يريد أن يفعل بي أولئـك الرجال. كلا، فأنت لم تتبع سوى هواك. يالفرنسـا المسكينة، ماذا عساها أن تصبـح لـو أن متشرديها حققـوا لأنفسهـم شهـوات الامبراطور الروماني!

المتشرد : (مرتعبا) ياسيدي. . .

جورج : نعم، الامبراطـور الرومـاني! إن متعتكم الكبرى هـي أن تضيعوا الموت على أولئك الذين ضاعت عليهم حياتهم. فأنتم قابعون في الظلام تتربصون بـالذي يئس من حياته لكي تديروا شئونه.

المتشرد : أية شئون؟

جورج : لا تتظاهر بـالبراءة ياكاليجولا ! لكل منا شئـونه، ونحن نطرب حين يعرف كل منا كيف يديرها. لقد دفعت ثمن تجاربي، فلقد لعبت هذه اللعبـة عشر سنوات. فقط، لم أكن الـذي ينقض، كما تفعلون، على الأطفـال الشهداء والفتيات المخدوعات والآباء العاطلين. كنت أذهب إلى الأغنياء في بيـوتهم، في عظمة سطـوتهم، وأبيع لهم الهواء آه! إن الحياة لعبـة بوكر فورقـة السبعة المضاعفـة تكسب ورق كاريه آس، طالما أن متمثلا بكـاليجولا وقحا مثلك يستطيع أن يلعب بي في ضوء القمـر، أنا الذي كنت ألهو بعظماء الـرجال! (فترة صمـت) حسن وبعـد، سألقـي بنفسي إلى الماء. طابت ليلتكما.

المتشرد والمتشردة : طابت ليلتك

جورج : (يعود إليهما) لن تعيدا الكرة؟

المتشرد : نعيد الكرة . . !

جورج : نعم، هذا الحبل لن . . .

المتشرد : أوه! إن كـان ذلك فـاطمئـن! أقسم لـك أننـا لن نعيـد الكرة .

جورج : وإذا ترددت؟

المتشردة : سنفرك أيدينا .

جورج : وإذا استغثت؟

المتشرد : سنغني لنغطي على صوتك

جورج : عظيم! هذا عظيم! (لا يتحرك)

المتشرد : عمت مساء .

جورج : كم مـن الوقت ضاع! كـان لابد أن أكون ميتـا منذ عشر دقائق .

المتشرد : (في حياء) أوه ياسيدي، عشر دقائق، لا قيمة لها .

المتشردة : حينها تكون الأبدية أمام المرء، مثلها هي أمامك .

جورج : حبذا لـو أراكها فيها! لقـد كانـت الأبديـة أمامـي، هذا حق . ولكني تركتها تفلـت مني لسوء تصرفكما، ولم أعد أعرف كيف أدركها .

المتشرد : لا أظن أنها بعيدة .

جورج : (مشيرا إلى النهر) لا تبحث عنها، إنها هنـا . والمسألة هي أن نلحق بها . افهمني، لقد كـان عندي الحظ النادر أن أمر على الكوبري وأن أكون يائسا في نفس الوقت، وهذه المواكبـة للأمـور يصعـب أن تحدث كثيرا . والدليـل على ذلك أني لم أعد على الكـوبري . وإني آمل ـــ أقول آمل ـ أن أكون مازلت يائسا . آه! هاهم!

المتشرد : (يقفز فزعا) من؟

جورج : مبررات تفكيري في الموت (يعد على أصابعه) كلها موجودة.

المتشرد : (مسرعاً) نحن لا نريد أن نستبقيك ياسيدي، ولكن طالما أنك وجدتها . . .

المتشردة : (توا) فإذا لم يكن في ذلك تطفلا منا . . .

المتشرد : (توا) يسرنا أن نعرفها.

المتشردة : (توا) نحن نرى غرقى كثيرين هذه الأيام.

المتشرد : (توا) ولكن لا تتاح لنا كل يوم فرصة الحديث معهم.

جورج : اغربي أيتها النجوم. وأنت أيتها السماء لم تعد لك حاجة إلى القمر. نحن البشر في حاجة إلى شمس تعلو الشمس كي نتكشف حقيقة السخف الإنساني. (للمتشردين) كيف تسمحا لأنفسكما بأن تطلبا مني معرفة دواعي موتي؟ إنه أنا أيها البائسان، أنا الذي أطلب منكما معرفة دواعي حياتكما.

المتشرد : دواعي حياتنا . . . (للمتشردة) أتعرفينها أنت؟

المتشردة : كلا.

المتشرد : نحن نعيش هكذا . . . هكذا . . .

المتشردة : طالما أننا ولدنا علينا أن نستمر أحياء حتى القضاء.

المتشرد : إننا ندرك النهاية دائما ولا داعي لنا للقضاء قبل الميعاد.

جورج : ستدركانها، ولكن في أية حال؟ ستصبحان جيفة قبل أن تصبحا جثثا هامدة. اغتنما هذه الفرصة التي أقدمها لكما. أعطياني أيديكما ولنقفز معاً، فالموت ثلاثة يصبح حفلا مسريا.

المتشردة : ولكن لماذا نموت؟

جورج : لأنكما قد سقطتما، فالحياة ماهـي إلا حالة فزع في مسرح يشتعل ناراً. كل امرىء يبحث عن باب الخروج ولا أحد يجده. وكل الناس تتخبط في كل الناس. ويالتعاسة من يسقطون. تطؤهم الأقدام على الفور. . هل تشعران بثقل أربعين مليونا مـن الفرنسيين يدسون على وجـوهكما؟ أما أنا فلن يـدوس أحد على وجهي. لقد اعتـديت على كل جيراني، وأنا اليـوم حطام. حسن، طـابت ليلتكما. إني أفضل أن أدخن على أن تسحقني الأحذية. أو تعرف أني حملـت السم طـويلا في قفـص فص خـاتم؟ يـاله مـن طيش: كنت أعد من الأمـوات وكنت أرسم الخطط فوق مستوى القـدرة الإنسانيـة وأتأملهـا بعين فنية مجردة. أي زهو كان يملـؤني. أنا صاحب الأمر في مـولدي وموتي، وكما أني كنت صنيع أعمالي فأنا أيضـا قاتل نفسي. لنقفز أيها الرفاق. إن الفارق الوحيد بين الرجل والحيوان هو أن الـرجل يستطيـع اقتراف قتل نفسـه، أمـا الحيوان فـلا. (يحاول أن يجر معه المتشرد)

المتشرد : اقفز أنت الأول ياسيدي، أريد أن أفكر.

جورج : لم أقنعك إذن؟

المتشرد : ليس تماما.

جورج : حقـا، لقد آن الأوان لكـي أتـلاشـى من الـوجـود: إني أنحـدر فلم يكـن أمامـي سوى أن أتكلـم لكي أقنـع. (للمتشردة) وأنت؟

المتشردة : كلا.

جورج : كلا!

المتشردة : بصراحة وبدون تكليف.

جورج : هيا تعالي. ستموتين بين ذراعي فنان. (يحاول أن يجرها)

المتشرد : امرأتي، يا إلهي، امرأتي، إنها لي، إنها زوجتي! النجدة! النجدة!

جورج : (يترك المتشردة) اسكت أنت. سيسمعونك.

(أضواء على الكوبري وعن بعد. صوت صفارات)

المتشرد والمتشردة : (يريان أضواء البطاريات الكهربائية) الشرطة!

جورج : إنه أنا الذي يبحثون عنه!

المتشرد : هل أنت ممن يقتحمون المنازل ؟

جورج : (وقد أهين) أوَ لي هيئة اللص أيها الرجل الطيب؟ ما أنا إلا نصاب. (صفارات. متفكرا) الموت أو خمس سنوات أشغال شاقة؟ هذه هي المسألة.

المتشرد : (ينظر إلى الكوبري) يبدو عليهم أنهم يريدون النزول.

المتشردة : ماذا قلت لك ياروبير؟ سيقبضون علينا كشركاء له في جرائمه، وسيضربوننا حتى الموت. (لجورج) أتوسل إليك ياسيدي، إن كان لايزال في نيتك أن تقتل نفسك فلاتتحرج من أجلنا. بل سنكون شاكرين لك هذا الفضل إن اتخذت قرارك قبلما يقبع رجال الشرطة على صدورنا. نرجوك ياسيدي، قدم لنا هذه الخدمة.

جورج : أنا لم أقدم خدمة لمخلوق قط. ولن أفعل ذلك في يوم موتي (المتشرد والمتشردة يتشاوران بالنظر ثم ينقضان على جورج ويحاولان دفعه إلى الماء) هيه، لا ! ماذا تفعلان؟

المتشرد : نحن نساعدك ياسيدي.

المتشردة : وحيث إن أهم شيء هو الخطوة الأولى. . .

المتشرد : فنحن نريد أن نسهلها عليك

جورج : ألا تتركاني؟

المتشرد : (وهو يدفعه) لا تنسى أنك على الأرض ياسيدي.

المتشردة : قد وقعت وانتهيت وضعت!

المتشرد : وسيمشي الناس على وجهك.

جورج : وهل تدفعان طفلكما إلى الغرق؟

المتشردة : طفلنا؟

جورج : أنا طفلكما. وقد قلت أنت ذلك منذ لحظة. (يدفعهما عنه فيوقعهما أرضا) لي حقوق عليكما أيها القتلة! عليكما أن تحميا الابن الذي دفعتما به إلى العالم على غير رغبة منه! (ينظر إلى اليمين وإلى اليسار) هل لدي الوقت للهرب؟

المتشرد : إنهم قادمون من الجانبين.

جورج : إذا ألقوا القبض عليّ فسيضربونكما. إذن مصلحتي هي مصلحتكما. هذا ما أحبه أن يكون في انقاذي انقاذكما، وهكذا لن أكون مدينا لكما بشيء، ولا حتى عرفان الجميل. ماهذا؟ (يشير إلى بقعة سوداء على الرصيف)

المتشرد : إنها ثياب زائدة للغيار.

جورج : أعطني إياها. (يعطيها المتشرد له) حسنا! (يخلع سرواله ويرتديها) أية قذارة، إنها مليئة بالقمل. (يلقي بنطلونه في النهر) دلكوني.

المتشرد : لسنا خدامك.

جورج : أنتما أبي وأمي. دلكوني وإلا الضرب. (يدلكاه) هاهم. أقبلوا سأستلقي وأنام. قولا إنني ابنكما (يستلقي)

المتشرد : لن يصدقونا.

جورج : سيصدقون إن تحدثتما من قلوبكما.

المشهد الثالث

السابقون، المفتش جوبليه، واثنان من الشرطة

المفتش : مساء الخير ياأحبائي

المتشرد : (تذمر مبهم) إيه... إيه!

المفتش : من الذي صرخ؟

المتشردة : متى؟

المفتش : منذ لحظة.

المتشردة : (مشيرة إلى زوجها) لقد كان هو.

المفتش : ولماذا كان يصرخ؟

المتشردة : كنت أضربه.

المفتش : أحق ما تقول؟ أجب! (يهزه)

المتشرد : لا تلمسني. نحن في ظل حكم جمهوري، ولي الحق أن أصرخ كلما ضربتني امرأتي.

المفتش : صه! صه! كن حليما، رقيقا: أنا من الشرطة.

المتشرد : أنا لا أخاف الشرطة.

المفتش : وهذا خطأ.

المتشرد : لماذا؟ لم أرتكب سوءاً.

المفتش : فلتثبت ذلك.

المتشرد : عليك أنت أن تثبت أنني متهم.

المفتش : ليس أحب علي من ذلك، ولكن الشرطة فقيرة. فنحن نفضل الاعترافات التي لا تكلف شيئا، على الأدلة التي لاتقدر بثمن.

المتشرد : أنا لم اعترف بشيء.

المفتش : ستعترف، كن مطمئنا. وسيتم كل شيء بالقانون (للشرطيين) احملاهما معكما.

الشرطي الأول : وبماذا سنجعلهما يعترفان أيها الرئيس؟

المفتش : حسنا! جريمة يونتواز وسرقة شارانتون (الشرطيان يجران المتشردين) قف! (يتقدم من المتشردين، وفي لطف) ألا يمكن أن نسوي المسألة كأصدقاء نحن الثلاثة؟ سيؤسفني إن أساء أحد إليكما.

المتشردة : نحن لا نطلب أحسن من ذلك ياسيادة المفتش.

المفتش : إني أبحث عن رجل عمره (٣٥) سنة، طوله متر وثمانية وسبعين، شعره أسود، عيناه رماديتان، يرتدي بدلة من التويد وهو غاية في الأناقة. هل رأيتماه؟

المتشرد : متى؟

المفتش : هذه الليلة.

المتشرد : أنا!؟ شرفا لم أره. (للمتشردة) وأنت؟

المتشردة : أوه، كلا! رجل جميل إلى هذه الدرجة، تعلم جيدا أني لو كنت رأيته لما نسيته.

(جورج يسعل)

المفتش : من هذا؟

المتشردة : إنه ولدنا الكبير.

المفتش : لماذا تصطك أسنانه؟

المتشردة	:	لأنه نائم .
المتشرد	:	وحينما ينام تصطك أسنانه ، وهذا يحدث له منذ طفولته .
المفتش	:	(للشرطيين) هزاه . (الشرطيان يهزان جورج الذي يعتدل ويفرك عينيه) .
جورج	:	حينما يكون للمرء سحنة كسحنتنا ، فلاداعي لإيقاذ الناس عنوة .
المفتش	:	أنا المفتش جوبليه . كن مؤدبا .
جورج	:	مؤدب؟ لم أفعل شيئا . وأنا رجل شريف جدا ومؤدب . (للمتشردة) كنت أحلم ياأمي .
المفتش	:	ولم توقظك صرخات أبيك؟
جورج	:	هل صرخ؟
المفتش	:	كخنزير يذبحونه .
جورج	:	إنه يصرخ في كل وقت وقد تعودت ذلك .
المفتش	:	في كل وقت؟ لماذا؟
جورج	:	لأن أمي تعذبه دائما .
المفتش	:	تعذبه ، ولا تمنعها أنت من ذلك؟ لماذا؟
جورج	:	لأني في صف أمي .
المفتش	:	هل رأيت رجلا طويلا أسمر وله عينان رماديتان ويرتدي بدلة من التويد؟
جورج	:	نعم رأيته ، هذا الوغد! إنه هو الذي كان يريد أن يلقي بي في الماء .
المفتش	:	متى؟ أين؟

جورج : في منامي .

المفتش : أيها الأبله! (يدخل شرطي مهرولا)

الشرطي : لقد وجدنا سترته على الكوبري .

المفتش : إذن فقد قفز إلى الماء . أو أنه يريدنا أن نعتقد ذلك . (للمتشردين) ألم تسمعا شيئا؟

المتشردة : كلا .

المفتش : (للشرطيين) أتظنان أنه غرق في الماء؟

الشرطي الأول : لا أظن .

المفتش : وأنا أيضا . إنه وحش كاسر هذا المخلوق، وسيحاربنا حتى آخر أنفاسه . (يجلس على حافة الماء) اجلسا يارفاق . بلى، بلى، إجلسا . نحن جميعا متساوون أمام الفشل . (يجلس الشرطيان) لنستمد الراحة من مشاهدة الطبيعة . ياجمال نور القمر! أترى الدب الأكبر؟ أوه! والأصغر! في هذه الليلة البديعة تصبح مطاردة الرجال متعة .

الشرطي الأول : يا للأسف !

المفتش : تعرف، لقد قلت ذلك للرئيس . قلت له : «ياسيدي، أفضل أن أقول لك إني لن أقبض عليه!» إني لا أتصف بالقوة ولا يخجلني ذلك . فالعاديون منتشرون على الأرض . أعطني قاتلا عاديا وأنا أقبض لك عليه في أقل من لمح البصر . فعديمي القوة يفهم بعضهم بعضاً ويقدر بعضهم بعضا . ولكن هذا الرجل أنا لا أشعر به . إنه نصاب العصر، الرجل الذي لا وجه له . لقد ارتكب مائة واثنتي جريمة احتيال، ولم ينل حكما واحدا، ماذا أفعل؟ إن العبقرية تحرجني إذ لا أستطيع تبينها . (للشرطيين) أين هو؟ ماذا يفعل؟ ماهي ردود الفعل عنده؟ وكيف تريدني أن أعرف . هؤلاء ليسوا من طينتنا (ينحني إلى الأمام) يا إلهي! ما هذا؟ (يتناول السروال) سرواله؟ .

الشرطي الأول : لابد أنه تخلص منه لكي يعوم.

المفتش : مستحيل. لقد وجدته على الدرجة الثالثة من السلم، فوق سطح الماء. (جورج يتحرك إلى اليسار ويختفي) انتظرا قليلا. لقد خلع ملابسه هنا، وكان عليه أن يجد غيرها.. وهذه الملابس... تبًا له! (يستدير إلى المكان الذي تركه جورج) اقبضوا عليه! اقبضوا عليه! (يبدأ الشرطيان في العدو)

المتشرد : إيرما؟

المتشردة : روبير؟

المتشرد : هل فهمت؟

المتشردة : فهمت. أعطني يدك.

المتشرد : وداعا ياإيرما.

المتشردة : روبير وداعاً.

المفتش : (يستدير إليهما) أما أنتما أيها الأوغاد...

(المتشردان يقفزان في الماء وأيديهما مشابكة) أخرجوهما من الماء! أخرجوهما... اقبضوا عليه! اقبضوا عليه!

(يسرع الشرطيان فيلقيان بأنفسهما في الماء. المفتش يمسح جبهته من العرق) لقد قلت حقا إني لن أقبض عليه.

ـ ستار ـ

المنظر الثاني

الديكور: مكتب جول بالوتان مدير جريدة سوار آباري (مساء في باريس) مكتب كبير له، ومكتب صغير للسكرتيرة. مقاعد، تليفون، الخ، ملصقات لسوار آباري. مرآة. على الحائط ثلاث صور لبالوتان.

المشهد الأول

جول والسكرتيرة

جول : (ينظـر إلى صور فـوتوغـرافيـة له) إنها تشبهنـي كفايـة. ماقولك؟

السكرتيرة : إني أفضل هذه.

جول : تناولي دبابيس وسنعلقها كلها على الحائط.

(يعلقان الصور على الحائط وهما يتكلمان)

السكرتيرة : لقد انعقد مجلس الإدارة.

جول : متى؟

السكرتيرة : أمس

جول : دون إخطاري؟ هذا لا ينتظر منه خير. وماذا قالوا؟

السكرتيرة : لقد حـاول لوسيـان أن يستمع، لكنهـم كانـوا يتكلمون بصوت خـافت جدا. وحين خروجهـم قال الرئيـس إنه سوف يمر عليك اليوم ليراك.

جول : الموضـوع شائع يـافيفـي الموضـوع شائع. هـذا العجـوز النحيل يريد رقبتي. (تليفون)

السكرتيرة : آلو. . . نعم حسن ياسيدي. (لجول) ماذا قلت لك؟ إنه هو: يسأل إن كنت تستطيع استقباله بعد ساعة.

جول : مؤكد، طالما أني لا استطيع منعه.

السكرتيرة : نعم ياسيدي الرئيس. حسن ياسيدي الرئيس. (تعيد السماعة) بخيل! مراب! أبرص! (طرق على الباب). ماذا هناك؟

(يفتح الباب ويبدو سيبيلو).

المشهد الثاني

سيبيلو، جول، السكرتيرة

جول : أهو أنت ياسيبيلو؟ ادخل. ماذاتريد؟ إني أمنحك ثلاث دقائق فقط. (يدخل سيبيلو) اجلس. (جول لا يجلس أبدا، وإنما يقطع الحجرة سيرا) وبعد؟ تكلم.

سيبيلو : منذ سبع سنوات ياسيدي قررتم أن تكرسوا الصفحة الخامسة لمحاربة الدعاية الشيوعية. وقد شرفتموني حينما عهدتم إلي بها كاملة. ومنذ ذلك التاريخ وأنا أفني نفسي في هذه المهمة. أنا لا أبالي إن كنت قد فقدت صحتي وشعري وبشاشتي. وإذا وجب، في سبيل خدمتكم، أن أصبح أكثر تعاسة وحنقا من ذلك لما ترددت لحظة واحدة. ولكن هناك أمر لا استطيع التراجع فيه دون أن تعاني الجريدة نفسها من ذلك: إنه الضمان المادي. إن الكفاح ضد الانفصاليين الخارجين على الدولة يتطلب الاختراع والتكتيك والحساسية، ولكي نؤثر في النفوس فأنتم تعلمون أنه يجب على المرء أن يكون إلى حد ما خصب الخيال. وهذه الخصال لا تنقصني والحمد لله،

ولكن كيف أبقي عليها إذا كانت الهموم الخارجية تطحنني؟ كيف انتقم بالسخرية اللاذعة، والملاحظة القارصة، والكلمة التي لا ترحم. . كيف أصور الفاجعة الخطيرة التي تهددنا واتنبأ بنهاية العالم إذا كان حذائي يتسرب إليه الماء، ولا استطيع إصلاحه.

جول : كم تكسب؟

سيبيلو : (مشيرا إلى السكرتيرة) اطلب إليها أن تخرج. (ينظر إليه جول في دهشة) أرجوك، فقط لحظة واحدة.

جول : (للسكرتيرة) اذهبي لإحضار «البروفة». (تخرج) ما الذي يمنعك من الكلام أمامها؟

سيبيلو : يخجلني أن أصرح بها أكسب.

جول : هل هو كثير جدا؟

سيبيلو : بل قليل جدا.

جول : كم إذن؟

سيبيلو : سبعون ألف فرنك.

جول : سنويا؟

سيبيلو : كل شهر.

جول : ولكنه أجر محترم جدا ولا أرى فيه مايخجلك.

سيبيلو : إني أقول للجميع إني أكسب مائة.

جول : حسنا! استمر. أنا أسمح لك أن ترفع الرقم إلى مائة وعشرين. سيظنون أنك تكسب تسعين.

سيبيلو : شكراً ياسيدي. . . (فترة) أو لا تستطيع أن تعطيني هذا المبلغ حقيقة؟

جول : (يقفز فزعا) المائة وعشرون؟

سيبيلو : أوه! كـلا. التسعـون. منـذ خمس سنـوات وزوجتـي في المستشفى، ولم أعد استطيع أن أفي بحاجتها للعلاج.

جول : (يمسك بجبهته) هل مـرضها. . . (سيبيلو يصدق على كـلامه بـالإشـارة). . . مما يستعصي علاجـه؟ (إشـارة جديدة بـالمصادقة) يالـك من مسكين. (فترة) وابنتك؟ كنت أظنها تساعدك.

سيبيلو : إنهـــا تفعل ما تستطيعـــه، ولكنهـــا ليست غنية. ثم لا توافقني على أفكاري.

جول : لا دخل للأفكار في النقود. . ماذا تقول؟

سيبيلو : ذلك أنها. . . تقدمية.

جول : هيا! هيا! ستشفى من ذلك بعد حين.

سيبيلو : وإلى ذلك الحين تجد أن ميـزانيتي مـرتبطة بما أقـوله عـن مـوسكو وهـذا أمـر يثقـل على نفسي من يحترف العـداء للشيوعية.

جول : على العكس، إنـك تؤدي واجبـك، وطالما أنـك تسيطر على ماتقوله في موسكو فأنت لن تضار.

سيبيلو : وحتـى بما أقولـه عن مـوسكو فنهـاية كـل شهر عنـدي كالكابوس.

جول : (وقد انتابه شك) انظـر إليّ ياسيبيلو. في عيني. في عيني مباشرة. هل تحب مهنتك؟

سيبيلو : نعم ياسيدي.

جول : وأنا ياصغيري، هل تحبني؟

سيبيلو : نعم ياسيدي.

جول : إذن قل ذلك.

سيبيلو : سيدي، أحبك.

جول : خير من ذلك.

سيبيلو : أحبك.

جول : برود! برود! سيبيلو، إن جريدتنا هي الحب، فهي حلقة الاتصال بين الطبقات، وأنا أريد أن يعمل زملائي فيها ودافعهم إلى ذلك هو الحب. ولو كنت أشك أنك تؤدي وظيفتك طمعا في الربح لما أبقيت عليك لحظة واحدة أكثر من ذلك.

سيبيلو : تعلم ياسيدي أن الفرصة لممارسة الحب في الصفحة الخامسة... ليست متوفرة دائما.

جول : هذا خطأ ياسيبيلو! ففي الصفحة الخامسة تجد الحب بين السطور. إنك تجاهد حبا في الحب ضد الأوغاد الذين يريدون تعطيل الإخاء بين الطبقات بأن يمنعوا البرجوازية من أن تضم إليها مكملتها البروليتاريا. إنها مهمة عظمى، وأنا أعرف أناسا يتخذون من ملء هذه الصفحة واجبا دون مقابل. وأنت؟ أنت الذي شاء حظك السعيد أن تخدم أنبل القضايا وتنال فوق ذلك أجرا عالياً. تجرؤ على طلب علاوة مني؟ (تدخل السكرتيرة بالجريدة) دعنا الآن وسأدرس حالتك بعين الرعاية.

سيبيلو : شكرا ياسيدي.

جول : أنا لا أعدك بشيء.

سيبيلو : شكرا ياسيدي.

جول : سأناديك حينما أكون قد اتخذت قراري. إلى اللقاء ياصديقي.

سيبيلو : إلى اللقاء ياسيدي. شكرا. (يخرج)

المشهد الثالث

جول ، السكرتيرة

جول : (للسكرتيرة) إنه يربح سبعين ورقـة في الشهر ويريد مني أن أرفع أجره . ماذا تقولين في ذلك؟

السكرتيرة : (محتجة) أوه!

جول : لا تـدعيـه يطـأ أرض هذه الحجـرة بعـد الآن . (يتنـاول الجريدة ويتصفحها) أوه! أوه! أوه! (يفتـح باب مكتبه) تافرنييه . . بيريجور . . اجتماع الصفحة الأولى .

(يدخل تافرنييه وبيريجور. تخرج السكرتيرة)

المشهد الرابع

جول ، تافرنييه ، بريجور، السكرتيرة

جول : ماذا هناك ياأبنائي؟ هموم غرامية؟ متاعب صحية؟

تافرنييه : (في دهشة) لا أعتقد . . .

بيريجور : (في دهشة) لا أظن . . .

جول : إذن فلم يعد أحد يحبني؟

تافرنييه : أوه! جول .

بيريجور : أنت تعلم جيدا أن الجميع يعبدوك .

جول : كلا ، أنتم لا تعبدوني . أنتم تحبـونني قليلا لأني لطيف ، ولكنكم لا تعبدونني . ليس الحماس هو الذي ينقصكم ، وإنما هـي حـرارة العـاطفـة . في عـروقـي تسري النيران ، ويحيطني أناس فاترون : تلك هي تعاستي الكبرى .

تافرنييه : ماذا فعلنا ياجول؟

جول : لقد ضربتم الصفحة الأولى بوضعكما مانشيتات تضحّك منا السفلة .

بيريجور : وماذا كان يجب أن نضع أيها الرئيس؟

جول : أنا الذي أسألكم يا أبنائي . اقترحوا! (صمت) ابحثوا جيدا . أريد مانشيتا يتناقله الناس، مانشيتا ذريا! لقد مضت علينا ثمانية أيام ونحن راكدون .

تافرنييه : يمكن تناول موضوع المغرب .

جول : كم قتيلا؟

بيريجور : سبعة عشر.

جول : آه! اثنان زيادة عن أمس . ينشر في الصفحة الثانية، والعنوان هو «مراكش: مظاهرات ولاء مؤثرة» . وعنوان صغير «العناصر الشريفة من الشعب لا تؤيد المتمردين» . هل لدينا صورة للسلطان السابق وهو يلعب لعبة الكرات؟(*) .

تافرنييه : في الأرشيف .

جول : في الصفحة الأولى . في الوسط تعليق على الصورة: «يبدو أن سلطان مراكش السابق قد تعود على إقامته الجديدة» .

بيريجور : كل هذا لا يعطي المانشيت الكبير.

جول : هذا حق . (يفكر) أدينهاور؟

تافرنييه : لقد تشاحن معنا بالأمس .

جول : نزدريه، ولا كلمة . الحرب؟ كيف حالها اليوم؟ باردة؟ ساخنة؟

بيريجور : لا بأس بها .

---

* كسرات حديدية تلقى من على مسافات لقياس قوة الدفع والأبعاد وهي لعبة منتشرة في أوربا في الساحات الخضراء والحدائق العامة .

جول : فاترة، باختصار. إنها تشبهكما. (بيريجور يرفع إصبعا) لديك عنوان؟

بيريجور : «شبح الحرب يبتعد»

جول : لا، ياأبنائي، لا. ليبتعد شبح الحرب كيفما يشاء، ولكن ليس في الصفحة الأولى. في الصفحة الأولى تقترب الحروب. وفي واشنطن، ألم يثرثر أحد؟ آبيك، دالاس؟

بيريجور : إنهم لا يتكلمون.

جول : ماذا يفعلون هناك؟ (تافرنييه يرفع إصبعا) هيا...

تافرنييه : «أمريكا تلتزم الصمت المحير»

جول : كلا.

تافرنييه : ولكن...

جول : أمريكا لا تقلق، إنها تطمئن.

بيريجور : «أمريكا تلتزم الصمت المطمئن».

جول : «مطمئن ولكن ياعزيزي أنا لست وحدي، عليّ واجبات نحو المساهمين. أتظن أنه يسعدني أن أضع لفظ «مطمئن» في عنوان ضخم حتى يستطيع الناس رؤية الطمأنينة عن بعد؟ وإذا كانوا مطمئنين سلفا، فلماذا تريدهم أن يشتروا مني الجريدة؟

تافرنييه : (يرفع إصبعه) «صمت سوفيتي مقلق»

جول : مقلق؟ الاتحاد السوفيتي يقلقك الآن؟ والقنبلة الهيدروجينية إذن؟ ماهي؟ أليست مثيرة لقلق العصافير؟

بيريجور : إني أقترح عنوانا أكبر «أمريكا لا تعد خطراً...» وتحته «الصمت السوفيتي المقلق».

جول : إنك تعاكس أمريكا ياصغيري! أنت تبحث عن متاعب لا داعي لها.

بيريجور : أنا؟

جول : سحقا! ان كل هذا الصمت مقلقا فإن أمريكا تخطىء إن لم تقلق له.

بيريجور : واشنطن لا تعتبر خطيرا ولا بسيطا، الصمت المقلق في الاتحاد السوفيتي.

جول : ماهذا؟ مانشيت جريدة أم حمولة الفيلة المتوحشة! الإيقاع ياسادة، الموسيقى. لابد من السرعة! السرعة! السرعة! الجريدة لا تحمل بالكلام وإنما تصاغ بالمشاعر. أو تعرف كيف يكتب الأمريكيون عنوانك هذا؟ «U.R.S.S: صمت «U.S.A» ابتسام» هذا هو التأرجح! آه! لماذا لا يوجد عندي محررون أمريكان؟! (تدخل السكرتيرة) ماذا؟

السكرتيرة : عمدة ترافادجا حضر.

جول : (لبيريجور) المصورون هنا؟

بيريجور : كلا.

جول : كيف! ألم تستدع المصورين؟

بيريجور : ولكني لم أكن أعلم...

جول : دعيه ينتظر، واجمعي كل مصوري الدار! (لبيريجور) كم من مرة قلت لك إني أريد جريدة بشرية! (السكرتيرة خرجت) نحن بعيدون جدا عن القراء. من الآن فصاعدا لابد أن تقترن «سوار آباري» في ذاكرة الجميع بوجه مألوف، مبتسم، حنون. أي وجه ياتافرنييه؟

تافرنييه : وجهك ياجول.

جول : (لبيريجور) لقد تهدمت مدينة ترافادجا إثر انهيار الجليد على الجبال بكميات هائلة، وقد حضر عمدتها اليوم لتسلم نقود حملة التبرعات التي نظمناها. كيف لم تفهم يابيريجور أن هذه هي فرصتي لكي أظهر، وللمرة الأولى، لزبائننا القراء وأنا أعكس لهم كرمهم الخاص؟ (تدخل السكرتيرة)

السكرتيرة : المصورون موجودون.

جول : أدخلي العمدة. (تخرج) أين ترافادجا؟ بسرعة.

بيريجور : في بيرو.

جول : متأكد؟ لقد كنت أظنها في شيلي.

بيريجور : لابد أنك تعلم ذلك خيرا مني.

جول : (لتافرنييه) وأنت؟ ماذا تظن؟

تافرنييه : كنت أميل إلى الاعتقاد أنها في بيرو. ولكن من المؤكد أن الحق معك. إنها. . .

جول : لا أريد مداهنة! أنا لا يخجلني أن أكون عصاميا في تعليمي! هات خريطة العالم! (يحضرها ويجثو جول أمامها) لا أجد بيرو.

تافرنييه : فوق وعلى اليسار. ليس فوقا إلى هذا الحد: هنا.

جول : ماهذ! إنها صغيرة كمنديل الجيب. وترافادجا؟

تافرنييه : هي النقطة السوداء على اليمين.

جول : (في جفاف) لك رؤية أفضل مني ياتافرنييه.

تافرنييه : معذرة ياجول.

(يدخل عمدة مدينة ترافادجا، يتبعه المصورون)

المشهد الخامس

عمدة ترافادجا، جول، تافرنييه، بيريجور، السكرتيرة، المترجم، مصورون

جول : يا إلهي . . . أين الشيك؟ (يبحث في جيوبه)

تافرنييه : في جيب السترة .

جول : ولكن أين السترة؟

العمدة : (كأنما هو يتأهب لإلقاء خطبة) نا . . .

جول : (في عجلة)صباح الخير ياسيدي . قف في هذا الجانب (للمصورين) عليكم به . اشغلوه .

العمدة : نا . . . (المصورون يحيطون به . أضواء الماغنسيوم) .

جول : تافرنييه، بيريجور! ساعداني . (على أربع تحت المكاتب)

العمدة : نا . . . (صور) نا . . . (صور)

جول : (يخرج جاكتته من تحت منضدة ويخرج منها شيكا . صيحة انتصار) . وجدته!

العمدة : نا . . . صور «أوجدجا» . . . ! (ينفجر باكياً)

جول : (للمصورين) اسرعوا، ياإلهي! اسرعوا . . . ! (للسكرتيرة) اكتبي تعليق الصورة « عمدة ترافادجا يبكي امتنانا أمام مديرنا» . (المصورون قد التقطوا صورهم . العمدة لا يزال يبكي) للمترجم : قل له أن يكف عن البكاء . لقد التقطت الصور.

المترجم : «أو كا ري» .

العمدة : أو سي كا مي نو.

المترجم : لقد أعد العمدة خطابا في الطائرة وهو يبكي لأنهم يمنعوه من إلقائه.

جول : ستترجم أنت الخطاب وسوف ننشر نصه بالكامل.

المترجم : را كا شوا بو.

العمدة : «بايم بون».

العمدة : إنه يصر على إلقائه. ولتسمح لي سيادتكم أن ألفت نظركم إلى أن مدينة ترافادجا تقع على ارتفاع ٣٨١٠ أمتار فوق سطح البحر، وأن الأوكسجين هناك قليل. ولما كان الخطباء يضيق تنفسهم بسرعة لذلك، فقد اعتادوا الاقتضاب في الحديث.

جول : بسرعة! بسرعة إذن!

العمدة : (ببطء) نافوكي. نوفوكا. كيكوري.

المترجم : لن ينس أطفال ترافادجا أبداً كرم الشعب الفرنسي. (فترة)

جول : وبعد؟

المترجم : هذا هو كل الخطاب.

جول : (يعطي الإشارة للتصفيق) يا للخطاب الرائع! (لبيريجور) أظن أنه يحسن على أية حال أن نضيف إلى خطابه بعض الوقائع. (للعمدة) والآن نحن الاثنان ياترافادجا. (يمد إليه يده بالشيك. العمدة يتناوله) خذوه منه! بسرعة! إنه للتصوير. (يأخذون الشيك من العمدة).

المصور : (يأتي بمجلد من الأرشيف ويضعه على الأرض). جولو.

جول : ماذا؟

المصور : لو تتفضل بالوقوف على هذا المجلد.

جول : لماذا؟

المصور : يتم عطاء الكرم من أعلى إلى أسفل.

جول : إذن فلتضع مجلدين (يصعد فوق المجلدين ويمد يده بالشيك. العمدة يتناوله. أضواء).

المصور : مرة أخرى! (يتناول الشيك من العمدة ويناوله لجول. نفس الحركة) مرة أخرى! (نفس الحركة. العمدة يأخد في البكاء)

جول : كفى بكاء أرجوك! كفى! (يضع الشيك في يد العمدة. (للمترجم) كيف تقولون إلى اللقاء؟

المترجم : لا بي دا.

جول : (للعمدة) لابيدا!

العمدة : لا بي دا. (يتبادل مع جول القبل)

جول : (يضم العمدة بين ذراعيه) اعتقد أني أبكي، يا أطفالي. صورة، بسرعة! (صور. جول يمسح دمعة بإصبعه ويريها للعمدة. وكذا يفعل العمدة ويلمس إصبع جول بإصبعه. صورة)

جول : (للمصورين) اذهبوا به في نزهة إلى المدينة: كنيسة الساكر-كور، قبر الجندي المجهول، ملهى الفولي - بيرجيسير. (للعمدة) لابيدا.

العمدة : (يخرج بظهره وهو ينحني بالتحية) لا بي دا، لا بي دا.

(المصورون والمترجم يخرجون).

المشهد السادس

جول، تافرنييه، بيريجور، السكرتيرة.

جول : أبنائي، هل هناك متعة أعظم من فعل الخير؟ (فجأة) أوه! أوه! أوه!

بيريجور : (في قلق) جول. . .

جول : الصمت يا أبنائي: أحس بفكرة تراودني.

بيريجور : (للسكرتيرة وكانت تكتب على الآلة الكاتبة) كفى يافيفي، كفى: هاك الفكرة(صمت. جول يقطع الحجرة طولا وعرضاً)

جول : أي يوم نحن؟

بيريجور : الثلاثاء. .

جول : عظيم أريد تخصيص يوما للإحسان أسبوعيا، سيكون الأربعاء. إني اعتمد عليك يابيريجور. ابتداء من الجمعة، استدع ضحايا الكوارث ومن بقوا على قيد الحياة وأيتام عراة ولاجئين. يوم السبت تفتح باب التبرعات، ويوم الأربعاء تعلن النتيجة. فهمت ياصغيري؟ ماذا تعد لنا الأربعاء القادم؟

بيريجور : حسنا. . أنا. . ولماذا لا نبدأ بالمشردين؟

جول : بالمشردين؟ رائع! وأين يقيم هؤلاء المشردون؟ في كاراكاس؟ في بورتوريكو؟

بيريجور : كنت أفكر في المشردين عندنا.

جول : أنت مجنـون! لابد أن يكـون منكوبونـا ضحايـا الكوارث الطبيعية على وجه التحـديد. وإلا فسوف تهين الحب في قصص بائسـة عن الظلم الاجتماعي. هل تتـذكر حملتنا «كـل الناس سعـداء»؟ في ذلك الحين لم نقنـع تماما كـل الناس. حسنـا، هذا العام سـوف نقوم بحملة جـديدة «كل الناس طيبـون» وسترى: كل الناس سيصدقـوننا. وهذا ما أسميه أنا خير دعاية ضد الشيوعية. إليّ بالعنوان يا أبنائي! العنوان! ماذا كنتم تقترحون؟

تافرنييه : لم نكن نقترح شيئا ياجول. كنا نفكر في مواد الجريدة.

بيريجور : فعدا السبعة عشر قتيلا في مراكش...

تافرنييه : (مسترسلا)... وحـادثتا انتحار، ومعجزة في تـروفيل، وتبادل مذكرات دبلوماسية،. وسرقة مجوهرات...

بيريجور : (مسترسـلا)... وأربـع حوادث تصـادم على الطـريـق وحادثتان على الحدود..

تافرنييه : (مسترسلا)... عدا ذلك لم يحدث شيء قط.

جول : لا جديد! وتشكـوان؟ ماذا يلزمكما؟ سقوط البـاستيل؟ قسم الجودي بوم؟ يا أبنائي، أنا جـريدة حكومية وليس عليّ أن اكتب التاريخ، طـالما أن الحكومة تصر على عدم كتابتـه والجمهور لا يـريده. لكل مهنتـه، التاريـخ من اختصـــاص المؤرخين، وللجـرائد اليـوميـة الأحــداث اليومية. واليومي على عكس مـاهو جديد. إنه ما يحدث كل يوم منذ بدء الخليقة، سفاح، سرقات، غواية قصّر، أفعال طيبة، وجوائز عن الفضيلة. (تليفون) ماذا؟

السكرتيرة : (التي تناولت السماعة) إنه لا نسيلو ياسيدي

جول : آلو! أوه! آه! في أية ساعة؟ حسن حسن حسن. (يعيد السماعة) لقد عثرنا على المانشيت يا أبنائي: جورج دي فاليرا قد هرب منذ قليل.

بيريجور : المحتال؟

تافرنييه : الرجل ذو الخمسين مليونا.

جول : هو نفسه، إنه عبقري العصر. تضعون صورته في الصفحة الأولى بجوار صورتي.

تافرنييه : الخير والشر ياسيدي الرئيس.

جول : الحنان والخسة من العواطف الهادئة للمعدة. ولا تنسوا أن جريدتنا تصدر بعد الظهر. (تليفون) ماذا؟ ماذا؟ ماذا؟ لا ! لا !أليس هناك تفصيلات ؟ أوه ! أوه ! أوه ! حسن. (يعيد السماعة)ياإلهي! ياإلهي! ياإلهي!.

تافرنييه : هل ألقوا القبض عليه؟

جول : كلا، ولكن العناوين الكبيرة لا تأتي بمفردها أبدا. منذ لحظة كان ينقصنا مانشيت، والآن عندنا واحد زائد.

تافرنييه : ماذا حدث؟

جول : وزير الداخلية السوفيتي اختفى.

بيريجور : نيكراسوف؟ هل هو في السجن؟

جول : أبشع من هذا، يبدو أنه اختار الحرية.

بيريجور : وماذا يعلمون عن ذلك؟

جول : لا شيء تقريبا، وهذا هو ما يضايقني. لم يذهب إلى الأوبرا يوم الثلاثاء الماضى، ومنذ ذلك التاريخ لم يره مخلوق.

تافرنييه : من أين جاء الخبر؟

جول : من وكالة رويتر ومن وكالة الأنباء الفرنسية.

تافرنييه : وتاس؟

جول : ولا كلمة.

تافرنييه : آه!

جول : نعم، آه!

تافرنييه : وبعد؟ ماذا نفعل؟ نيكراسوف أم فاليرا؟

جول : نيكراسوف. لنضع «اختفاء نيكراسوف» وفي عنوان صغير: «يبدو أن وزير الداخلية السوفيتي قد اختار الحرية!» هل عندكم صورة له؟

بيريجور : أنت تعرفها ياجول: كأنها صورة قرصان، فهو يضع شريطا أسود اللون على عينه اليمنى.

جول : ضعوها بجوار صورتي لكي نحافظ على التباين بين الخير والشر.

بيريجور : وصورة فاليرا؟ جول في الصفحة الرابعة. (تليفون) لو كان هذا عنوانا كبيرا آخر فأنا سيء الحظ.

السكرتيرة : آلو؟ نعم. نعم ياسيدي الرئيس. (لجول) إنه رئيس مجلس الإدارة.

جول : دعي البخيل يصعد.

السكرتيرة : (في التليفون) نعم ياسيدي الرئيس. حالا ياسيدي الرئيس. (تضع السماعة).

جول : (لتافرنييه وبيريجور) اختفيا يا أبنائي... نراكما بعد قليل.

(بيريجور وتافرنييه يخرجان. جول يتأمل جاكتته في حيرة وارتباك ثم يرتديها بعد لحظة تردد).

المشهد السابع

جول، موتون، السكرتيرة

جول : صباح الخير ياعزيزي الرئيس.

موتون : صباح الخير ياعزيزي بالوتان. (يجلس) اجلس إذن!

جول : إني أفضل البقاء واقفا، إن لم تر في ذلك مانعا.

موتون : أرى في ذلك موانع كثيرة. كيف تريدني أن أحدثك إن وجب علي أن أبحث عنك دون توقف في أرجاء هذا المكتب؟

جول : كما تريد (يجلس)

موتون : لقد حضرت لأبلغك خبرا رائعا: اتصل بي وزير الداخلية تليفونيا أمس، وقد تفضل فأفهمني أنه ينوي منحنا وحدنا الحق في إعلانات العمل.

جول : إعلانات العمل؟ هذا.. هذا.. لم نكن نحلم به.

موتون : أليس كذلك؟ وعلى اثر هذا الحديث التليفوني بادرت بدعوة مجلس الإدارة إلى الانعقاد. وقد اتفق جميع أصدقائنا على تأكيد أهمية هذا القرار العظيم: نستطيع أن نحسن مستوى الجريدة مع تخفيض النفقات.

جول : نخرج الجريدة في عشرين صفحة، ونضرب «باري-برس» و«فرانس سوار».

موتون : وسنكون أول جريدة يومية تنشر صورا ملونة.

جول : وماذا يريد الوزير مقابل ذلك؟

موتون : أوه ياصديقي العزيز! لاشيء، لاشيء مطلقا نحن نقبل المعروف حينما يشهد بجدارتنا واستحقاقنا له، ونأباه إن كان فيه شراء للضمائر. الوزير الشاب مرح رياضي، وهو يريد أن يبعث الحيوية في قلوب زملائه ويكون حكومة «مودرن» حديثة. وحيث إن «سوار آباري» جريدة الحكومة فهو يعطيها الوسائل لكي تجدد نفسها ولتصبح أهلا للعصر. حتى ان الوزير تفوه بهذه الكلمة اللذيذة «فلتصبح الجريدة الرديئة جريدة المواجهة».

جول : (ينفجر ضاحكا ثم يتوقف فجأة ويقول في جد) هل قال عن جريدتنا أنها جريدة رديئة؟

موتون : كانت فرحة. ولكن علي أن أقول لك حقا أن بعض زملائي قد نبهوني إلى أن «سوار اباري» تراخت قليلا هذه الأيام. إن إدارة الجريدة على أحسن مايرام، ولكن لم يعد المرء يجد فيها ذلك الطابع اللاذع التي يبهر الجمهور.

جول : لابد أن نضع في اعتبارنا زوال حدة التوتر العالمي. وقد كان بيريجور يقول لي منذ لحظة، وبحق، إن شيئا لا يحدث الآن.

موتون : بالطبع! بالطبع! أنت تعلم أني أدافع عنك دائما. ولكني أفهم مايعنيه الوزير بقوله: النظرة الجديدة للسياسة الفرنسية ستأخذ طابع الحدة وسوف يساندنا أكثر من زملائنا حينما نقدم مايشهد لنا. وعليه، فتلك فرصة سانحة لكي نبين أن لدينا مايطلبونه من «حدة في الطبع» وباختصار، هاك ما تفضل على الوزير بمعرفته: ستجرى انتخابات جزئية في مدينة سين مارن. إنها الدائرة التي اختارها الشيوعيون ليختبروا فيها قوتهم. والحكومة تتقبل هذه التجربة، وسوف تجرى الانتخابات

مع أو ضد تسليح ألمانيا. أنت تعرف مدام بونومي، إنها مرشحة الحكومة، وهذه الزوجة المسيحية، وهي أم لاثني عشر طفلا كلهم أحياء، تشعر بدقات قلب الجماهير الفرنسية. ودعايتها الانتخابية، بسيطة ومؤثرة، يجب أن تكون مثلا يحتذى به لرجالنا السياسيين ولمديري جرائدنا الكبرى. انظر إلى هذا الملصق. (يخرج ملصقا من حقيبته وينشره، وقد كتب على «الأفيش» يحقق الإخاء بإعادة التسليح وفي أسفله قليلا (لكي نحمي السلام فكل الوسائل ممكنة، ولتكن حتى الحرب). كم هو مباشر هذا الأفيش! حبذا لو رأيته معلقا على حائطك.

جول : (للسكرتيرة) فيفي! دبابيس! (السكرتيرة تعلق الملصق على الحائط).

موتون : لو أن الكفاءة هي التي تربح دائما، فستربح مدام بونومي المعركة دون مشقة. ولكن الموقف للأسف ليس شديد الإشراق، فلسنا نستطيع الاعتماد في البداية. إلا على ثلاثمائة ألف صوت، وللشيوعيين مثل هذا القدر وربما أكثر قليلا. وسوف يتغيب نصف عدد الناخبين كما هي العادة، ويبقى حوالي مائة ألف صوت لابد أنها ستذهب للمرشح الراديكالي «بيردريير». وهذا يعني إعادة الانتخابات بسبب عدم كفاية الأصوات، ويعني أن المرشح الشيوعي قد يكسب في الدورة الثانية.

جول : (الذي لا يفهم) آه! آه!

موتون : ولكي يتجنب الوزير ما يسميه ـ دون خوف ـ مصيبة، لا يرى غير وسيلة واحدة: أن يحصل على تنازل من «بيردريير» لصالح مدام «بونومي»، ولكن بيردريير لا يريد أن يتنازل.

جول : بيردريير؟ إنني أعرفه. إنه العدو اللدود للسوفييت. لقد تناولنا العشاء على مائدة واحدة.

موتون : وأنا أعرفه أكثر من ذلك: إنه جاري في الريف.

جول : لقد صرح لي بآراء فطنة عاقلة.

موتون : تريد أن تقول إنه يدين سياسة الاتحاد السوفيتي؟

جول : هو ذاك.

موتون : وهذا هو الرجل: يكره الشيوعيين. ولا يريد إعادة تسليح ألمانيا.

جول : تناقض محير غريب!

موتون : وموقفه هذا موقف عاطفي محض. أو تعرف حقيقة الأمر؟ لقد اجتاح الألمان صنيعته في ١٩٤٠ وفي ١٩٤٤ نفوه.

جول : وبعد؟

موتون : هذا كل ما في الأمر. وهو لا يريد أن يعرف شيئا، ولا ينسى شيئا.

جول : أوه!

موتون : لاحظ أن نفيه كان بسيطا للغاية، إذ لم يستغرق سوى ثمانية أو عشرة شهور.

جول : الدليل على ذلك أنه عاد منه.

موتون : (يهز كتفيه) المسألة أنه يعيش على ذكريات. إنه مصاب بالجيرمانوفوبيا.. مرض الخوف من الألمان. وهذا أمر سخيف نظرا إلى أن التاريخ لا يعيد نفسه ففي الحرب العالمية القادمة ستكون الأرض الروسية هي التي يجتاحها الألمان، وسيكون الروس هم الذين ينفون منها.

جول : طبعا.

موتون : وأنت تدرك جيدا أنه يعلم ذلك!

جول : وهذا لا يزعزع معتقداته؟

موتون : على العكس، فلو أنهم وضعوا له روسيين في بوشاينفالد، لتظاهر بأنه لا يحتملهم. (ابتسامة خفيفة) وحينما يحدثه أحد عن الألمان تثور ثائرته فيرى كل شيء باللون الأحمر. (ضحكة مؤدبة من جول وعليه فأنت تعلم الآن كل شيء. بيردريير يخاف الألمان أكثر من الروس، وسيتنازل عن ترشيح نفسه لو أنك جعلته يخاف الروس أكثر من الألمان.

جول : لو أنك جعلته. . . من تقصد بقولك «أنك»؟

موتون : أنت.

جول : أنا؟ وكيف تريدني أن أفعل؟ وليس لي تأثير عليه.

موتون : لابد من التأثير عليه.

جول : بأية وسيلة؟

موتون : إن المائة ألف ناخب الذين سيعطونه أصواتهم من قراء «سوارآباري».

جول : وبعد؟

موتون : كن جادا وانشر الرعب.

جول : الرعب؟ ولكني لا أفعل غير ذلك. إن صفحتي الخامسة كلها مكرسة للخطر الأحمر.

موتون : بالضبط. (صمت خفيف) ياعزيزي بالوتان، لقد كلفني المجلس أن أخبرك أن صفحتم الخامسة لم تعد

تساوي شيئا على الإطلاق. (جول ينهض) أتوسل إليك ياصديقـي أن تظل جالسا. (ملحّـا) أرجوك أن تتفضل بـالجلوس. (جـول يجلـس من جـديـد) قـديما كنا نقـرأ الصفحة الخامسة فنستفيد. إني أذكـر تحقيقك الصحفي القيـم عن «الحرب غـدا!» كنا نتنفـس القلق. وصـورك الملفقة عن ستالين يدخل على حصـان كاتدرائية نوتردام وهي تشتعل! إنها روائع خالصة. ولكـن، منذ أكثر من عام وأنـا ألاحظ تهاونا يثير الشك وتغـافلا يعد إجـراما. كنت تتحدث عن المجاعة في الاتحاد السوفيتي فيما مضى أما الآن فلـم تعد تتكلم عـن ذلك. لماذا؟ أو تـدعي أن الروس يأكلون عندما يجوعون؟

جول : أنا؟ لا أدعي ذلك.

موتون : منذ أيام رأيت صورة نشرتها في الجريدة عن «ربات بيوت سوفيتيات يقفن صفا أمام محل بقالة». ويذهلني أن أقرر أن بعض أولئـك السيدات كـن يبتسمن، وأن جميعهـن يلبسن أحـذية. أحذية في مـوسكو؟ طبعا كانـت صورة دعائيـة لموسكو تنـاولتنا خطأ على أنها مـن وكالـة الأنباء الفـرنسية. أحـذية! ولكـن كـان يجب عليك أن تقطـع أقدامهن على الأقل. ابتســامات! في الاتحاد السوفييتي! ابتسامات!

جول : لم أكن استطيع قطع رؤوسهن.

موتون : ولم لا ؟ هل أعترف لـك؟ لقد سـاءلت نفسي إن كـانت أفكارك لم تتغير!

جول : (في عزة نفس) أنا جـريدة موضوعية، جريـدة الحكومة وأرائي لا تتبدل طالما أن الحكومة لا تبدل آراءها.

موتون : حسن، حسن جدا. وأنت ألست قلقا؟

جول : ولم أكون كذلك؟

موتون : لأن الناس قد بدأت تطمئن.

جول : تطمئن؟ ألا تظن أنك تبالغ ياعزيزي الرئيس؟

موتون : أنا لا أبالغ أبدا. منذ عامين أقيم حفل ساهر في الهواء الطلق في مدينة روكامادور، وفجأة وقعت صاعقة على بعد مائة متر من المكان، فساد فزع رهيب وتوفى مائة شخص. وقد أعلن في التحقيقات كل من نجوا من الموت أنهم ظنوا أن طائرة سوفيتية كانت تمطرهم بالقنابل. وهذا ما يثبت أن الصحافة الموضوعية كانت تقوم بدورها خير قيام. حسن. وأمس نشر المعهد الفرنسي للرأي العام I.F.O.P نتائج استقصائه الأخير. هل علمت بذلك؟

جول : ليس بعد.

موتون : لقد سأل الخبراء عشرة آلاف شخص من كل الأوساط وكل الطبقات. وقد أجاب عشرة من المائة على هذا السؤال «أين ستموت» انهم لا يعرفون. والبقية، أي الغالبية العظمى ـ أجابوا أنهم سيموتون في الفراش.

جول : في فراشهم؟

موتون : على أسرتهم. وكانوا فرنسيين من الطبقة الوسطى، من قارئي جريدتنا. . كم هي بعيدة روكامادور، وأية انتكاسة في عامين.

جول : ولم يرد أحد ليقول إنه سيموت متفحما، متفتتا، متبخرا.

موتون : في فراشهم؟

جول : ماذا؟ ولا أحد ذكر القنبلة الهيدروجينية، والشعاع القاتل، والغبار الذري، ورماد الموت، والأمطار الكبريتية؟

موتون : على أسرتهم، في منتصف القرن العشرين، ومع التقدم المذهل في العلوم والتكنيك يظنون أنهم سيموتون في فراشهم، كما كان الحال في العصور الوسطى! آه ياعزيزي بالوتان، دعني أقول لك بكل صراحة، أنت مذنب كبير.

جول : (ينهض) ولكن لا دخل لي بهذا مطلقاً.

موتون : (ينهض هو الآخر) جريدتك لينة، فاترة، ماسخة، تثير الدموع! أمس أيضا تكلمت عن السلام. (يتقدم نحو جول).

جول : (يتراجع) كلا!

موتون : (يتقدم نحوه) بلى، وفي الصفحة الأولى.

جول : (نفس الحركة) لست أنا، أنه مولوتوف، لم أفعل سوى أني نشرت خطابه.

موتون : (يتقدم نحوه) لقد نشرته بالكامل، وكان يجب أن تنشر مقتطفات منه.

جول : إنها مقتضيات الإعلام..

موتون : وهل هذا يهم إن كان العالم في خطر؟ لقد وحد الرعب بين دول الغرب الكبرى، فإذا أعدت إليهم الطمأنينة فمن أين تستقي هذه الدول القوة لتحضير الحرب؟

جول : (وقد التصق بالمكتب) الحرب؟ أي حرب؟

موتون : الحرب القادمة.

جول : ولكني لا أريد حرباً.

موتون : لا تريد حربا؟ ولكن قل لي يابالوتان
: أين تظن أنك ستموت؟ . . .

جول : عندي . . .

موتون : عندك . . . ؟

جول : في . . . ماذا! وماذا يدريني؟

موتون : إنك محايد تجهل حقيقة نفسك، مسالم ، تاجر أوهام!

جول : يقفز على مجلداته ويصرخ . . دعني في سلام! في سلام! في سلام! في سلام!

موتون : في سلام! أنت ترى جيدا أنك تريده. (فترة صمت. جول يهبط إلى الأرض) هيا اجلس على مقعدك، ولنهدىء أنفسنا. (جول يجلس) لا أحد يجهل قيمتك العظيمة. ولقد كنت أقول بالأمس مرة أخرى في المجلس: أنك نابليون الأخبار الموضوعية ولكن أو تصبح نابليون الحدة؟

جول : سأصبح ذلك أيضا.

موتون : برهن عليه.

جول : كيف؟

موتون : هات لنا تنازل بيردريير عن ترشيح نفسه. قم بحملة مرعبة وضخمة. مزق أحلام قرائك المرضية. بين أن بقاء فرنسا حية يعتمد على الجيش الألماني والتفوق الأمريكي. اجعلنا نرهب الحياة أكثر مما نرهب الموت.

جول : . . . سأفعل ذلك.

موتون : لو أن هذه المهمة تخيفك، فلايزال هناك وقت للتراجع.

جول : إنها لا تخيفني (إلى السكرتيرة) دعي سيبيلو يصعد بسرعة.

السكرتيرة : (في التليفون) أرسلوا سيبيلو.

جول : آه! يا لهم من أغبياء مساكين! يالهم من أغبياء مساكين!

موتون : من؟

جول : القراء! إنهم يصطادون السمك في هدوء، ويلعبون الورق ويمارسون الحب كل مساء وينتظرون الموت في الفراش. سأفسد عليهم لذتهم.

موتون : لا تلن ياصديقي. فكر في نفسك، حيث إن مركزك مهدد جدا. وفكر فيّ أنا الذي أدافع عنك دائما أبدا، وفكر على الخصوص في الوطن. غدا صباحا في العاشرة، سينعقد مجلس الادارة، وحبذا لو استطعت أن تضع مشروعاتك الجديدة تحت أيدينا. لا، لا. دعك في مكانك جالسا ولا توصلني مرة أخرى. (يخرج ويقفز جول على قدميه، ويذرع الحجرة جريا تقريبا).

جول : يا إلهي، اللعنة!

(يدخل سيبيلو)

المشهد الثامن

جول، سيبيلو، السكرتيرة

جول : اقترب

سيبيلو : سيدي، أنا أشكرك.

جول : لا تشكرني ياسيبيلو، لا تشكرني بعد..

سيبيلو : آه! إني أصر على شكرك مقدما، ومهما يكن قرارك. لم أكن أفكر ياسيدي أنك ستناديني بهذه السرعة.

جول : لقد أخطأت.

سيبيلو : لقد أخطـأت.. لقد أخطـأت لأن الحب كان ينقصنـي فمن فرط ماكنت أفضـح الشر وأشهر به، انتهيت إلى أن أراه في كـل مكـان، ولم أعـد أومـن بـالكـرم الإنسـاني. وباختصار ياسيدي الإنسـان، الإنسان نفسه قد أصبح في نظري مريبا.

جول : وهل اطمأن بالك الآن؟

سيبيلو : تماما. ومن هذه اللحظة أحب الإنسان وأومن به.

جول : أنـت محظـوظ. (يقطـع الحجـرة في خطـى سريعـة) ياصـديقي لقـد فتحت مناقشـاتنا عينـي. ألم تقل لي أن مهنتك تتطلب الاختراع؟

سيبيلو : إن كان على ذلك، فنعم...

جول : وتتطلب الحساسية واللياقة إلى حد الشعر؟

سيبيلو : نعم، هذا حق.

جول : أي باختصار، ودون أن نخشى ضخـام الكلم، تتطلب نوعاً من العبقرية.

سيبيلو : ماكان لي أن أتجرأ فأقول...

جول : أوه! ولم هذا الحرج إذن!

سيبيلو : حسن! بشكل ما!

جول : عظيم. (فترة صمت) هـاك مايثبت أنك لسـت الرجل الذي يلزمني على الإطلاق. (سيبيلو ينهض ويحتج) ابق جالسـا! أنا الرئيـس، وأنا الذي أسير هنـا! وسأسير إلى الغد إن أردت!

سيبيلو : لقد قلت. . . ؟

جول : اجلس. (سيبيلو يجلس) قلت إنك غير كفء، ومشوش الفكر ومخرب. لباقة؟ مهارة؟ أنت؟ إنك تسمح بنشر صور لنساء سوفيتيات في معاطف من الفراء، في أقدامهن أحذية، وكأنهن ملكات، ويضحكن حتى آذانهن! الحق ياسيبيلو أنك وجدت هنا ملاذا ومرتعا لأيامك الأخيرة! إنك تعتبر الصفحة الخامسة من «سوار آباري» ملجأ للعجزة! وعلاوة على ما تقبضه من أوراقك السبعين ألف تحتقر زملاءك الذين يهلكون أنفسهم في العمل. (للسكرتيرة) إذ هو يكسب. . .

سيبيلو : (صرخة مبرحة) لا تقل ذلك ياسيدي!

جول : (دون رحمة) سبعين ألف ورقة يكسبها في الشهر لكي ينشر في جريدتي دعاية لروسيا السوفيتية!

سيبيلو : هذا غير صحيح!

جول : إني أسائل نفسي أحيانا إن لم تكن من العملاء.

سيبيلو : أقسم لك. . .

جول : عميل! كاتب شفرة! وقفاز!

سيبيلو : كفى ياسيدي! اعتقد أني سأصاب بالجنون!

جول : ألم تعترف لي أنت نفسك، أنك تقبض نقوداً من موسكو؟

سيبيلو : ولكنها ابنتي. . .

جول : نعم، إنها ابنتك! وبعد؟ لابد طبعا أن يعطيها لك مخلوق. (سيبيلو يريد أن ينهض) مكانك لا تقف! واختر لنفسك: إما أنك قد بعت نفسك وإما أنك غير كفء.

سيبيلو : بشرفي أنا لا هذا ولا ذاك.

جول : برهن على ذلك.

سيبيلو : ولكن كيف؟

جول : غدا، سأشن حملة ضد الحزب الشيوعي، أريده أن يخر على قدميه في خمسة عشر يوما. يلزمني رجل هدام من الدرجة الأولى، رجل عراك وقتال. أو يكون هذا الرجل هو أنت؟

سيبيلو : نعم ياسيدي.

جول : سأصدقك إذا ما أعطيتني فكرة الآن.

سيبيلو : فكرة.. للحملة...

جول : عندك ثلاثون ثانية.

سيبيلو : ثلاثون ثانية للفكرة؟

جول : لم يبق لك غير خمس عشرة ثانية. آه! وسترى إن كان عندك موهبة!

سيبيلو : أنا... حياة ستالين في صور.

جول : حياة ستالين في صور؟ سيبيلو، لقد مضت الثلاثون ثانية أنت مرفوت.

سيبيلو : ياسيدي، أتوسل إليك، أنت لا تستطيع... (فترة) إني أعول زوجة وابنة...

جول : ابنة! حقا حقا! إنها هي التي تعولك!

سيبيلو : أصغ جيدا لما أقوله لك ياسيدي: إن استغنيت عني فسأعود إلى بيتي، وأفتح الغاز وأنتحر!

جول : يا للخسارة الفادحة! (فترة) سأعطيك فرصة حتى الغد. ولكن إذا لم تدخل عليّ مكتبي غدا العاشرة صباحا ومعك فكرة هائلة مدوية فتستطيع أن تجمع حقائبك.

سيبيلو : غدا صباحا؟

جول : أمامك الليل. تفضل!

سيبيلو : سيكون لك ما تريد ياسيدي، ولكني أفضل أن أقول لك إني لم أعد أومن بالإنسان.

جول : للمهمة التي ستنهض بها، من الخير ألا تؤمن به.

(يخرج سيبيلو في إعياء).

(ستار)

المنظر الثالث

ديكور: صالون، ليلا

المشهد الأول

جورج، فيرونيك

يدخل جورج من الباب ويكاد أن يقلب زهرية ورد لولا أنه يمسك بها في حينه. يسمع صوت صفارات فيلتصق بالحائط. شرطي يمد رأسه من بين مصراعي الباب ويضيء الحجرة بالبطارية الكهربائية. ينتظر جورج وهو يحبس أنفاسه حتى يختفي الشرطي فيتنفس. وبعد لحظة نراه يكافح ضد الرغبة في العطس فيضغط على فتحات أنفه ويفتح فمه ولكنه يعطس في صوت مدو آخر الأمر.

فيرونيك : (من بعيد) ماهذا؟

جورج يعطس مرة أخرى ويندفع إلى الباب ويهم بالخروج لكنه يسمع صوت صفارات قريبة جدا فيعود مسرعا إلى الداخل. وفي تلك اللحظة تعود فيرونيك وتدير مفتاح الكهرباء. يتراجع جورج ويتلصق بالحائط.

جورج : (وقد رفع يديه إلى أعلى) ضعنا!

فيرونيك : ما الذي ضاع؟ (تلمح جورج) يا إلهي! لص.

جورج : لص؟ أين إذن؟

فيرونيك : ألست لصا؟

جورج : كلا على الإطلاق. إني أزورك.

فيرونيك : في هذه الساعة من الليل؟

جورج : نعم.

فيرونيك : ولماذا ترفع يديك في الهواء؟

جورج : بالضبط لأن الوقت ليلا. فالعادة أن يرفع الزائر الليلي يديه حين يباغت.

فيرونيك : حسن، لقد قمت بالواجب، فلتخفضها إذن.

جورج : لن يكون في ذلك فطنة ولا حذر.

فيرونيك : في هذه الحالة فلترفعها إلى أعلى جيدا، ولا تتحرج فأنت في بيتك. (تجلس) تفضل بالجلوس ولتضع ذراعك على المسند لتستريح. (يجلس رافعا يديه وهي تراقبه) معك حق، ماكان يجب عليّ أبدا أن أحسبك لصاً.

جورج : شكراً

فيرونيك : لا داعي للشكر.

جورج : بلى، بلى! فالظواهر ضدي ويسعدني أنك قبلت تصديقي.

فيرونيك : إني أصدق يديك. انظر كيف أن مظهرهما غبي: لم تفعل شيئا مطلقا بأصابعك العشرة.

جورج : (من بين أسنانه) إني أعمل بلساني.

فيرونيك : (في أثره) إن يد اللص على العكس من ذلك، رشيقة وعصبية وخفيفة.

جورج : (وقد تكدر) وماذا تعلمين عن ذلك؟

فيرونيك : كنت أعمل بالمحاكم.

جورج : كنت تعملين بالمحاكم؟ أنا أهنئك على ذلك.

فيرونيك : لقد عملت بها خلال عامين. وأشتغل الآن بالسياسة الخارجية.

جورج : صحفية؟

فيرونيك : هو ذا. وأنت؟

جورج : أنـا؟ إن مـا يمكـن أن يجذبني هـو على الأحـرى المهـن الفنية.

فيرونيك : ماذا تفعل؟

جورج : في الحياة؟ أتكلم.

فيرونيك : وفي هذا الصالون؟

جورج : وفي هذا الصالون كذلك.

فيرونيك : حسن، وبعد؟ تكلم.

جورج : عن أي شيء؟

فيرونيك : لابد أنك تعلم. قل ما عندك.

جورج : لك؟ أوه، كلا. ناد زوجك.

فيرونيك : أنا مطلقة.

جورج : (يشير إلى غليون على المنضـدة) أهو أنـت الذي يـدخن الغليون؟

فيرونيك : إنه والدي

جورج : تعيشين معه؟

فيرونيك : أعيش عنده.

جورج : ناده.

فيرونيك : إنه في جريدته.

جورج : آه! أنتما الاثنان صحفيان؟

فيرونيك : نعم. ولكن في جريدتين مختلفتين.

جورج : وعليه، فنحن وحيدان في هذا البيت.

فيرونيك : هل هذا يصدمك؟

جورج : إنه موقف مريب، يعرضك للفضيحة ولا يطيب لي.

فيرونيك : لست أراه فاضحا.

جورج : وهذا سبب آخر يجعلني لا أستطيبه.

فيرونيك : إذن، طاب مساؤك! وسترجع حينما يعود والدي من الخارج.

جورج : طاب مساؤك! طاب مساؤك! (ينهض في تراخ، يسمع صوت صفارات في الخارج فيعود إلى الجلوس) إني أفضل انتظاره هنا، إن لم يكن في ذلك مايزعجك.

فيرونيك : أنت لا تزعجني، ولكنـي كنت على أهبة الخروج. ليس لدي مانع أن أتركك بمفردك في الشقة، ولكني أحب مع ذلك أن أعرف ماذا أتيت تفعل هنا.

جورج : هذا حقك (فترة) انتهينا (فترة).

فيرونيك : وبعد؟ (جورج يعطس ويضرب الأرض بقدمه)

جورج : نزلة برد! نزلة برد! البقية الوحيدة السخيفة لفعل لم يتم، أردت أن أنعش نفسي فأصابني البرد.

فيرونيك : (تقدم له منديلا) تمخط.

جورج : (ولا تزال يداه مرفوعتين) مستحيل.

فيرونيك : لماذا؟

جورج : لأني لا استطيع خفض يدي.

فيرونيك : انهض. (ينهض، فتتعلق بذراعيه دون أن تستطيع إنزالها) هل شلت ذراعاك؟

جورج : ذلك من تأثير الريبة.

فيرونيك : أنت ترتاب فيّ.

جورج : أنا أرتاب في النساء.

فيرونيك : (بجفاء) حسن. (تتناول منه المنديل وتساعده على التمخط) تمخط! أقوى من ذلك. هكذا. (تطوي المنديل وتضعه في جيب جورج)

جورج : (حانقا) كم هذا مقزز! يا إلهي كم هذا مقزز.

فيرونيك : استرخ.

جورج : هذا سهل قوله.

فيرونيك : اقلب رأسك إلى الوراء، واغلق عينيك وعد حتى الألف.

جورج : وماذا تفعلين أنت حينما تكون عيناي مقفلة؟ ستدلفين إلى الخارج لتنادي البوليس، أو ستذهبين لإحضار مسدس من الدرج...

فيرونيك : أو تريدني أن أرفع يدي في الهواء؟ (ترفع يديها، فيخفض جورج يديه في بطء) أخيرا! هل تشعر بتحسن؟

جورج : نعم، إنها أكثر راحة.

فيرونيك : إذن، فسوف تستطيع أن تجيب؟

جورج : طبيعي. أجيب على ماذا؟

فيرونيك : ها قد مضت ساعة وأنا أسألك ماذا تفعل هنا؟

جورج : ماذا أفعل هنا؟ الأمر غاية في البساطة. ولكن اخفض يديك. هيا! هذا غير محتمل! لن استطيع الكلام معك طالما أنك ترفعين يديك فوق رأسك. (فيرونيك تخفض يديها) حسن!

فيرونيك : إني مصغية .

جورج : كم آسف لغياب أبيك! إني أحب النساء ، وأعبد إغراقهن بالمجوهرات ، والتدليل ، وأنا على أتم استعداد لكي أمنحهن بسرور كل شيء ، عدا الردود على أسئلتهن .

فيرونيك : كم هذا غريب . . ولماذا؟

جورج : لأنهن لا يفهمنها ياسيدتي . خذي مثلا ، لنفرض على سبيل المثال طبعا ــ أني قلت لك مايلي : أنا نصاب ، وكان البوليس في أثري . وكان بابك مفتوحا فدخلت . هذا يبدو بسيط وواضح . حسنا! ماذا فهمت؟

فيرونيك : ماذا فهمت؟ لست أدري . . .

جورج : أرأيت؟ أنت حتى لا تدرين . . .

فيرونيك : لقد فهمت أنك محتال . . .

جورج : وهذا كل ما في الأمر!

فيرونيك : أليس هذا هو المهم؟ (فترة صمت قصيرة) هذه خسارة فيما اعتقد .

جورج : أتفضلين اللصوص؟

فيرونيك : نعم ، لأنهم يشتغلون بأيديهم .

جورج : هل أنت مناصرة للحركة العمالية؟ (فترة) على كل حال فالتجربة قاطعة ، لقد فهمت كل شيء بالعكس .

فيرونيك : ألست محتالا؟

جورج : كلا! ليس هذا هو المهم! المهم أن البوليس في أثري . ماكان لرجل أنه يخطىء فهم ذلك . (يصرخ بغتة) البوليس في أثري . أتفهمين؟

فيرونيك : حسنا! حسنا! لا تصرخ. (فترة)

جورج : وبعد؟ ما الذي ستفعلينه؟

فيرونيك : أسدل الستائر. (تذهب إلى النافذة وتسدل الستائر)

جورج : وأنا؟

فيرونيك : أنت؟ مـاذا استطيع أن أفعل بـك؟ هل أنـت جيتار أو مانـدولين حتى أعـزف عليك؟ أو مسمار لأضربـك على رأسك؟

جورج : إذن؟

فيرونيك : اذن لا شيء، لا أعرف ماذا أفعل معك.

جورج : لا شيء، هي أكثر الإجابـات عدم دقة. لاشيء، تعني أي شيء. كـل شيء يمكـن أن يحدث، تستطيعين أن تنفجري بـاكية، أو تفقئـي عيني بـدبوس قبعتـك. آه! يـاليتنـي قـابلـت السيـد والـدك. أو تعلمين بماذا كـان سيجيبني؟

فيرونيك : سأسلمك للبوليس.

جورج : (يقفز فزعا) سوف تسلمينني للبوليس؟

فيرونيك : كلا! أقول لك ماذا كان سيجيب والدي.

جورج : ويالها من إجابة جميلة! هناك رجل.

فيرونيك : ممكن، ولكن لـو أنه كان هناك لكانت القيـود في يديك منذ حين.

جورج : كلا!

فيرونيك : كلا؟

جورج : نعم كلا، فأنا أعرف كيف أقنع الرجال. إنهم أناس منطقيون، وبفضل المنطق أوجه أنا تفكيرهم من بعيد، ولكن أنت ياسيدتي، أنت! أين هو منطقك؟ أين حسن إدراكك؟ ليس في نيتك تسليمي، إن كنت قد فهمتك؟

فيرونيك : لقد فهمتني.

جورج : وهذا هو بالضبط السبب الذي سيجعلك تسلمينـي للبوليس. لا تحتجي: أنت مثل جميع النساء، عصبية ومندفعة وتسيطر عليك عواطفك. ستبتسمين في وجهي، وتلاطفيني في تملق، ثم ستخافين من أذني أو من شعرة تخرج من أنفي وتأخذين في الصراخ.

فيرونيك : وهل صرخت حينما اكتشفتك؟

جورج : بالضبط: أنت متأخرة بصرخة. أنا أعرف النساء. كل مالديهن من صرخات يطلقنها دون أن يتنازلن عن صرخة واحدة. إنك مازلت ممسكة عن إطلاق صرختك. ولكن يكفي أن يطرق البوليس بابك حتى تجدين السعادة في إطلاقها. أية كارثة أنك لست رجلا، فقد كان من الممكن أن تصبحي حظي، وكونك امرأة فأنت بالطبيعة قدري.

فيرونيك : أنا أقدرك؟

جورج : وأي شيء آخر تكونينه؟ المرأة باب يوصد، وعقدة يزداد قيدها.

فيرونيك : (مغتاظة) لقد اخطأت في الطابق: إذا كان الأمر يتعلق بالقدر، فلتتوجه إلى المرأة التي تقطن الطابق الثاني، وقد سبق لها أن حطمت حياة رجلين متزوجين. أما أنا فسأترك جميع الأبواب مفتوحة.. (تتوقف عن الكلام وتنطلق ضاحكة) لقد كدت حقا أن تنالني...

جورج : معذرة.

فيرونيك : لكل قوس وتران. الإدراك للـرجال، والتحدي للنساء. ونتظاهر بالتفكير، أننا جميعـا متشابهات . إن كل واحدة منـا تريـد أن تكـون فريـدة. تقـول: «إنك امـرأة، إذن فسوف تسلمينني للبوليس». لقد كنت تنوي أن توقعني في هذه اللعبة، وكنت سأتحمس لكـي أبرهـــن لك أني لا أشبـه أحدا. يـاصديقـي المسكين هـذا جهد ضـائع فليس عنـدي أية رغبـة في التفرد، إني أشبـه كل النسـاء ويرضيني أن أشبههن. (يدق جرس باب الدخول)

جورج : إنه...

فيرونيك : إني خائفة. (جورج يرفع يديه)

جورج : هل ستسلمينني للبوليس؟.

فيرونيك : مارأيـك؟ (ترى يـديه مـرفوعتين) أخفـض يديـك إنك تفقدني صوابي. (يضع يديه في جيوبه).

جورج : ماذا ستفعلين؟

فيرونيك : ما تفعله جميع النساء في مكاني.. (فترة)ماذا تفعلن؟

جورج : لست أدري.

فيرونيك : أنت ترى أنهن يصرخن؟

جورج : قلت لك لست أدري.

فيرونيك : منذ لحظـة، كنت أكثر ثقـة من ذلـك. (صوت الجرس مـن جديـد) تتفوه بكلمـة فأصبـح أنا عصبيـة مندفعـة تسيطر عليّ عواطفي.

جورج : هل انحدرت إلى هذا الدرك الأسفل ليصبح مصيري بين يدي امرأة؟

فيرونيك : إشارة واحدة منك وأنا أضع مصيرك بين أيدي الرجال .

(طرق على الباب «بوليس»!)

جورج : (وقد قرر أمره) من الواضح أنه لن يكون لك علي أي فضل .

فيرونيك : طبعا .

جورج : وأنك لا تسأليني عرفانا بالجميل .

فيرونيك : لست مجنونة إلى هذا الحد .

جورج : وأنني سأرد لك الخير بالشر .

فيرونيك : فعلا .

جورج : إذن فلتخبئيني ! (فجأة وفي جنون) بسرعة ! ماذا تنتظرين؟

فيرونيك : (تشير إلى باب حجرتها) ادخل هنا .

(يختفي جورج ، وتذهب هي لتفتح الباب . المفتش جوبليه يمد رأسه من فتحة الباب) .

المشهد الثاني

فيرونيك ، المفتش جوبليه

جوبليه : طبعا ياسيدتي لم تري رجلا أسود الشعر طوله متر وثمانية وسبعين .

فيرونيك : (في حدة) طبعا لا !

جوبليه : كنت متأكدا من ذلك .

(ينحني ويختفي ، . تغلق فيرونيك الباب)

المشهد الثالث

فيرونيك، جورج

فيرونيك : تستطيع أن تعود (يدخل جورج ملتحفا ببطانية حمراء اللون، فتنطلق ضاحكة)

جورج : (في وقار) ليس هناك مدعاة للضحك. إني أحاول تدفئة نفسي (يجلس) لقد كذبت!

فيرونيك : أجل؟

جورج : هذا لا يليق!

فيرونيك : لقد كذبت من أجلك.

جورج : وحتى..

فيرونيك : إنك تغالي! لعلك لا تكذب؟

جورج : الأمر يختلف بالنسبة إلي، فأنا رجل لا شرف لي... ولكن إذا فعل كل الشرفاء مثلك...

فيرونيك : وبعد؟

جورج : ماذا عساه أن يصبح النظام الاجتماعي؟

فيرونيك : هاها..

جورج : هاها! ماذا تعني هذه الـ «هاها»؟

فيرونيك : ذلك النظام الذي تتحدث عنه..

جورج : أو تعرضين خيرا منه؟

فيرونيك : نعم.

جورج : أي نظام؟ أين هو؟

فيرونيك : هذا أمر يطول شرحه لك. لنقل في بساطة أني كذبت على البوليس لأني لا أحبهم.

جورج : هل أنت محتالة؟ مصابة بداء النشل؟

فيرونيك : قلت لك إني صحفية وشريفة.

جورج : إذن فأنت تحبينهم، فالرجل الشريف يحب البوليس بالضرورة.

فيرونيك : ولماذا أحبهم؟

جورج : لأنهم يحمونك.

فيرونيك : لأنهم يحمونني قليلا جدا، ولذلك ضربوني الأسبوع الماضي. (تشمر عن ذراعها) انظر هذه الكدمات الزرقاء.

جورج : أوه!

فيرونيك : هاك مافعلوه.

جورج : (في دهشة) هل كانت غلطة؟

فيرونيك : كلا.

جورج : إذن فأنت مذنبة؟

فيرونيك : كنا نتظاهر.

جورج : من؟ أنت!

فيرونيك : أنا وغيري من المتظاهرين.

جورج : ولماذا كنتم تتظاهرون؟

فيرونيك : لنعلن سخطنا.

جورج : غير معقول! انظري إلى نفسك وانظري إلي، ثم قولي لي من منا له الحق في أن يسخط! حسنا، أنا لست كذلك على الإطلاق. لم أشك أبدا، ولم أتظاهر في حياتي. اني أقبل العالم كما هو وأنا على عتبة السجن أو عتبة الموت. . . وأنت ترفضين، وأنت في العشرين من عمرك وحرة. (في تشكك) أنت حمراء باختصار.

فيرونيك : وردية الكون.

جورج : حسن حسن. ووالدك؟ ماذا يقول عن كل هذا؟

فيرونيك : إن المسكين يأسف له.

جورج : هل هو من الجانب الآخر؟

فيرونيك : إنه يكتب في «سوار آباري»

جورج : أنا سعيد بذلك! إنها جريدتي. والدك رجل عظيم شريف، وليس عنده غير نقطة ضعف واحدة هو أنت. (يرتجف، يعطس، فيلف نفسه جيدا في البطانية) يالها من أمسية جميلة! أدين بالحياة لمتوسل يستطيب فعل الخير دون مقابل وأدين بالحرية لشابة ثورية تعبد الجنس البشري. لابد أننا في الأسبوع الخيري! (فترة) يجب عليك أن تكوني راضية فقد بذرت سوء النظام، وخنت طبقتك، وكذبت على من يتولون حمايتك الطبيعيين وأهنت رجلا.

فيرونيك : أهنتك؟!

جورج : طبعا. لقد جعلت مني موضوعاً ما. . موضوعا تعسا لحبك للبشر.

فيرونيك : أو كنت تصبح شيئا آخر في عربة السجن؟

جورج : كلا، ولكنـي كنت سـأستطيع أن أكـرهك وأنغلـق على نفسي آه! لقد احتلت عليّ.

فيرونيك : أنا؟

جورج : (في عنف) احتلـت عليّ! إنك لا تريـن أبعد مـن طرف أنفـك ولكنـي أنـا أفكـر وأتـأمـل. إني أتطلـع إلى المستقبل... إنـه مظلم، هذا المستقبل، مظلـم جدا. إنقاذ النـاس ليس هـو كل شيء يـا صغيرتي بل يجب أن يعطى لهم إمكان العيش. أو ساءلت نفسك ماذا عساي أن أصبح؟

فيرونيك : يخيل إلي أنك ستعود محتالا من جديد...

جورج : بل لن أعود!

فيرونيك : أنا لا أقول ذلك. أقول لم يعد لدي الوسائل لكي أصبح إنسانـا سافـلا غير شريفا. الاحتيـال يتطلب رأس مـال معين، ورصيـداً في البنـك. يتطلب بـدلتين كـاملتين، وسمـوكنـج وإن أمكـن رداء للصبـاح، واثنـي عشر قميصـا، وستة أزواج مـن الغيـارات الـداخلية، وستـة أزواج مـن الجوارب، وثلاثـة أزواج أحـذيـة، ومجموعـة ربطات عنق، ودبوسا من الـذهـب، وحقيبة من الجلد، ونظارة من الصدف. إني لا أمتلك غير هذه الخرق البالية وليس معي مليم واحد، فكيف تريدينني أن أفعل؟ هل استطيع أن أتقدم إلى مـدير بنك فرنسـا بهذا المظهر؟ لقد ألقوا بي إلى الحضيـض.. إلى أعماق الحضيض فلـم يعد في مقـدوري أن أعاود الصعـود.. وكل هـذا من جـراء خطئك. إنك لم تنقذيني من السجن، إلا لكي تقذفي بي إلى الهوان. كنت في السجـن احتفظ بكـرامتي، ولكنـي أريـق ماء وجهـي كمتسـول. أنـا متسول؟ أنـا؟ لسـت أشكرك ياسيدتي.

فيرونيك : وإذا وجدت لك عملا؟

جورج : وظيفة؟ ثلاثون ألف فرنك في الشهر، وعمل، وصاحب عمل؟ احتفظي بها فأنا لا أبيع نفسي.

فيرونيك : كم يلزمك لكي تقتني مايحتاجه دولاب ملابسك.

جورج : لا أدري.

فيرونيك : لدي بعض النقود . . .

جورج : ولا كلمة بعد ذلك. النقود شيء مقدس. لا أقبلها أبداً وإنما آخذها.

فيرونيك : خذها.

جورج : لا استطيع أخذها منك طالما أنك تعطيني إياها. (فجأة) إني اقترح عليك صفقة. طبعا هي صفقة شريفة، ولكن ليس من حقي أن أطلب الصعب. إني أعطيك وحدك حديثا صحفيا ينشر لأول مرة في العالم.

فيرونيك : أنت ! لي أنا !؟

جورج : أنت صحفية؟ اسأليني.

فيرونيك : عن ماذا؟

جورج : عن مهنتي.

فيرونيك : ولكني قلت لك إني اشتغل بالسياسة الخارجية. ثم إن جريدتي لاتهتم بالمحتالين.

جورج : آه! جريدة تقدمية! لابد أنها ثقيلة على القراء. (فترة) أنا جورج دي فاليرا.

فيرونيك : (مأخوذة على الرغم من كل شيء) فا . . .

جورج : فاليرا العظيم، نعم.

فيرونيك : (مترددة) طبعا. .

جورج : بعكوكتك فقيرة فيما أظن. .

فيرونيك : نعم، فقيرة.

جورج : أنا لا أطلب سوى بدلتين، ودستة قمصان، وثلاث ربطات عنق وحذاء، ومن الممكن دفع أجري عينيا (ينهض) في عام١٩١٧ وفي موسكو ولد طفل أزرق العينين من حارس أسود وروسية بيضاء. . .

فيرونيك : كلا.

جورج : ألا يهمك هذا؟

فيرونيك : ليس لدى الوقت. قلت لك إني كنت على أهبة الخروج.

جورج : وفيما بعد؟

فيرونيك : بصراحة، كلا. أنت تعرف أن المحتالين سواء كانوا موهوبين أو غير موهوبين. . .

جورج : لتذهبي إلى الشيطان! (يسمع صوت فتح باب الدخول) ما هذا؟

فيرونيك : أو! إنه والدي. . .

جورج : سأذهب لـ. . .

فيرونيك : إذا رآك فسوف يسلمك للبوليس. ادخل هنا الآن وسوف أتحايل عليه.

(يختفي جورج في اللحظة التي يفتح فيها الباب)

المشهد الرابع

فيرونيك، سيبيلو

سيبيلو : ألا زلت هنا؟

فيرونيك : كنت على أهبة الخروج. لم أكن أظن أنك ستعود مبكرا هكذا.

سيبيلو : (في مرارة) ولا أنا.

فيرونيك : اسمع ياوالدي، لابد أن أقول لك. . .

سيبيلو : السفلة!

فيرونيك : من؟

سيبيلو : كل الناس. يخجلني أن أكون إنسانا. أعطني شيئا أشربه.

فيرونيك : (وهي تقدم له كأساً من النبيذ) تصور أن. . .

سيبيلو : نحن ناكرون للجميل، كذابون، جبناء، أشرار. إن المبرر الوحيد لوجود الجنس البشري هو حمايته للحيوان.

فيرونيك : منذ قليل كنت. . .

سيبيلو : أريد أن أكون كلبا! هذا الحيوان يعطينا المثل في الحب والوفاء. ولكن، كلا. إن هذه الفصيلة مخدوعة في الإنسان، فهي من البلاهة بحيث تحبنا. أريد أن أكون قطا، قط، كلا. إن الثدييات كلها متشابهة. لماذا لم أكن حوتا يقتفي أثر السفن ويأكل البحارة!

فيرونيك : ماذا فعلوا بك من جديد ياوالدي المسكين؟

سيبيلو : لقد طردوني ياصغيرتي.

فيرونيك : إنهم يطردونك كل خمسة عشر يوما.

سيبيلو : هـذه المرة هي الأخيرة! فيرونيـك، أنـت شاهـدتي على أني ألتهم الشيوعيين منذ ما يقـرب من عشر سنوات. إنه غذاء عسر الهضـم لا يتغير. كم مـن مرة تمنيـت أن أغير طريقـة طعـامـي، لمجـرد التغيير، فـآكل قسيسـا أو مـاسـونيـا أو صاحـب ملايين أو امرأه، ولكن عبثـا حاولت. إن قـائمة طعامي كما هي باستمرار. وهل أبيـت يوما القيام بواجبي؟ لم أكن قـد انتهيت من هضـم مالنيكوف حتـى كان علي أن ألتهم خـروشتشيف. فهـل تذمرت؟ كـل يوم آتي بمـوضوع جديـد. من الـذي قام بالعمـل التخريبـي في ديكسمود ؟ والمؤامرة المعـادية للـوطن مـن الذي عملهـا؟ وضربة الحمام الـزاجل؟ أنـا. ودائما أنا. عشر سنـوات دافعـت فيها عـن أوربـا من بـرلين إلى سـايجون. لقـد اعتديـت على فيتنـام، واعتـديت على الصين، واعتـديت على الجيـش السوفيتـي بطائراته وعرباته الحربيـة. ثم تصوري بعد ذلك ياصغيرتي الجحـود الإنسـاني وكيـف يكـون: مـع أول تقصير لي مـن الاعتداء يطردني رئيس التحرير.

فيرونيك : هل حقا فصلت؟

سيبيلو : كأي مخلوق. إلا إذا وجدت فكرة من الآن حتى الغد.

فيرونيك : (بلا تعاطف) ستجدها، لا تخف.

سيبيلو : لا، ليس هـذه المرة! ماذا تـريدين، أنـا لست فـذا: أنا رجل عـادي جدا بـدد عصارة فكـره. من أجـل سبعين ألف فرنك في الشهر. عشر سنـوات كنت خلالها أومض كـالبرق. كنت بيجـاسي Pégasse الحصـان الطـائر، وكـانت لي أجنحـة. لقـد احترقـت هذه الأجنحـة فماذا تبقـى. هيكل لا يعطـي سـوى لحمـه. (يقطع الحجـرة مشياً) عشر سنوات خـدمة وفية، تنتظرين بعـدها كلمة

طيبة وعرفانا بالجميل. ولكن كلا... لا شيء سوى اللوم والتهديد. أوه! سوف ينتهي بي الأمر إلى الحقد على زملائك الشيوعيين. (في استحياء) ياابنتي الصغيرة؟

فيرونيك : والدي؟

سيبيلو : ألا أجد عندك أنت — وأقول ذلك علانية — ألا أجد عندك فكرة؟ ألا تعرفين شيئا ضدهم؟

فيرونيك : أوه! والدي!

سيبيلو : اصغ إلي ياصغيرتي: أنا لم أقف أبدا ضد معارفك على الرغم من أن ذلك قد نال من سمعتي، ولعل ذلك أيضا هو أصل بلائي. لقد تركتك دائما حرة منذ مرض والدتك المسكينة، على أن تتعهدي فقط بأن تجنبيني السوء حينما يستولي أصدقاؤك على الحكم. ألن تكافئي رضائي هذا؟ أتتركين والدك العجوز في القذى؟ إني أسألك بعض الجهد ياطفلة، القليل جدا من الجهد. إنك ترينهم عن قرب هؤلاء الشيوعيين، ولابد أن قلبك متحاملا منهم.

فيرونيك : بل كلا يا والدي.

سيبيلو : دعك من هذا!

فيرونيك : طالما أنهم أصدقائي.

سيبيلو : هذا سبب أدعى. عيوب من يمكن معرفتها إن لم تكن عيوب أصدقائك؟ أنا مثلا، ليس لي غير أصدقاء في هيئة تحرير المجلة: حسنا! أقسم لك أني لو أردت الكلام... اسمعي: إني أقترح عليك صفقة، تقولين لي ماتعرفينه عن ديكلو Duclos وأفضح لك جولو ـ لي ـ برتييل Julot - Les - Bretelles ـ سيكون لديك مادة لموضوع صحفي رهيب.. أتوافقين؟

فيرونيك : كلا ياوالدي.

سيبيلو : إني مكلف بهذا. . وابنتي تهجرني غارقا في أوجالي اذهبي عني!

فيرونيك : سأخرج، سأخرج. ولكن أريد أن أقول لك. . .

سيبيلو : فيرونيك! أو تعرفين من هو الذي يحتضر؟ إنه الإنسان. . العمل، العائلة، الوطن، كل هذا يتحلل ويتبدد. آه! هذا موضوع صحفي «غروب الإنسان» ما رأيك؟

فيرونيك : إنك تقرأ هذا كل شهر في مجلة «بروف» Preuves

سيبيلو : معك حق. فليذهب إلى الشيطان!

فيرونيك : من؟

سيبيلو : الإنسان. أنا طيب حقا لكي أفلق رأسي من أجل سبعين ألف فرنك في الشهر. ثم إن الشيوعيين بعد كل هذا لم يفعلوا شيئا معي! وبمرتب قدره سبعون ألف فرنك في الشهر يصبح من الطبيعي أن أكون في جانبهم!

فيرونيك : أنا لم أدفعك لقول هذا الكلام.

سيبيلو : لا يابنتي، لا، أنت لم تستميليني. أنا رجل ذو تقاليد قديمة وأحب الحرية جداً جداً، واحترم بشدة الكرامة الإنسانية (يعتدل فجأة)ماأعظم احترام الكرامة الإنسانية وما أجمله! لقد طردت مثل إنسان منحرف! صحفي عجوز ورب أسرة، إلى عرض الطريق براتب شهر وبلا معاش! آه، لعل هذا يكون موضوعا «ليس للعمال العجائز معاش في الاتحاد السوفيتي» (ينظر إلى نفسه في المرآة). لابد لهم من شيء عند المشيب.

فيرونيك : إن لهم معاشا ياوالدي.

سيبيلو : اخرس اذن، دعيني أفكر. (بعد فترة) موضوع لا يصلح سيكـون للقـارىء الحق في أن يقول لنـا: «قـد لا يكـون للعامـل الروسي معـاش ولكن ليـس هذا على كـل حال داعيا لتسليح ألمانيا!» (فترة) فيرونيـك، لابد من تسليح ألمانيا. ولكن لماذا، هيه؟ لأي داع؟.

فيرونيك : ليس لذلك داع.

سيبيلو : بلى ياطفلتي، هناك داع لذلـك. ذلك أني ظللت طوال حياتي أعاني من الحياة، وقد فـاض كيلي، أريد للآخرين أن يعانـوا بدورهم. وسيفعلـون ذلك وأقسم لـك إن هم سلحوا ألمانيا. سلحـوها، سلحوها إذن! سلحـوا ألمانيا واليابان وأشعلوا النيران في أركان الـدنيا الأربعة! سبعون ألف فرنـك للدفاع عن الإنسـان! أو تعقلين ذلك! بهذا السعر يستطيع أن ينفق كل الرجال.

فيرونيك : وستموت أنت كذلك.

سيبيلو : حبذا! لم تكـن حياتي سوى مسيرة نعش لم يتبعـه أحد. ولكـن مـوتي، معـذرة، سيحـدث ضجـة. أي تعظيـم سأنـاله! إني أحب عن طيـب خاطر أن أرحل عـن هذا الوجود لو رأيت الأب الصغير جيلـو قد جعل من نفسه شمساً فوق رأسي. سبعون ألـف ورقة في الشهر، سبعون ركلة قـدم في العجز كل يـوم! لنمت جميعا معـاً، ولتحيا الحرب! (يختنق ويسعل)

فيرونيك : (تسقيه) اشرب.

سيبيلو : أوف.

فيرونيك : يوجد متشرد في حجرتي.

سيبيلو : هل هو شيوعي؟

فيرونيك : كلا على الإطلاق.

سيبيلو : إذن، ماذا يهمني من أمره؟

فيرونيك : البوليس يطارده.

سيبيلو : حسن! اتصلي بقسم البوليس بالتليفون واطلبي منهم أن يحضروا لأخذه.

فيرونيك : ولكني يا والدي أريد أن أبقي عليه.

سيبيلو : وماذا فعل رجلك هذا؟ إذا كان قد سرق فلابد من عقابه.

فيرونيك : لم يسرق. كن لطيفا ولا تشغل بالك به. ابحث عن فكرتك في هدوء تام، وفي الصباح سيرحل دون أن يحدث ضجة ولن نراه بعد ذلك أبدا.

سيبيلو : حسن ! إذا بقي هادئا تماما فسأغض الطرف عنه، ولكن إذا حضر البوليس للبحث عنه، فلا تعتمدي عليّ في الكذب !

فيرونيك : (توارب باب حجرتها) أنا ذاهبة، تستطيع أنت البقاء هنا طوال الليل، ولكن لا تخرج من حجرتي. إلى اللقاء. (تغلق الباب) إلى الغد يا والدي، ولا تقلق لفكرتك، إنها دائما نفس الفكرة التي تضيق عليك الخناق، وأنت مضطر لكي تجدها.

المشهد الخامس

سيبيلو بمفرده

سيبيلو : لتذهبي إلى الشيطان! (تخرج) نفس الفكرة! مؤكد هي نفس الفكرة! وبعد؟ لا تنال الرضا كل مرة إلا إذا جددت بها شيئا (يدفن رأسه بين راحتيه) حياة ستالين في صور. إنهم لا يريدون ذلك، البلهاء، ولست أدري

لماذا؟ (جورج يعطس، سيبيلو ينصت ثم يعود لتأملاته) تخريب. . . مؤامرة. . . خيانة. . . إرهاب. . . (ومع كل كلمة يتفكر ويهز رأسه) مجاعة. . . مجاعة؟ هيه! (فترة) كلا، قديمة. إنها مستعملة منذ ١٩١٨ (يتناول بعض الجرائد ويقلبها) ماذا فعل؟ (يقلب الجرائد) لا شيء؟ هذا غير ممكن! من الذي يصدق أنه لا يرتكب كل يوم ظلم أو جريمة غادرة في بلد سكانها مائتي مليون؟ هاهو ذا الستار الحديدي. (يتفكر من جديد) تخريب. . . مؤامرة. (جورج يعطس فينزعج سيبيلو) لو كان في مقدوري فقط أن أعمل في هدوء! خيانة. . . مؤامرة. . . لنتناول الموضوع من الطرف الآخر: ثقافة غربية. . . رسالة أوربا. . . حقوق الفكر (جورج يعطس) كفى! كفى! (يعود إلى السرحان) حياة ستالين في صور (صوت صفارات في الطريق. يستمر سيبيلو في مكانه) أوه! (يخفي رأسه من جديد بين راحتيه. تلتمع في رأسه فكرة) حياة ستالين من غير صور. . . (جورج يعطس) سأقتله هذا المخلوق!

جورج : (في الكواليس) اللعنة!

سيبيلو : خلصوني منه. . خلصوني منه (يذهب إلى التليفون ويدير القرص) آلو. . قسم البوليس؟ هنا رينيه سيبيلو، صحفي، شارع جولدون رقم ١٣ الدور الأرضي والباب إلى اليسار. لقد دخل بيتي مخلوق. ويبدو أن البوليس يبحث عنه. هو ذاك. ابعثوا لي أحدا.

(يفتح الباب على هذه الكلمات الأخيرة ويبدو جورج).

المشهد السادس

سيبيلو، جورج

جورج : أخيرا، رد فعل سليم! ياسيدي أنت رجل طبيعي! اسمح لي أن أشد على يديك. (يتقدم منه ماداً يده).

سيبيلو : (يتراجع إلى الوراء في فزع) النجدة!

جورج : (يلقي بنفسه على سيبيلو) صه! صه! (يسد فمه بيده) هل لي رأس قاتل؟ ياله من سوء فهم! أنا أعجب بك وأنت تظن أني أريد ذبحك! نعم، أنا أعجب بك. حديثك في التليفون كان عملا رائعا! ولابد أن يتخذ ذلك مثلا لجميع أولئك البلهاء الذين أضلهم تحرر زائف والذين تدهورت أحاسيسهم بحقوقهم. لا تخشى أن أهرب، أريد أن أكون صانعا لمجدك، ستنشر الجرائد غدا نبأ القبض علي في بيتك. أنت تصدقني، أليس كذلك؟ أنت تصدقني؟ (سيبيلو وهو مكمم يهز رأسه مؤمنا) حسنا.. (يترك سيبيلو ويتراجع إلى الخلف خطوة) دعني أتأمل الرجل الشريف في جلاله العالي الكامل! (فترة) لو قلت لك إنني حاولت الانتحار منذ قليل لكي أهرب ممن يطاردونني؟...

سيبيلو : لا تحاول أن تستدر عطفي.

جورج : عظيم! ولو أني أخرجت من ثيابي الممزقة كيساً صغيراً من المسحوق، فإذا ماابتلعت مافيه وقعت ميتا تحت قدميك؟..

سيبيلو : وبعد؟

جورج : ماذا عساك قائل؟

سيبيلو : سأقول «لقد حكم البائس على نفسه».

جورج : يقين هادىء لضمير حي لا غبار عليه! يبدو ياسيدي أنك لم تشك مطلقا في وجود الخير.

سيبيلو : طبعاً.

جورج : . . . وأنك لا تصغي إلى تلك المذاهب الهدامة التي تجعل من المجرم نتاج المجتمع.

سيبيلو : المجرم مجرم.

جورج : إننا نتقدم! المجرم مجرم: جميل قول هذا الكلام الجميل! آه . . . ليس أنت ياسيدي الذي أخاطر باستعطافه وأنا استرجع أمامه طفولتي التعسة.

سيبليو : لن يجدي هذا الكلام. لقد كنت أنا طفلا معذبا.

جورج : ولا يعنيك كثيرا ــ أليس كذلك ــ أن أكون من ضحايا الحرب العالمية الأولى والثورة الروسية والنظام الرأسمالي؟

سيبيلو : هناك آخرون هم ضحايا أيضا لكل هذا ــ أنا، مثلا ـ ولا ينحطون إلى مستوى السرقة.

جورج : عندك جواب لكل شيء. ولا شي يؤثر في معتقداتك. آه ياسيدي، لكي يكون لك هذه الصفاقة وهذا البريق في عيني، وهذا القلب المتحجر لابد أن تكون معاديا لليهود؟

سيبيلو : كان علي أن أفكر في ذلك، هل أنت يهودي؟

جورج : لا ياسيدي، لا. ولكني أعترف لك بشيء أقول إني أشاركك عداءك لليهود. (على إشارة من سيبيلو) لا تغضب، «أشاركك» «فيها مبالغة، لنقل إني أجمع فتات هذا العداء. وحيث إنه ليس لي الحظ السعيد في أن أكون شريفا فأنا لا أتمتع بيقينك. أنا أشك ياسيدي، أشك.

وهـذا من خصـائص النفوس المضطـربة، إننـي إن أردت ذلك عن طيـب خاطر ـ يحتمل أن أكـون عدوا لليهود . .
(يتقرب إليه): والبوليس؟ أنت تكرهه، أليس كذلك؟ .

سيبيلو : كفى مهاترة! ليس لدي الوقت ولا الرغبة في أن أصغ إلى ثرثرتـك . أرجوك أن تعود أدراجك إلى هذه الغـرفة فوراً، وتنتظر فيها، ودون ضجيج، وصول البوليس .

جورج : سـأنسحب إلى أبهاء منـزلـك! قـل لي فقط أنـك تكـره البوليس .

سيبيلو : أوه، طبعا!

جورج : قل مـاهو أفضـل، حتى تسعدني، أقسـم لك أنـه آخر سؤال لي .

سيبيلو : ليس عليهم إلا أن يبقوا في بيوتهم .

جورج : عظيم! تقبل مني ياسيـدي أن أرفع لك قبعتي احتراماً . إنك شريف إلى حد الوحشية . وبعـد هذه اللغة الوجيزة يتبين لنا توافق وجهات النظر بيننا . ولن يدهشني ذلك . أي رجـال شرفاء كنـا سنصبـح، نحـن الأوغاد، لـو أن بوليسك ترك لنا الوقت لذلك .

سيبيلو : ألا تغرب عن وجهي؟

جورج : كلمة أخرى ياسيدي، كلمة واحدة، وأغرب . . . ماذا! أنت أيها الفرنسي، ابـن وحفيد فلاح فرنسي، وأنـا الذي لا وطـن لـه، ضيـف فرنسـا المؤقـت . . . أنـت الشرف بـذاتـه، وأنـا الجريمـة، ورغـم التنـافـض بين الـرذائل والفضائل نمـد أيدينـا ونتصافح، ونحـاكم معـا اليهود والشيوعية والأفكار الهدامة؟ لابد أن يكون لاتفاقنا معنى عميق . هذا المعنى أعـرفه ياسيدي وسأقولـه لك : نحن الاثنان نحترم الملكية الخاصة .

سيبيلو : أنت تحترم الملكية؟

جورج : أنا! أعيش عليها ياسيدي فكيف لا أحترمها؟ لقد كانت ابنتك تريد إنقاذي، وأنت، أنت وشيت بي، ولكني مع ذلك أحس بأني أقرب إليك منها. والنتيجة العملية التي استخلصها من كل ذلك هو أنه يجب علينا، أنت وأنا، أن نعمل سويا.

سيبيلو : نعمل سويا! من؟ نحن؟ أنت مجنون!

جورج : استطيع أن أؤدي لك خدمة جليلة.

سيبيلو : أنت تدهشني.

جورج : منذ قليل كانت أذني ملتصقة بالباب ولم أفقد سمع شيء من حديثك مع ابنتك. إنك تبحث عن فكرة فيما أظن، حسن، هذه الفكرة في مقدوري أن أقدمها لك.

سيبيلو : فكرة؟ عن الشيوعية؟

جورج : نعم...

سيبيلو : أنت... هل تعرف القضية..؟

جورج : المحتال يجب عليه أن يعرف كل شيء.

سيبيلو : إذن هات فكرتك، هاتها بسرعة، وسألتمس لأجلك رأفة المحكمة.

جورج : مستحيل!

سيبيلو : لماذا؟

جورج : لن استطيع مساعدتك إلا إذا كانت يداي طليقتين.

سيبيلو : البوليس...

جورج : نعم، البوليس. سيحضر. إنه في الطريق وسيكون هنا بعد دقيقتين وعليه فلدي الوقت لكي أقدم نفسي: يتيم الأب والأم، لم يكن أمامي منذ الطفولة مفر من الاختيار بين النبوغ أو الموت فاخترت النبوغ، وليس في ذلك فضل لي. . إني نابغة ياسيدي كما أنك شريف، وبنفس الغزارة القاسية التي لاترحم. هل تخيلت في حياتك ما يمكن أن يفعله اتحاد النبوغ مع الشرف، الإلهام مع المكابرة، النور مع العمى؟ سوف نصبح نحن الاثنان أسياد العالم. . إن لدي أفكاراً، وانتج منها بالعشرات في كل لحظة. ولسوء طالعي لا تقنع أحداً، فأنا لا أتسمك بها بما يكفي. أما أنت فلا تملك أفكاراً، بل هي التي تملكك، إنها تطبق عليك بمخالبها، تحرث رأسك وتسد عينيك. ولهذا السبب بالذات تقنع الآخرين. إنها أحلام قوية، تأخذ بألباب أولئك الذين بهم حنين إلى التحجر. والآن هب أن فكرة جديدة هاربة مني قد استولت عليك، ستتخذ المسكينة هيئتك بسرعة وسيصبح لها مظهرا غاية في الجمود والتفاهة والصدق إلى حد أن تفرض نفسها على العالم. (جرس الباب يرن ــ ينتفض سيبيلو فزعا، وقد كان يصغى في انبهار).

سيبيلو : إنه . . .

جورج : نعم، عليك أن تقرر. لو سلمتني فستمضي الليلة في سلام وأنت مطرود غدا صباحا. (الجرس يرن من جديد) ولو انقذتني فستجعلك عبقريتي غنيا وشهيراً.

سيبيلو : (في ميل) ومن يثبت لي أنك عبقري؟

جورج : (وهو يعود إلى الحجرة الخلفية) اسأل المفتش.

(يختفي أثناء ذهاب سيبيلو لفتح الباب)

المشهد السابع

سيبيلو، المفتش جوبليه

جوبليه : السيد سيبيلو؟

سيبيلو : إنه أنا.

جوبليه : أين هو؟

سيبيلو : من؟

جوبليه : جورج دي فاليرا.

سيبيلو : (وقد أُخذ) أنت تبحث عن جورج دي فاليرا؟

جوبليه : نعم. أوه! دون أمل. إنه ثعبان مائي. أتسمح لي بالجلوس؟ (يجلس) أرى أنه ليس عندك بيانو عتيق؟ إني أهنئك.

سيبيلو : ألا تحب البيانو العتيق؟

جوبليه : لقد رأيت منه الكثير جدا.

سيبيلو : أين إذن.

جوبليه : عند الأغنياء. (يقدم نفسه) المفتش جوبليه.

سيبيلو : تشرفنا.

جوبليه : كم أحب بيتك. أحس أني لن أتركه دون أسف.

سيبيلو : أنت في بيتك.

جوبليه : حقيقة أحسنت القول، فإن صالونك هذا هو طبق الأصل من صالوني، طراز ١٩٢٥.

سيبيلو : عفوا؟

جوبليه : (إشارة دائرية) الأثاث: ١٩٢٥؟

سيبيلو : آه! ١٩٢٥؟ آه نعم.

جوبليه : معرض الفنون الزخرفية، شبابنا. . .

سيبيلو : عام زواجي.

جوبليه : وزواجي. لقد اختارت زوجتانا الأثاث مع أمهاتهما، لم يكن لدينا شيء نقوله فقد كان أهاليهم هم الذين يدفعون. هل تحب هذا الطراز؟ إنها كراسي موديل١٩٢٥.

سيبيلو : أنت تعرف أن المرء لم يعد يرى هذا الطراز الآن. (يهز رأسه) كان هذا الأثاث في نظري مؤقت. . .

جوبليه : طبعا! وهو الشيء الباقي، منذ عشرين عاما بعد ذلك. . .

سيبيلو : نعم. . بعد ذلك يتبين المرء أنه سيموت قريبا، وأن ماكان مؤقتا أصبح ثابتا ونهائيا.

جوبليه : سنموت كما عشنا في١٩٢٥ (ينهض فجأة) ما الذي عندك هناك؟ لوحة مصور شهير!.

سيبيلو : كلا، إنها صورة مطبوعة.

جوبليه : الحمد لله. إني أكره لوحات مشاهير الفنانين وكذلك سيارات العظام لأن الأغنياء يقتنوها بكثرة مما يضطرنا لمعرفة مختلف الموديلات.

سيبيلو : من أنتم؟

جوبليه : نحن شرطة المخدرات.

سيبيلو : وماذا تفعلون بذلك؟

جوبليه : نلطف بها أحاديثنا (يقترب من اللوحة) إنها صورة ضابط شرطة إنجليزي. لم يكن يخطر ببالي أنك تحب ضباط الشرطة الإنجليز.

سيبيلو : إني أفضلهم على العطس.

جوبليه : (يرفع اللوحة) آه! وما الذي تحت الصورة.

سيبيلو : ياإلهي.

جوبليه : الرطوبة، أليس كذلك؟

سيبيلو : نتيجة السكن بجوار نهر السين.

جوبليه : لا تحدثني عن ذلك. إني أسكن في جنفيليه. (جورج يعطس عدة مرات ثم يسب) ما هذا؟

سيبيلو : إنه الجار. لا يستطيع تحمل الرطوبة إنها تصيبه بحساسية.

جوبليه : عندك حظ على كل حال أن يكون المصاب هو الجار. في جنفيليه إنه أنا الذي أصاب بتلك الحساسية. (يعاود الجلوس) ياسيدي العزيز، الرجل حيوان غريب، إني أهيم حبا ببيتك لأنه يذكرني ببيتي.

سيبيلو : لتشرح لي ذلك إذن!

جوبليه : حسن، ذلك أن أعمالي تقتضي ذهابي إلى أحياء جميلة. فيما مضى، كنت أعمل في شرطة المخدرات فكلفت بالعمل في مكامن المحتالين والمجرمين وهذا ينقلنا إلى باسي Passy. إني أقوم بتحرياتي في أماكن فوق مستواي الاجتماعي ياسيدي العزيز، وهم يشعرونني بذلك. لابد أن أصعد من سلم الخدم، وانتظر بين بيانو وزرع أخضر، وابتسم لسيدات يلبسن القفازات، ولسادة معطرين يعاملونني كأني واحد من الخدم. وأثناء ذلك، ولأنهم يضعون مرايا في كل مكان، أرى سحنتي المسكينة على كل الحوائط.

سيبيلو : ألا تستطيع أن تضعهم في مكانهم؟

جوبليه : في مكانهم؟ ولكنهم فيه! إنه أنا الذي لست في مكاني. ولكن لابد أنك تعلم كل هذا في عملك.

سيبيلو : أنا! لو قلت لك أنه يجب عليّ كل يوم أن أقبل مؤخرة مديري!

جوبليه : هذا غير ممكن! أيضطرونك لذلك؟

سيبيلو : إنه تعبير عن الموقف.

جوبليه : هيا، أنا أعلم معنى هذا الكلام، وأنا الذي أحدثك، قبلت أكثر من ألف مرة مؤخرة مدير الأمن. إن الذي يعجبني في بيتك هو أنه يفوح بالفقر المدقع والمذلة الأبية. النهاية، إني أقوم بتحرياتي عند رجل مثلي: كأني عندي أنا نفسي بصورة ما. أنا حر، إذا طاب لي أن أقبض عليك أو أدق عنقك فلن يحتج أحد.

سيبيلو : أتفكر في ذلك؟

جوبليه : يا إله السماوات، كلا، إن لك تفكيراً طريفاً للغاية. تفكيرك مثل تفكيري: بستين ألف فرنك في الشهر.

سيبيلو : سبعون.

جوبليه : ستون، سبعون. نفس الشي. إنما يغير المرء تفكيره ابتداء من مائة ورقة. (منفعلا) ياصديقي المسكين سيبيلو!

سيبيلو : ياصديقي المسكين المفتش! (يتصافحان)

جوبليه : إننا وحدنا نستطيع تقدير بؤسنا وعظمتنا. اسقني شيئا على ذلك.

سيبيلو : عن طيب خاطر. (يملأ كأسين)

جوبليه : (يرفع كأسه) في صحة حماة الثقافة الغربية. (يشرب)

سيبيلو : فليظل النصر لأولئك الـذين يدافعون عـن الأغنياء دون أن يحبوهم. (يشرب) بالمناسبة، أليس عندك فكرة؟

جوبليه : ضد من؟

سيبيلو : ضد الشيوعيين.

جوبليه : آه! أنت تعمـل في الدعـاية! حسـن! وتجد صعوبـة في الوصول إلى هذه الفكرة. ولكن ليـس أكثر مني أنا الذي لن أجد فاليرا الذي أبحث عنه.

سيبيلو : هل هو ماكر جدا؟

جوبليه : هو! لـو لم أكن أخاف الألفـاظ الضخمة لقلت لـك إنه عبقري. على فكرة، ألم تقل لي إنه لجأ إلى بيتك؟

سيبيلو : قلت.. قلت إن مخلوقا...

جوبليه : إنه هو دون أدنى شك. إذا كان هنـا منذ قليل فلابد أنه لا يزال مـوجودا. كل نوافـذ المنزل مراقبة، عنـدي رجال في الممر وفي السلم. حسن، وبعد! إليـك ما يثبت لك التقديـر الذي أكنه له، لـن أبحث في هذه الغرفـة، ولن أدخل حتـى في الحجرات الأخـرى. أو تدري لماذا؟ لأني أعلم أنه قد دبر أمره لكي يتنكر فلا يعرفه أحد، أو لكي يترك المكان. من يدري أيـن هو الآن؟ وفي أي زي تنكر؟ ربما هو أنت.

سيبيلو : أنا؟

جوبليه : هدىء من روعـك، إن السطحية مثل الذكـاء لاتقلد، لننتهي مـن هذا الأمـر ياسيـدي العزيـز. قل لي كلمتين أضمنهما تقريري: لقد لمحته فـأسرعت إلى التليفون لكي تبلغنا وانتهـز هو فـرصة هـذه الدقـائق من الغفلـة لكي يهرب؟ أهو ذاك؟

سيبيلو : أنا . . .

جوبليه : عظيم! (فترة) لم يبق لي إلا أن أنسحب ، وأنا أحمل معي الذكرى العطرة لمشاركتك للحظات قصار. لابد لنا أن نتقابل سويا .

سيبيلو : كم يسعدني ذلك .

جوبليه : سأسمح لنفسي أن أتلفن لك بين الحين والآخر. وكلما فرغنا من أعمالنا سوف نذهب معا إلى السينما ونعيد أيام شبابنا . ألا ترافقني إلى الباب . (يخرج) .

المشهد الثامن

سيبيلو، جورج

سيبيلو : (يذهب ليفتح باب الحجرة) هات فكرتك واغرب عن وجهي .

جورج : كلا .

سيبيلو : لماذا؟

جورج : أفكاري تذوى بدوني، ولا فراق بيننا .

سيبيلو : في هذه الحالة سأستغني عنك ، اخرج !

جورج : ألم تسمع ما قاله لك المفتش؟ أنا عبقري يابابا !

سيبيلو : (مستسلما) وبعد؟ ماذا تريد؟

جورج : شيئا قليلا ، أن تستبقيني إلى جوارك ، حتى يخلي البوليس المنزل .

سيبيلو : ثم . . لا نقود؟

جورج : كلا. ولكن تمنحني إحدى بدلاتك القديمة.

سيبيلو : حسن، فلتبق. (بعد فترة) والآن فكرتك.

جورج : (يذهب ليجلس. يصب لنفسه كأساً من النبيذ، يملأ غليونا لسيبيلو على مهل ويشعله). حسنا! هذه هي...

(ستار)

المنظر الرابع

ديكور: مكتب جول بالوتان

المشهد الأول

جول - تافرنييه - بيريجور - السكرتيرة

جول : كم الساعة الآن؟

تافرنييه : العاشرة إلا دقيقتين.

جول : ولم يحضر سيبيلو؟

تافرنييه : كلا.

جول : كان يصل دائما قبل الموعد..

بيريجور : لم يتأخر بعد.

جول : كلا، ولكنه الآن لم يعد يحضر مبكرا. لا أحد يساعدني. (تليفون).

السكرتيرة : (في التليفون) آلو؟ نعم. نعم، يا سيدي الرئيس. (لجول) لقد انعقد مجلس الإدارة الآن، والرئيس يسأل هل من جديد ؟

جول : جديد! ليذهب إلى الجحيم، قولي إني خرجت.

السكرتيرة : (في التليفون) كلا يا سيدي الرئيس، لابد أنه يطالع البروفات (لجول) لا يبدو عليه الرضا.

جول : قولي له إني احتفظ له بمفاجأة سعيدة.

السكرتيرة : (في التليفون) لقد قال وهو يغادر المكتب إنه يحتفظ لك بمفاجأة سعيدة. حسن.

جول : بماذا أجاب؟

السكرتيرة : إن المجلس كان ينتظر مكالمتك التليفونية.

جول : أيها المخرف العجوز! سأخرب بيتك بالمفاجآت. (للسكرتيرة) اطلبي لي سيبيلو في التو.

السكرتيرة : (في التليفون) سيبيلو يحضر عند رئيس التحرير. (لجول) لم يصل.

جول : كم الساعة الآن؟

السكرتيرة : العاشرة وخمس دقائق.

جول : (للآخرين) لقد قلت لكم ذلك: يبدأ المرء بألا يحضر مبكرا وينتهي بأن يصل بعد الموعد. (فترة) حسنا! حسنا، حسنا، لننتظر! (يتخذ جلسة مريحة) لننتظر في هدوء. (يتخذ جلسة مريحة أخرى) في هدوء تام! (لتافرنييه وبيريجور) استرخيا. (تبدأ السكرتيرة في الكتابة على الآلة الكاتبة) يصرخ: قلت في هدوء! (يقفز على قدميه فجأة) لم أخلق للانتظار. (يسير) إنهم يقتلون شخصا ما!

تافرنييه : أين ذلك يا سيدي الرئيس؟

جول : وهل أعرف؟ في القاهرة، في هامبورج، في فالبارنيرو، في باريس. طائرة مقاتلة تنفجر فوق بوردو. فلاح يكتشف في حقله آثار رجل من كوكب مارس. إني أنا الأحداث الجارية يا أطفالي، والأحداث الجارية لا تنتظر. (رنين تليفون) إنه سيبيلو!

السكرتيرة : (في التليفون) ألو، نعم، نعم يا سيدي الوزير. (لجول) إنه وزير الداخلية، يسأل هل من جديد؟

جول : لست هنا.

السكرتيرة : كلا يـا سيدي الوزيـر، المدير غير موجـود. (لجول) إنه يتميز غيظا.

جول : قولي له إني احتفظ له بمفاجأة.

السكرتيرة : لقد قال المدير منذ قليل إنه يحتفظ لك بمفاجأة - حسن يـا سيـدي الـوزير. (تعيـد سماعـة التليفـون) سيتصـل تليفونيا بعد ساعة.

جول : ساعة! ساعة لكي نعثر على هذه المفاجأة..

بيريجور : ستجدها يا جول.

جول : أنا! سأكون أول من يفاجأ بها. (يتوقف عن المشي) لنعد إلى الهدوء. ياقدرة الله! لنجتهد في التفكير في شيء آخر. (فترة) وبعد؟

تافرنييه : (في دهشة) وبعد؟

جول : فكروا!

بيريجور : حسن يا سيدي الرئيس. في ماذا؟

جول : قلت لكم ذلك في شيء آخر.

بيريجور : سنفكر في شيء آخر.

جول : فكروا بصوت مرتفع.

بيريجور : (مفكـرا) إني أتسـاءل إن كـان صاحـب البيـت سـوف يصلح السقف. إن المحامي ينصحني أن أقاضيه! يقول إني سأكسب القضية ولكني غير متأكد من ذلك.

تافرنييه : (مفكرا) أين يمكن إذن أن أكون قد وضعت بطاقة المترو هذه؟ لقـد بحثت في جيوبي كلها عبثـا. ومع ذلك فـأنا أرى نفسي من جديد مرة أخـرى هذا الصباح أمام شباك التذاكر أتناول نقودي باليد اليمنى واليسرى..

جول : اللصوص!

تافرنييه : (يستفيق فزعا) ما هذا؟

جول : أخيرا أرى قلوبكم، فماذا أجد فيها؟ أسقف، تذاكر مترو! إن أفكاركم ملكي، أدفع ثمنها وتسرقونها مني! (للسكرتيرة) أريد سيبيلو! اتصلي به في بيته.

السكرتيرة : حسن، ياجول. (تدير القرص، وتنتظر. يتوقف جول عن المشي وينتظر) لا أحد يرد.

جول : سألقي به إلى الخارج! لا، لا، لن أستمع إلى شيء! سألقي به إلى الخارج! وبمن نستبدله؟

تافرنييه : تيبري مولنييه؟

جول : كلا.

تافرنييه : إن شخصيته مميزة، وترعبه الشيوعية.

جول : نعم، ولكن رعبه لا يصل للغير، وأنا أعرف اثنين قرآ مقالاته ثم ذهبا رأسا وانضما للحزب الشيوعي. (بغتة) ونيكرا سوف؟ ما هي أخباره؟

بيريجور : يقولون إنه في روما.

جول : في روما! لقد قضي الأمر. سوف تحتفظ به الديمقراطية المسيحية.

تافرنييه : لقد كذبت وكالة تاس الخبر على كل حال، وادعت أنه في كريميه Crimee منذ خمسة عشر يوما.

جول : ولم لا ؟ دعونا من الحديث طويلا عنه الآن، ولتنتظروا تأكيدا للخبر، ولا تقولوا على الخصوص إنه في روما. فمع أزمة الفنادق عندنا لا يجمل بنا أن نقوم بدعاية للسياحة في إيطاليا. لنتدبر الأمر يا صغاري، لنواجه الصعوبات ونتناول الثور من قرونه. هل أنتم معي؟

تافرنييه وبيريجور : جول: نحن معك.

جول : ماذا يجب لكي نقوم بحملة؟

بيريجور : رؤوس أموال.

جول : لدينا. وبعد؟

تافرنييه : ضحية.

جول : لدينا أيضا. ولكن بعد ذلك؟

بيريجور : موضوع.

جول : موضوع.. نعم! موضوع.

تافرنييه : موضوع مدوي.

بيريجور : يحدث فرقعة!

تافرنييه : رعب و إغراء جنسي.

بيريجور : بعض الأبدان وبعض الأرداف.

جول : إني أتخيل هذا الموضوع، أتخيله !

تافرنييه : نحن أيضا، يا سيدي الرئيس، نراه.

جول : إني أعرفه.

بيريجور : نحن نعرفه كذلك.. نعم نعرفه.

جول : أنتما أيضا تعرفانه؟

تافرنييه : طبعا!

جول : إذن قولا لي ما هو؟

بيريجور : آه!.. ليست صورة تضم...

تافرنييه : صورة عامة يصعب معها...

بيريجور : اعتقد أنه يجب العثور على أحد لكي...

تافرنييه : النهاية، لكي...

جول : وها هي النتيجة! (يجلس متكدرا. وفجأة) أنتم تضحكون أيها الصغار؟

تافرنييه : (كأنما أهين) نحن يا جول! كيف تستطيع أن تتخيل ذلك؟

جول : سوف تخطئون إذا ضحكتم.

: لو أني طردت فستطردون معي (تليفون).

السكرتيرة : صحيح؟ فليصعد حالا. (لجول) إنه سيبيلو.

جول : أخيرا!

(يتسمر الأربعة وأنظارهم مثبتة على الباب الزجاجي، وحينما يفتح يشير جول لتافرنييه وبيريجور بالخروج. يخرجان وتتبعهما السكرتيرة).

المشهد الثاني

جول، سيبيلو، جورج

جول : يا عزيزي سيبيلو الشجاع. أتعرف أن صبري كاد أن ينفذ.

سيبيلو : لابد أن تلتمس لي العذر يا سيدي.

جول : هيا، هيا. لقد نسيت. من هذا السيد؟

سيبيلو : إنه سيد.

جول : أرى ذلك جيدا.

سيبيلو : سأحدثك عنه بعد قليل.

جول : صباح الخير يا سيدي. (جورج لا يجيب) هل هو أصم؟

سيبيلو : إنه لا يعرف اللغة الفرنسية.

جول : (لجورج مشيرا إلى مقعد) اجلس إذن . (يمثل حركة الجلوس . يظل جورج بلا تؤثر) ألا يفهم الحركات كذلك؟

سيبيلو : لأنك أديتها بالفرنسية .

(يبتعد جورج ويتناول من على المكتب جريدة تحمل عنوانا ضخما : «اختفاء نيكراسوف» .

جول : هل يقرأ؟

سيبيلو : كلا ، كلا ، كلا . إنه يشاهد الصور.

جول : (يضع يديه على كتفي سيبيلو) وبعد يا صديقي ؟

سيبيلو : وبعد؟ (دون أنْ يفهم)

جول : فكرتك؟

سيبيلو : آه! فكرتي . . (فترة) إني غاية في الأسف يا سيدي .

جول : (منفعلا) أليس عندك فكرة؟

سيبيلو : أعني . . (جورج خلف جول يشير إليه بالكلام) أوه! بلى ، يا سيدي ، طبعا عندي .

جول : لا يبدو عليك أنك فخور بها .

سيبيلو : كلا . (إشارة من جورج) ولكني . . ولكني متواضع .

جول : هل هي فكرة طيبة ، على الأقل ؟ (إشارة من جورج) .

سيبيلو : (مهمهماً) آه ! طيبة جداً ! .

جول : وتأسف لذلك؟ سيبيلو ، إنك مخلوق غريب . (فترة) لنسمع فكرتك . (صمت من سيبيلو) لا تقل شيئا . (جورج يحضه على الكلام بالإشارة ، وسيبيلو لا يتكلم) فهمت ماذا تعني : إنك تريد العلاوة . اصغ إلي يا صاحبي . سيكون لك ما تريد وأعدك بذلك . ستحصل على علاوة إن راقتني فكرتك .

سيبيلو : أوه! كلا! كلا، كلا.

جول : ما هذا؟

سيبيلو : لا أريد علاوة.

جول : حسن، لن أزيد مرتبك. هيه! هل أنت راض؟ (متضايقا) النهاية، هل ستتكلم؟ (سيبيلو يشير إلى جورج بإصبعه) ماذا؟

سيبيلو : إنها هي.

جول : من، هي؟

سيبيلو : هو.

جول : (دون أن يفهم) هو تعني هي؟

سيبيلو : هو يعني الفكرة.

جول : فكرتك، هي هو؟

سيبيلو : ليست فكرتي، لا، لا، لا ! ليست فكرتي.

جول : إذن فهي فكرته؟ (جورج يشير بأن لا).

سيبيلو : (مطيعا جورج) ولا هذا.

جول : (مشيرا إلى جورج) النهاية، من هو؟

سيبيلو : إنه أجنبي.

جول : من أية جنسية؟

سيبيلو : آه ! (مغلقا عينيه) سوفيتية.

جول : (وقدخاب فأله) فهمت.

سيبيلو : (منطلقا) موظف سوفيتي عبر الستار الحديدي.

جول : موظف كبير؟ (جورج يشير إلى سيبيلو أن يقول نعم).

سيبيلو : نعم. (وقد عاد إليه رعبه) أعني كلا. متوسط. متوسط جدا. موظف صغير جدا.

جول : باختصار رجل لا قيمة له.

سيبيلو : هو ذا! (حركة حانقة من جورج)

جول : وماذا تريدني أن أعمل بموظفك السوفيتي هذا؟

سيبيلو : لا شيء يا سيدي، لا شيء مطلقا.

جول : كيف لا شيء؟ ولماذا أصطحبه؟

سيبيلو : (وقد تمالك نفسه) كنت أظن أنه يستطيع أن يمدنا . .

جول : بماذا؟

سيبيلو : بالمعلومات.

جول : معلومات! عن ماذا؟ عن ماكينات كتابة سوفيتية؟ عن مصابيح المكاتب أو المراوح! سيبيلو، لقد كلفتك بشن حملة ضخمة وتقترح عليّ مضامين لا تستقيم مع الحرية والسلام. منذ كرافشنكو Kravchenko أو تدري كم رأيت أنا من طوابير لموظفين أثروا الحرية؟ مائة واثنتين وعشرين يا صديقي، حقيقيون أو مزيفون.

لقد تلقينا سائقي سفارات، وخادمات أطفال، وسمكري، وسبعة عشر حلاقا. وقد اعتدت أن أبعث بهم إلى زميلي روبنيه Robinet في جريدة الفيجارو، وهو لا يزدري أصغر خبر. النتيجة: هبوط عام في أسعار كرافشنكو وأمثاله. وآخرهم في التاريخ، ديميدوف Demidoff وهو مدير كبير، واقتصادي مرموق، أمدنا بأربع موضوعات بصعوبة، وبعد ذلك يبدو أن «بيدو» Bidoult نفسه لم يعد يدعوه إلى الطعام. (يتقدم من جورج) آه! السيد قد اجتاز الستار الحديدي! آه! السيد قد آثر الحرية! حسن، دعهم يقدمون إليه بعض الحساء وأرسله من طرفي إلى جيش الخلاص.

سيبيلو : برافو ياسيدي الرئيس.

جول : ماذا!

سيبيلو : لا تستطيع أن تدرك مدى ارتياحي. (إلى جورج في تشفي) إلى جيش الخلاص . . . إلى جيش الخلاص!.

جول : وهذا هو كل ما في الأمر! أليس عندك فكرة أخرى؟

سيبيلو : (يفرك يديه) ولا واحدة! ولا واحدة على الإطلاق.

جول : أيها الأبله، أنت مرفود.

سيبيلو : نعم يا سيدي الرئيس! أشكرك يا سيدي الرئيس! إلى اللقاء ياسيدي الرئيس! (يهم بالخروج فيستوقفه جورج ويجره إلى وسط المسرح)

جورج : أتسمح؟

جول : أنت تتحدث الفرنسية إذن؟

جورج : كانت أمي فرنسية.

جول : (لسيبيلو) وفوق ذلك تكذب! أغرب عن وجهي!

جورج : (ممسكا بسيبيلو) لقد أخفيت عليه ذلك حرصا مني.

جول : سيدي، إني أهنئك على إتقانك لغتنا الجميلة إلى هذا الحد، ولكنك بالفرنسية كما بالروسية تضيع عليّ وقتي، وسأكون لك من الشاكرين إن تركت مكتبي على الفور.

جورج : وهذا ما أنوي عمله. (لسيبيلو) هيا إلى جريدة فرانس-سوار بسرعة.

جول : إلى فرانس-سوار! لماذا؟

جورج : (وهو يهم بالخروج) إن وقتك ثمين جدا. ولن أثقل عليك أكثر من ذلك.

جول : (يقف في وجهه) إني أعرف جيدا زميلي لازاريف، واستطيع أن أؤكد لك أنه لن يفعل شيئا من أجلك.

جورج : إني مقتنع بذلك، أنا لا انتظر شيئا من مخلوق، ولا يستطيع مخلوق مساعدتي. ولكن، أنا، استطيع أن أفعل الكثير لجريدته ولبلادك.

جول : أنت!

جورج : نعم أنا.

جول : وماذا ستفعل إذن؟

جورج : سوف تضيّع وقتك.

سيبيلو : نعم يا سيدي الرئيس، نعم سوف تضيّع وقتك. (لجورج) لتخرج.

جول : سيبيلو. مكانك، (لجورج) عندي مع ذلك خمس دقائق فراغ. ولن يقال إني طردت رجلا دون سماعه.

جورج : إنه أنت الذي ترجوني أن أبقى؟

جول : إنه أنا الذي أرجوك.

جورج : وهو كذلك. (ينحني تحت المنضدة ويحبو على أربع).

جول : ماذا تفعل؟

جورج : لا يوجد جهاز تسجيل مُخبأ؟ لا يوجد مكبر صوت؟ حسن. (ينهض) هل لديك شجاعة؟

جول : أظن ذلك.

جورج : إذا تكلمت فستتعرض لخطر الموت.

جول : الموت! لا تتكلم، بل تكلم، تكلم بسرعة.

جورج : انظر إليّ. خير من ذلك (فترة) إذن؟

جول : إذن ماذا؟

جورج : لقد نشرت صورتي في الصفحة الأولى من جريدتك.

جول : أنت تعرف الصور. (يتأمله) لا أذكر ذلك.

جورج : (يضع عصابة سوداء على عينه اليمنى) وهكذا؟

جول : نيكراسوف!

جورج : إذا صرخت فقد ضعت. هناك سبعة من الشيوعيين المسلحين في مكاتبك.

جول : أسماؤهم؟

جورج : فيما بعد، الخطر ليس مباشرا.

جول : نيكراسوف! (لسيبيلو) ولم تقل لي ذلك!

سيبيلو : أقسم لك أني لم أكن أعرف ذلك يا سيدي الرئيس. أقسم لك.

جول : نيكراسوف! يا صاحبي سيبيلو إنك عبقري!

سيبيلو : يا سيدي الرئيس، أنا مخلوق دنيء! دنيء! دنيء!

جول : نيكراسوف! إني أعبدك! (يقبله)

سيبيلو : (يسقط على المقعد) كل شيء مستهلك! (يغمى عليه).

جورج : (ينظر إليه في ازدراء) أخيرا أصبحنا بمفردنا! (لجول) لنتحدث معا.

جول : أنا لا أريد أن أجرح شعورك، ولكن..

جورج : أنت لن تستطيع ذلك، حتى لو أردت.

جول : ما الذي يثبت لي أنك نيكراسوف؟

جورج : (ضاحكا) لا شيء!

جول : لا شيء؟

جورج : لا شيء على الإطلاق.. فتشني.

جول : أنا لا..

جورج : (في عنف) قلت لك أن تفتشني.

جول : حسن! حسن! (يفتشه).

جورج : ماذا وجدت؟

جول : لا شيء.

جورج : وهذا هو الدليل القاطع. ما الذي كان يفعله دجال؟ كان يريك جواز سفره ومذكرات العائلة، وتحقيق شخصية سوفيتي. ولكنك أنت بالوتان، لو كنت نيكراسوف وسولت لك نفسك أن تجتاز الستار الحديدي، أكنت ستصبح أبلها إلى درجة الاحتفاظ بأوراقك معك؟

جول : طبعا لا.

جورج : هذا ما كان يجب إيضاحه.

جول : يا للبراعة! (عبوسا) ولكن، على هذا يستطيع أي مخلوق . .

جورج : أو يبدو عليّ أني أي مخلوق؟

جول : لقد أذاعوا عنك أنك في إيطاليا . .

جورج : تبا لهم! سوف يذيعون غدا أني في اليونان، في أسبانيا، في ألمانيا الغربية. ولكن دعهم يحضرون أولئك الدجالين، دعهم يحضرون جميعا وستعميك الحقيقة. نيكراسوف الحقيقي عاش خمسة وثلاثين عاما في الجحيم الأحمر، إن له عيون رجل آت من بعيد. أنظر إلى عيني! نيكراسوف الحقيقي قتل مائة وثمانية عشر شخصا بيديه. انظر إلى يدي. نيكراسوف الحقيقي نشر الإرهاب عشر سنوات! استدع المزيفين الذين سرقوا اسمي وسترى بالمقارنة من منا هو الأخطر. (يهجم على جول فجأة) أبك خوف؟

جول : أنا . . (يتراجع ويكاد أن يصطدم بالحقيبة).

جورج : أيها التعس! لا تلمس الحقيبة!

جول : (صارخا) آه! (ينظر إلى الحقيبة) ما الذي فيها؟

جورج : ستعرف ذلك فيما بعد. ابتعد. (جول ينزوي في ركن) أرأيت: إنك خائف. من الآن! آه! سأميتكم من الخوف جميعا، وسترى إن كنت نيكراسوف!

جول : إني خائف، ولكني لا أزال مترددا. لو كنت تخدعني..

جورج : إذن..؟

جول : فستنهار الجريدة. (جرس التليفون يرن. يتناول السماعة) آلو! صباح الخير يا عزيزي الوزير. نعم. نعم. طبعا! لم يعد يستحوذ عليّ شيء سوى هذه الحملة! نعم. نعم. كلا: ليس في الأمر أي تهاون! إني أسألك أن تمهلني بضع ساعات. بضع ساعات فقط. نعم، شيء جديد. لا استطيع شرح ذلك في التليفون. ولكن أرجوك ألا تغضب.. لقد وضع السماعة!

(يضع السماعة)

جورج : (في تهكم) أنت في حاجة ماسة إلى أن أكون نيكراسوف.

جول : للأسف.

جورج : إذن فأنا هو.

جول : عفوا!

جورج : أنسيت قواعد الديانة المسيحية؟ كانوا يثبتون وجود الله بحاجة الإنسان إليه.

جول : أنت تعرف قواعد الديانة المسيحية؟

جورج : نحن نعرف كل شيء. هيا يا جول، لقد سمعت ما قاله الوزير: إذ لم أكن نيكراسوف، فلن تكون أنت بعد اليوم بالوتان، نابليون الصحافة. هل أنت بالوتان؟

جول : نعم.

جورج : أتريد أن تظل كذلك؟

جول : نعم

جورج : إذن فأنا نيكراسوف.

سيبيلو : إنه يكـذب يا سيـدي الرئيـس، إنه يكـذب! (يعود إلى رشده)

جول : (يلقي بنفسه عليـه) أيها الأبـلـــــه، العاجـز، المغفل، وما دخلـك أنت؟ هذا الرجـل نيكراسوف وقـد أثبت لي ذلك الآن.

سيبيلو : أثبت لك ذلك؟

جول : بما لا يقبل الشك!

سيبيلو : ولكني أقسم لك..

جول : اخرج من هنا! حالا!

جورج : اذهب يـا عزيزي الطيب سيبيلـو، وانتظرني في الخارج. (يدفعانه).

سيبيلو : (وهو في طريقه للخارج) أنا لست مسئولا عن شيء! إني أغسل يديّ من كل الموضوع! (يغلق الباب من دونه)

المشهد الثالث

جورج، جول

جورج : إلى العمل!

جول : أنت تعرف كل شيء، أليس كذلك؟

جورج : عن ماذا؟

جول : عن الاتحاد السوفيتي؟

جورج : بالتأكيد!

جول : وهو . . مرعب؟

جورج : (في فراسة) آه!

جول : أو تستطيع أن تقول لي . .

جورج : لا شيء. استدع مجلس إدارتك فلي شروط أفرضها.

جول : تستطيع باطمئنان أن تقول لي . .

جورج : قلت لك لا شيء. ناد المجلس.

جول : (يتناول التليفون) ألـو. يا عزيزي الرئيـس، لقد وصلت المفاجأة. إني في انتظارك. نعم. نعـم. نعم. طبعا نعم أنـت ترى أني أفي دائما بـوعـودي. (يعيـد السماعة) إنـه مهتاج، ذلك العجوز القذر!

جورج : لماذا؟

جول : كان أمله قويا أن ينال مني!

جورج : ما اسمه؟

جول : موتون.

جورج : سأحتفظ باسمه في ذاكرتي. (فترة)

جول : ومع ذلك فقد كان بودي، ونحن ننتظرهم، أن . .

جورج : تـريد عينـة ممـا أعرف. حسـن. أنـا استطيع أن أزيـح الستـار عن تفصيـلات الخطـة (جـ) الشهيرة لاحتـلال فرنسا في حالة نشوب حرب عالمية.

جول : هناك خطة (جـ) لاحتلال فرنسا؟

جورج : لقد تحدثت عنها في جريدتك في العام الماضي.

جول : أحق؟ آه! نعم. ولكني . . كنت أرجو تأكيدا . .

جورج : ألم تكتب، في تلك الفترة، أن الخطة (جـ)تحوي قائمة بأسماء من سيلقون حتفهم رميا بالرصاص؟ حسن! كان معك حق.

جول : أسيعدمون فرنسيين؟

جورج : مائة ألف.

جول : مائة ألف!

جورج : ألم تكتب ذلك، نعم أم لا ؟

جول : تعرف، المرء يكتب ذلك دون أن يفكر فيه. وهل معك القائمة؟

جورج : لقد حفظت عن ظهر قلب العشرين ألف اسم الأول.

جول : أعطني بعضها. من الذي سيعدم؟ هيريو؟ Herriot

جورج : طبعا.

جول : هو الذي كان دائما لطيفا معك - أقصد معهم! هذا يسليني كثيرا. ومن أيضا؟ كل الوزراء فيما أظن.

جورج : وكل الوزراء السابقين.

جول : أي نائب من كل أربعة.

جورج : معذرة! نائب من كل أربعة سيعدم رميا بالرصاص كوزير سابق. ولكن الثلاثة الآخرين يمكن إعدامهم لأسباب أخرى.

جول : فهمت: كل مجلس النواب سيلقى حتفه، ماعدا الشيوعيين.

جورج : ماعدا الشيوعيين؟ لماذا؟

جول : آه! لأن الشيوعيين أيضا...

جورج : صه!

جول : ولكن . .

جورج : لم يصلب عودك بعد بما فيه الكفاية، لكي تتحمل الحقيقة! سأكشف عن أوراقي قليلا قليلا . .

جول : أتعرف بيردرير؟

جورج : بيردرير.

جول : نود أن يكون اسمه في القائمة .

جورج : أحقا! لماذا؟

جول : هكذا! لكي نجعله يتفكر. وإن لم يكن اسمه في القائمة، فيالها من خسارة!

جورج : ذلك أني أعرف اثنين بهذا الاسم . أحدهما يدعى رينيه . .

جول : ليس هو.

جورج : أفضل: لأنه ليس في القائمة .

جول : صاحبنا اسمه هنري . وهو راديكالي اشتراكي .

جورج : هنري! هو ذا . أنا لا أعرف غيره . نائباً؟

جول : كلا . كان نائبا، ولكنه لم يعد كذلك . وهو مرشح في الانتخابات المحلية في دائرة «سين – مارن» Seine - et - Marne

جورج : إنه هو. أنت تدرك جيدا أنهم لن يترفقوا به . بل إن اسمه من بين أوائل الأسماء الواردة في القائمة .

جول : إنك تسعدني بقولك هذا . وفي الصحافة! من؟

جورج : كثير من الناس .

جول : ولكن، مثلا، من؟

جورج : أنت!

جول : أنا؟ (يهرع إلى التليفون) بيريجور! مانشيت على ستة أعمدة: «نيكراسوف في باريس، مديرنا في القائمة السوداء» هذا شيء مسل، هيه؟ نعم، مسل جدا! (يعيد السماعة فجأة) أنا؟ أنا أعدم رميا بالرصاص! هذا.. هذا غير مقبول.

جورج : أوه!

جول : ولكني جريدة حكومية، كما ترى! ستكون هناك بالطبع حكومة حينما يحتل السوفييت باريس!

جورج : دون شك.

جول : وعليه إذن؟

جورج : سيحتفظون بسوار آباري، ولكنهم سيصفون الموظفين.

جول : رميا بالرصاص! والمضحك في الموضوع حقا أن ذلك لا يسيئني تماما. هذا يعطيني قيمة ووزن. إني أكبر. (يقف أمام المرآة) رميا بالرصاص! رميا بالرصاص! هذا الرجل. (يشير إلى نفسه في المرآة) سيعدم رميا بالرصاص. هيه! إني أرى نفسي بعيون أخرى. أو تعرف بماذا يذكرني هذا: اليوم الذي تسلمت فيه قلادة الشرف (ملتفتا إلى جورج) ومجلس الإدارة؟.

جورج : لا عليك إلا أن تسمي لي الأعضاء وسأقول لك المصير الذي ينتظرهم.

جول : ها هم!

(يدخل أعضاء مجلس الإدارة)

المشهد الرابع

جول، جورج، موتون، نيرسيا، ليرمينييه، شاريفيه، بيرجيرا

موتون : يا عزيزي بالوتان. .

جول : أيها السادة، ها هي مفاجآتي!

الجميع : نيكراسوف!

جول : نيكراسوف، نعم، نيكراسوف الذي أمدني ببراهين لا تقبل الشك تثبت شخصيته، والذي يتكلم الفرنسية والذي يستعد لكي يذيع على العالم كله أسراراً وحقائق مذهلة. إنه يعلم عن ظهر قلب، فيما يعلم، أسماء عشرين ألف شخص تستعد القيادة السوفيتية لإعدامهم رميا بالرصاص حينما تحتل الفرق الروسية فرنسا.

المجلس : (همهمات) أسماء! أسماء! هل نحن من بينهم؟ هل أنا من بينهم؟

جورج : أحب أن أعرف أولئك السادة بأسمائهم.

جول : طبعا. (مشيرا إلى أقرب الأعضاء إليه) السيد ليرمينييه.

ليرمينييه : تشرفنا.

جورج : إعدام.

جول : السيد شاريفيه.

شاريفيه : تشرفنا.

جورج : إعدام.

جول : السيد نيرسيا.

نيرسيا : تشرفنا.

جورج : إعدام.

نيرسيا : سيدي هذا يشرفني .

جول : السيد بيرجيرا .

بيرجيرا : تشرفنا .

جورج : إعدام .

بيرجيرا : هاك ما يثبت ياسيدي أني فرنسي مخلص .

جول : وهاهو رئيسنا ، السيد موتون .

جورج : موتون؟

جول : موتون .

جورج : آه .

موتون : (مقتربا) تشرفنا .

جورج : تشرفنا .

موتون : ماذا؟

جورج : أقول . تشرفنا .

موتون : (ضاحكا) هل هي هفوة؟

جورج : كلا .

موتون : تريد أن تقول : إعدام .

جورج : أريد أن أقول ما أقول .

موتون : موتون : ياإلهي ! موتون .

جول : «م» مثل «ماري» و«ا» مثل اكتانيوس . . .

جورج : لا فائدة . السيد موتون ليس في القائمة .

موتون : لعلك نسيتني .

جورج : أنا لا أنسى شيئا .

موتون : ولماذا ، من فضلك ، لا يتكرموا بإعدامي؟

جورج : أجهل ذلك .

موتون : أوه! كلا، ليس الأمر بهذه السهولة. أنا لا أعرفك وأنت تـريد أن تلطـخ سمعتي، وتـرفـض تفسيرا لذلـك؟ إني أحتم عليك أن. . .

جورج : القائمة السوداء الخاصة بالصحافة قدمت إلينا من وزير الاستعلامات دون تعليقات.

نيرسيا : ياعزيزي موتون. . .

موتون : إنها مزحة أيها السادة، مزحة بسيطة.

جورج : الوزير السوفيتي لا يمزح أبدا.

موتون : هذا أمر غاية في السخف! أيها الأصـدقاء، قولوا للسيد نيكراسوف إن أحوال خدمتـي تجعل مني الضحية البينة للحكومـة السوفيتيـة، فأنا جنـدى قديـم في حرب١٤، نلت نيشان الحرب، وأرأس أربعـة مجالس إدارة وأنا. . . (يتوقف عن الكلام) النهاية، قولوا شيئا! (صمت محرج) يالوتان، أتنوي نشر هذه القائمة؟

جول : سأفعل ما تقررونه أيها السادة.

بيرجيرا : طبعا لابد من نشرها.

موتون : حسنـاً ! رجائي أن تضعـوا فيها اسمـي. الجمهور لـن ينسى ذلك. ستتلقون احتياجات!

(يتناول جورج قبعته ويهم بالخروج)

جول : إلى أين أنت ذاهب؟

جورج : إلى فرانس ـ سوار.

نيرسيا : إلى فرانس ـ سوار؟ ولكن. . .

جورج : أنـا لا أكذب أبـداً، وهذا سر قـوتي. تنشرون تصريحاتي دون تحريف أو أتوجه إلى غيركم.

موتون : لتذهب إلى الشيطان! سنستغني عنك.

نيرسيا : أنت مجنون ياعزيزي!

شاريفيه : مجنون تماما!

بيرجيرا : (لجورج) أرجو أن تسامحنا ياسيدي العزيز.

ليرمينييه : إن رئيسنا عصبي المزاج جدا.

شاريفيه : وانفعاله له ما يبرره.

نيرسيا : ولكننا نروم الحقيقة.

بيرجيرا : كل الحقيقة.

ليرمينييه : ولا شيء غير الحقيقة.

جول : وسننشر كل ما تريد.

موتون : أقول لكم إن هذا الرجل دجال. (همهمة استهجان)

جورج : لو كنت في مكانك ياسيدي لما تحدثت عن الرجل لأنه على كل حال ليس أنا وإنما أنت الذي أبعد عن القائمة السوداء.

موتون : (إلى أعضاء المجلس) أتتركون رئيسكم يهان؟ (صمت) إن قلب الرجل حفرة مليئة بالقاذورات والأوساخ. إنكم تعرفونني منذ عشرين عاما، ولكن ماذا يهم؟ كانت تكفي كلمة ينطق بها مجهول وترتابون فيّ... فيّ أنا، صديقكم!

شاريفيه : ياعزيزي موتون...

موتون : إلى الوراء! لقد تأسدت أرواحكم بشهوة الربح! إنكم تقصدون أن تبهروا البوابين بكشف الستار عن حوادث مثيرة لا أساس لها من الصحة، وتأملون في مضاعفة البيع، وتضحون بعشرين عاما من الصداقة من أجل عجل من الذهب. حسن! اكشفوا أيها السادة، اكشفوا عن الأسرار

المثيرة! إني تركتكم وسأذهب للبحث عن دليل يثبت أن هذا الرجل كذاب، مزور ومحتال. ولتدعوا الله أن أجد هذا الدليل قبل أن يضحك العالم بأسره من جنونكم.. إلى اللقاء، وحينما نلتقي من جديد سيلقى على رؤوسكم الرماد، وستضربون صدوركم طالبين مغفرتي. (يخرج)

المشهد الخامس

السابقون، ماعدا موتون، السكرتيرة

نيرسيا : ياللعجب!

شاريفيه : أهذا ما كان ينقصنا!

ليرمينييه : إنه أمر عجاب، عجاب، عجاب.

بيرجيرا : ما هذا الذي ألم بنا وأصابنا؟

جورج : سترون من ذلك الكثير.

نيرسيا : نحن لا نطلب إلا أن نرى.

بيرجيرا : تكلم، تكلم بسرعة!

جورج : لحظة أيها السادة! لدي تفسيرات أقدمها لكم وشروط أمليها عليكم.

ليرمينييه : نحن نصغي لك.

جورج : لكي نتجنب سوء الفهم، سيهمني أولا أن أبين بدقة أني أحتقركم.

نيرسيا : طبعا، هذا أمر مفهوم لا يحتاج إيضاحاً.

بيرجيرا : ولو كان غير ذلك لأسأنا الفهم.

جورج : إنكم تمثلون في نظري خدم الرأسمالية الحقراء.

شاريفيه : برافو..

جورج : لقد تركت وطني حينما أدركت أن سادة الكرملين يخونون مبدأ الثورة، ولكن لا تسيئوا فهم ذلك. إني باق شيوعي لا يتحول عن مبدئه.

ليرمينييه : وهذا يشرفك.

نيرسيا : ونحن راضون عن صراحتك.

جورج : أنا لا أجهل أني أطيل في عمر المجتمع البرجوازي قرنا من الزمان بإعطائي إياكم وسائل قلب نظام الحكم السوفيتي.

الجميع : برافو!! حسنا جدا، حسنا جدا!

جورج : وأنا مستسلم لذلك عن مضض، لأن غايتي الرئيسية هي تنقية الحركة الثورية وتطهيرها. لتمت إذا وجب ذلك، بعد مائة عام ستبعث من رمادها، وحينئذ سنعاود سيرنا إلى الأمام. وفي هذه المرة أحب أن أقول لكم إننا سنكسب المعركة.

نيرسيا : بعد مائة عام، هوذاك!

شاريفيه : في مائة عام، الطوفان!

نيرسيا : أنا عن نفسي، قلت دائما إننا نسير نحو الاشتراكية. كل مافي الأمر هو أن نصل إلى ذلك في هدوء وسكينة.

بيرجيرا : ومن الآن وحتى يحدث ذلك ليكن همنا الوحيد هو تحطيم الاتحاد السوفيتي!

شاريفيه : لنحطم الاتحاد السوفيتي، برافو!

ليرمينييه : لنحطم الاتحاد السوفيتي، لنحطم الاتحاد السوفيتي، لنسحق الحزب الشيوعي الفرنسي!.

(تحمل السكرتيرة أكواب الشمبانيا على صينية)

نيرسيا : (يرفع كوبه) في صحة عدونا العزيز!

جورج : في صحتكم! (يشربون الانخاب) هاك شروطي. لنفسي لا أريد شيئاً.

ليرمينيه : لا شيء!؟

جورج : لا شيء، جناح في فندق جورج الخامس، اثنان من الحرس الأقوياء، ملابس محترمة، ونقود للصرف.

نيرسيا : موافقون.

جورج : سأملي ذكرياتي وسأكشف عنه إلى صحفي ممارس.

جورج : أتريد كارتييه؟

جورج : أريد سيبيلو.

جول : عظيم.

جورج : إني انتظر أن ترفعوا أجره. كم يأخذ؟

جول : إيه.. سبعين ألف ورقة في الشهر.

جورج : إنك تميته جوعا. سترفع أجره ثلاثة أضعاف.

جول : أعدك بذلك.

جورج : إلى العمل.

جول : والشيوعيون السبعة؟

جورج : أي شيوعيين؟

جول : أولئك المسلحين في مكاتبي.

جورج : آه!... آه! نعم.

نيرسيا : هناك شيوعيون في سوار آباري ؟

جول : (لجورج) سبعة! أليس كذلك؟

جورج : نعم، نعم نعم. إنه الرقم الذي أعطيته لك.

نيرسيا : غير معقول! وكيف تسربوا...

جورج : (ضاحكا) ها! ها! ها! إنك ساذج!

ليرمينيه : مسلحون! بأي سلاح؟

جورج : الترسانة العادية، قنابل يدوية ومسدسات. ولابد أن هناك بضعة رشاشات في أماكن خفية.

نيرسيا : هذا خطير جدا.

جورج : كلا: ليس الآن. لنعد إلى موضوعنا.

بيرجيرا : ولكن هذا هو موضوعنا.

نيرسيا : ولتسمح أن أقول لك أن مهمتك الأولى يجب أن تكون منع ذبح مجلس الإدارة.

جورج : إنهم لا يفكرون في ذبحكم.

نيرسيا : إذن فلماذا هذا السلاح؟

جورج : صه!

نيرسيا : (مندهشا) صه؟

جورج : ستعلمون كل شيء في حينه.

جول : على كل حال لابد من تطهير الجريدة. ولسوف يعطي لنا السيد نيكراسوف هذه الأسماء السبعة.

ليرمينيه : (ضاحكا) أظن جيدا أنه سوف يعطينا إياها، بل وسيسعده ذلك.

بيرجيرا : الأوغاد الأوغاد، الأوغاد...

ليرمينيه : سوف تطردهم خارج الدار، هذا الصباح نفسه.

جول : واذا أطلقوا النيران؟

بيرجيرا : أبلغ الشرطة واطلب عربة من المفتشين.

نيرسيا : وعند أقل حركة، السجن.

شاريفيه : أنت تعلم جيدا أنهم لن يجرؤوا على عمل شيء.

ليرمينيه : على أي حال، يستحسن أن نعطي عناوينهم لوزارة الداخلية . . هذا أمر لا يجب إغفاله .

نيرسيا : سأفكر في ذلك، يالوتان، ستتصل تليفونيا بكل الجرائد المسائية والصباحية لكي تبلغهم القائمة، أولئك الشطار لابد أن يشطبوا من المهنة .

ليرمينيه : فليختفوا!

شاريفيه : فليموتوا جوعا هؤلاء القارصنة!

بيرجيرا : للأسف أن حزبهم سوف يطعمهم .

شاريفيه : حزبهم؟ سيسقطهم من حسابهم حالما يعرف أنهم كشفوا .

نيرسيا : ألا تخشى أن يلقوا قنابل للانتقام؟

شاريفيه : سنجعل إدارة الأمن العام تحرس المبنى .

ليرمينيه : بالقوات المسلحة إذا لزم الأمر.

شاريفيه : خلال ستة شهور!

ليرمينيه : خلال سنة! خلال سنتين!

بيرجيرا : آه! أولئك السادة يريدون العراك، حسنا! أتعهد لكم أن نحقق لهم مايريدون .

نيرسيا : (ملتفتا إلى جورج) نحن نصغي إليك ياسيدي العزيز.

جورج : إني . . إني أخشى ألا أهتدي إلى جميع الأسماء .

جول : (للسكرتيرة) فيفي! هات قائمة الموظفين . (فيفي تحضر القائمة . يتناولها . لجورج) هاك ما سوف يذكرك . لا عليك إلا أن تؤشر بقلمك .

(يضع القائمة على مكتبه ويشير على جورج بالجلوس . يجلس جورج إلى المكتب . صمت طويل) .

بيرجيرا : وبعد؟

جورج : (على الرغم منه) أنا لست مرشداً.

ليرمينييه : (في دهشة) ماذا؟

جورج : (وقد وقع في ورطة) أريد أن أقول . . .

بيرجيرا : (في تشكك) أترفض إعطاء الأسماء؟

جورج : (وقد تمالك نفسه) أنا!؟ ستأخذون أسماء بالآلاف. ولكنكم أطفال، لكي تكشفوا القناع عن بضعة أعداء، سوف تعطون إشارة الخطر لكل الآخرين. إن الموقف أشد خطورة مما تتصورون. ولتعلموا أنهم خدعوا جريدة «لوموند» وأنكم عشتم في الخطأ، وأن لو لم يلق بي القدر في طريقكم لكنتم قدمتم وأنتم تجهلون كل شيء.

بيرجيرا : نجهل ماذا؟

جورج : آه! كيف أشرح لكم ذلك؟ إن نفوسكم ليست مهيئة لتقبل الحقيقة، ولا استطيع أن أكشف لكم عن كل شيء دفعة واحدة. (فجأة) الأحرى بكم أن تتأملوا هذه الحقيبة. (يتناول الحقيبة ويضعها على مكتب جول) بماذا تمتاز هذه الحقيبة؟

جول : لا شيء.

جورج : معذرة: إن لها هذه الصفة الخاصة ألا وهي أنها تشبه كل الحقائب الأخرى.

نيرسيا : يستطيع المرء أن يقسم أنها صنعت في فرنسا.

جورج : لم تصنع في فرنسا. ولكنك تستطيع الحصول على شبيهتها من نجار ساحة المدينة بمبلغ ثلاثين فرنك ونصف.

ليرمينييه : أوه (مأخوذاً)

بيرجيرا : هذا كثير جداً.

جورج : هل هذا الشيء البسيط البارد والذي لا يتصف بأية صفة معينة رهيب إلى هذا الحد؟ يبدو عليه أنه عادي جداً لدرجة تثير الشبهة ورغم أنه يفلت من التفتيش والبطاقات البيانية لتفاهته إلا أن مرآه يملأ القلب رعباً لتوه، ولكن لا يلبث المرء أن ينسى شكله وحتى لونه. (فترة) أو تعلمون ماذا يضعون فيه؟ سبعة كيلوجرامات من مسحوق الإشعاع. وفي كل مدينة من مدنكم الكبرى يقيم شيوعي ومعه حقيبة مشابهة تماما لتلك الحقيبة. أحيانا يكون مدير إدارة أملاك، مفتش ضرائب، ومدرس رقص ورشاقة، وأحيانا أخرى تكون عانس عجوز تعيش مع القطط والطيور. وتبقى الحقيبة في مخزن الغلال تحت حقائب أخرى ووسط صناديق كبيرة ومدافىء قديمة وهياكل من الخيزران. من إذن يخطر بباله أن يذهب للبحث عنها في ذلك المكان؟ ولكن، في اليوم الموعود، ستوزع نفس رسالة الشفرة في جميع مدن فرنسا وستفتح كل الحقائب دفعة واحدة. إنكم تخمنون النتيجة مائة ألف ميت يوميا.

الجميع : (في رعب) ها!.

جورج : الأحرى بكم أن تشاهدوا بأنفسكم. (يذهب ليفتح الحقيبة).

بيرجيرا : (صارخا) لا تفتحها!.

جورج : لا تخف: إنها فارغة! (يفتحها) اقتربوا، انظروا إلى البطاقة، لاحظوا الأحزمة، وتحسسوا المزلاقين.

(أعضاء المجلس يقتربون الواحد اثر الآخر ويلمسون الحقيبة في تردد وخوف).

بيرجيرا : (يلمسها) هذا حق! مع ذلك فهذا حق!

ليرمينيه : (نفس الحركة) ياله من كابوس!

شاريفيه : السفلة!

نيرسيا : السفلة، السفلة، السفلة!.

بيرجيرا : آه! كم أحقد عليهم.

نيرمينييه : على أي حال نحن لا ندع أنفسنا نموت كالفئران، فما العمل؟

جورج : بناء أجهزة كاشفة، لايزال أمامنا بضعة شهور (فترة) هل فهمتوني؟ هل إقتنعتم أن المهمة سوف تكون شاقة وأننا نعرض كل شيء للخطر إذ نحن عاقبنا مرؤوسين لا أهمية لهم؟

شاريفيه : أعطنا أسماءهم رغم ذلك.

ليرمينييه : ونعدك أننا لن نزعجهم.

بيرجيرا : لكننا نريد أن نعرف غريمنا..

نيرسيا : ونواجه الخطر وجها لوجه.

جورج : حسن! ليكن. ولكنكم ستتبعون تعليماتي تماما. لقد وجدت الآن الوسيلة لإبعاد خطرهم.

بيرجيرا : أية وسيلة؟

جورج : ارفعوا أجورهم. (همهمة) انشروا في كل مكان أنكم سعداء بخدمتهم وأنكم ستمنحونهم زيادة كبيرة.

بيرجيرا : أتعتقد أننا نستطيع إفسادهم؟

جورج : إن كان على ذلك فكلا. ولكنكم ستفقدونهم ثقة رؤسائهم. فهذه الخطوة الغامضة ستجعل الناس يعتقدون أنهم خانوا.

ليرمينييه : أنت متأكد من ذلك؟

جورج : هذا عين اليقين. وهكذا لن يكون عليكم أن تكترثوا لهم بعد ذلك، فإن يد موسكو هي التي ستتولى تصفيتهم.

(يذهب إلى المكتب، ويجلس، ويؤشر على سبع أسماء على القائمة).

نيرسيا : كلا! كلا، كلا، كلا ثم كلا! لا أريد أن ترفع أجور هؤلاء السفلة!

ليرمينييه : ليس هكذا يانيرسيا!

بيرجيرا : طالما قيل لك إن ذلك بهدف التخلص منهم.

شاريفيه : نحن نقبلهم لكي نخنقهم.

نيرسيا : حسن! افعلوا ماشئتم! (ينهض جورج ويقدم القائمة).

جول : (يقرأ) ساميفيل ؟ هذا غير ممكن !

بيرجيرا : مدام كاستانييه، من كان يعتقد ذلك ؟

جورج : (ويقاطعهم بإشارة منه) هذا لا شيء. سأرفع الحجب الواحد تلو الآخر وسوف ترون العالم كما هو. وحينما ترتاب في ابنك، في زوجتك، في أبيك، حينما تذهب وتنظر إلى نفسك في المرآة وأنت تتساءل إن لم تكن شيوعيا على غير علم منك، ستبدأ في الاقتراب من رؤية الحقيقة. (يجلس على مكتب جول ويدعوهم للجلوس)تفضلوا بالجلوس أيها السادة، ولنعمل: ليس لدينا متسع من الوقت إن أردنا إنقاذ فرنسا.

ـ ستار ـ

المنظر الخامس

ديكور: جناح في فندق جورج الخامس، في الصالون. النوافذ مغلقة، والستائر مسدلة. ثلاثة أبواب: واحد إلى اليسار يفتح على حجرة النوم، والثاني في المؤخرة يفتح على الحمام، والثالث إلى اليمين يفتح على غرفة انتظار. باقات ضخمة من الزهور، وعلى الخصوص ورود حمراء، مكدسة إلى جوار الحائط.

المشهد الأول

يدخل خادم صغير يحمل باقة ورد ويتبعه حارسان أشداء يصوبان مسدساتهما إلى ظهره. يضع الصبي باقة الورد ويخرج متقهقراً من باب اليمين رافعا يديه إلى أعلى، يفتح باب اليسار ويظهر جورج مرتديا رداءً منزلياً، وهو يتثاءب.

المشهد الثاني

جورج والحارسان

جورج : ما هذا؟

الحارس الأول : زهور.

جورج : (يقترب من الزهور وهو يتثاءب) مزيد من الزهور! افتحا النافذة.

الحارس الأول : كلا.

جورج : كلا!

الحارس الأول : خطر.

جورج : ألا تشم إذن أن لهذا الورد رائحة كريهة؟

الحارس الأول : كلا.

جورج : عندك حظ. (يتناول المظروف ويفتحه) «مع الإعجاب الشديد، مجموعة من السيدات الفرنسيات» إنهم معجبات لي، هيه؟.

الحارس الأول : نعم.

جورج : ويحبونني؟

الحارس الأول : نعم.

جورج : قليلا، كثيرا. بشغف.

الحارس الأول : بشغف.

جورج : لكي يحب المرء في عنف إلى هذا الحد، لابد أن يحقد في شدة.

الحارس : يحقد على من؟

جورج : على الآخرين (ينحني على الزهور) لنستنشق عبير الحقد (يستنشق) إنه قوي ومبهم. (مشيرا إلى الزهور) هذا هو الخطر! (يخرج الحارسان مسدسيهما ويصوبان على الزهور) لا تطلقا: إنه الأفعوان ذو الألف رأس. ألف رأس صغيرة حمراء من الحنق، تصيح حتى ينبح صوتها وتطلق عبيرها كالصرخة قبل أن تموت. هذه الورود تفوح بالسم.

الحارس الثاني : سم؟

الحارس الأول : (لزميله) معمل السميات، تلفون جوتنبرج Gutenberg ٦٦ ـ ٢١ (يتوجه الآخر إلى التليفون)

جورج : فات الأوان: كل شيء هنا مسموم، طالما أني أعمل في جو من الحقد.

الحارس الأول : الحقد؟

جورج : آه! إنه هواء كريه الرائحة! ولكن، إذا أردت أن تتخلص منها فلابد أن تتناولها من مصـدرها حيث هي، حتى لو كـانت في القـذى. (في روث البهائم). واليـوم هو يـوم مجدي ويحيا الحقد، طالما إني مديـن له بسطوتي. لا تنظر إلي بهذه العين: أنا شـاعر. هـل أنت مكلـف بفهمي أم بحمايتي؟

الحارس الأول : حمايتك.

جورج : حسن! احمني، احمني. كم الساعة الآن؟

الحارس الأول : (نظرة خاطفة إلى ساعة يده) الخامسة والنصف.

جورج : وما حال الجو؟

الحارس الثاني : (يذهب لرؤية بارومتر إلى جوار الحائط) جميل معتدل.

جورج : درجة الحرارة؟

الحارس الأول : (يـذهـب لـرؤية تـرمـومتر معلقـا على الحائط) عشرون درجة.

جورج : يالعصاري الربيع الجميلـة! سماء صافية وشمس تلهب زجاج النوافـذ، جموع هادئة في ثياب فاتحة تصعـد وتهبط الشانـزليزيه، وضوء الليـل يلطف الوجـوه. حسن! إني راض بمعرفة ذلك. (يتثاءب) جدول الأعمال.

الحارس الأول : (يـراجع قـائمـة) الخامسة وأربعين دقيقـة مـوعدك مـع سيبيلو لذكرياتك.

جورج : وبعد؟

الحارس الأول : السادسة والنصف صحفية من جريدة الفيجارو.

جورج : سوف تفتشها في دقة. المرء لا يدري. وبعد؟

الحارس الأول : سهرة راقصة.

جورج : عند من؟

الحارس الأول : عند مدام بونومي.

جورج : أو تقيم سهرة هذه المرأة؟

الحارس الأول : لكي تحتفل بانسحاب منافسها بيردريير Perdiére من الانتخابات.

جورج : سأحتفل بذلك. إنه من صنعي. اختفيا.

(يخرجان، فيغلق الباب ويتثاءب).

المشهد الثالث

جورج بمفرده

جورج : (يقترب من المرآة، ينظر إلى نفسه، ويخرج لسانه) نوم مضطرب، لسان مثقل، نقص في الشهية. حفلات رسمية كثيرة جدا ـ ثم أني لم أعد أخرج إلا فيما ندر. (يتثاءب) سحابة من الضيق: هذا أمر طبيعي، فالمرء دائما بمفرده في أوجه السطوة. ياصغار الرجال المكشوفين. إني أرى قلوبكم وأنتم لا ترون قلبي. (تليفون) ألو؟ هو نفسه. سافل! آه! إنه أنت ياسيدي العزيز الذي تعتبرني سافلا. إنها المرة السابعة والثلاثون التي تتصل فيها لإخباري بذلك. أرجو أن تعتقد من الآن أني على علم تام بعواطفك ولاداعي بعد ذلك أن تتعب نفسك و. . . لقد وضع السماعة. (يسير) سافل، خائن للحزب، هذا مايقال بسرعة. من هو السافل؟ لست أنا، جورج دي فاليرا الذي لم يكن شيوعيا قط، ولم يخن أحدا. ولا نيكراسوف الذي عالج في كريميه Crimée دون أن يفكر في شر. إذن فمحدث المجهول يتكلم

ولا يقول شيئـا . (يذهب إلى المرآة) فـلأستعد صور الطفـولة إذن! أوه! مركبة الجليـد الخشبية، الجميلة الملونـة . كان أبي يجلسنـي عليها، في المقـدمـة، الأجـراس الصغيرة، فرقعـة السوط، والجليد . . .

(سيبيلو دخل الحجرة منذ لحظات)

المشهد الرابع

سيبيلو وجورج

سيبيلو : ماذا تفعل هناك؟

جورج : أستعرض مسلسلاتي .

سيبيلو : مسلسلاتك ؟

جورج : إني أكذب على نفسي .

سيبيلو : على نفسك أيضا .

جورج : على نفسي أولا . إني بي ميل كبير للقحة والصـلافة، وليس هناك مفـر من أن أصبـح أنا أول مـن أغرر بـه . سيبيلو إني أموت . إنك تفاجئني وأنا في عز سكرة الموت . .

سيبيلو : ماذا ؟

جورج : إني أقتل فاليرا لكي يولد نيكراسوف .

سيبيلو : لست نيكراسوف .

جورج : إني نيكراسوف من الرأس حتـى القدمين، من الرشد إلى الطفولة .

سيبيلو : إنك محتـال بائس مـن الرأس حتـى القدمين، يجري إلى حتفه وسيجرني إلى الهلاك إذا أنا لم أحسن التصرف .

جورج : لا فائدة! (ينظر إليه) إنك تعد لنا على مهل خطة شريفة حمقاء ستضيعنا. حسن، تكلم! ماذا تريد أن تفعل؟

سيبيلو : نبلغ عن أنفسنا!

جورج : أيها الأبله، كل شيء كان يسير على خير مايرام.

سيبيلو : لقد اتخذت قراري منذ قليل وأتيت لإبلاغك الأمر قبل وقوعه: غداً صباحا في الحادية عشرة سألقي بنفسي عند قدمي جول واعترف بكل شيء: لديك سبع عشرة ساعة لكي تدبر قرارك.

جورج : أنت مجنون! بيردريير ينسحب من الانتخابات، وسوار آباري ضاعفت طبعتها، وأنت تكسب مائتين وعشرة آلاف فرنك في الشهر وتريد أن تبلغ عن نفسك.

سيبيلو : نعم.

جورج : فكر فيّ أيها التعس! إن لي السلطة العليا، وأنا الموجه الخفي في حلف الأطلنطي، وأمسك بالحرب والسلم في قبضتي، واكتب التاريخ. سيبيلو، أنا أكتب التاريخ وتختار أنت تلك اللحظة لتلقي تحت قدمي بقشر الموز، أتعرف أني كنت أحلم بتلك اللحظة طيلة حياتي، لتستفيد إذن من سطوتي، ستكون لي بمثابة فاوست، أتريد المال؟ الجمال؟ الشباب؟.

سيبيلو : (يهز كتفيه) الشباب...

جورج : ولم لا؟ إنها مسألة نقود. (يتحرك سيبيلو نحو الخارج) إلى أين أنت ذاهب؟

سيبيلو : أبلغ عن نفسي.

جورج : ستبلـغ عـن نفسك، لا تخف، ستبلـغ عـن نفسـك. ولكن لا شيء يـدعو إلى العجلة. لـدينا وقـت للكلام. (يعيد سيبيلـو إلى وسط الحجـرة) إنك ميـت من الخوف ياصديقي. ماذا حدث؟

سيبيلو : إن موتـون سوف يقبض عليـك، وبالتالي عليّ أنـا. لقد ضم إليه ديميدوف Demidoff، وهو كرافشنكو حقيقي هـذا المخلوق، اعترفـت بـه وكالـة تـاس، وهو يبحـث عنك. وإذا وجدوك ـ وسـوف يجدونك حتما - سيفضح ديميدوف احتيالك، وسنضيع.

جورج : لاشيء غير هـذا؟ ليأتـوا إلي بديميـدوف، وسـأتولى أنـا أمره. إني ممسك بهم جميعا، رجال الصناعة، وأصحاب البنوك. قضـاة ووزراء، مستعمرين أمـريكان، ولاجئين سوفييت، وأجعلهـم يرقصون. أهذا كل شيء؟

سيبيلو : أوه! كلا. ماهو أشد نكراً.

جورج : مرحى. سألهو.

سيبيلو : هناك أن «نيكراسوف» أذاع تصريحاً في الراديو.

جورج : أنا؟ أقسم لك أنني لم أصرح بشيء.

سيبيلو : المسألة لا تتعلق بك: لقد قلت «نيكراسوف».

جورج : «نيكراسوف» هو أنا.

سيبيلو : إني أتحدث عن «نيكراسوف» كريميه.

جورج : وما دخلك أنت في ذلك؟ إنـك فرنسي ياسيبيلو، تكلم عما يدور أمام بابك ولا تشغل نفسك بما يدور في كريميه.

سيبيلو : إنه يدعي أنه قد شفي وأنه سيعود إلى موسكو قرب نهاية هذا الأسبوع.

جورج : وبعد؟.

سيبيلو : وبعد! لقد ضعنا!.

جورج : ضعنا؟ لأن بلشفيا أذاع مهاترات في الميكروفون! أنت ياسيبيلو، أنت بطل الدعاية المعادية للشيوعية. تثق بأولئك الناس؟ إنك تخيب ظني فيك.

سيبيلو : سيخيب ظنك أقل من ذلك يوم الجمعة حينما يرى كل السفراء والصحفيين الأجانب المدعوين إلى أوبرا موسكو «نيكراسوف» شخصيا في لوج الحكومة.

جورج : آه! لأن يوم الجمعة..

سيبيلو : نعم!

جورج : هل أعلن ذلك؟

سيبيلو : نعم!

جورج : حسن! سيرون شبيهي. لأني لي شبيها هناك، كبقية الوزراء. نحن نخاف بشدة الاغتيالات لذلك يمثلنا آخرين يشبهوننا في الحفلات الرسمية. إليك هذه الفكرة، لتكتب هذا إذن لينشر غدا. انتظر: لابد من إضافة مسحة الحقيقة المسلية، إن مخترع الأقصوصة التي لايخترعها الناس. هاهي ذي: كان بديلي يشبهني إلى حد كان يصعب معه على المرء أن يفرق بيننا على بعد عشرة خطوات. وللأسف الشديد حينما أتوا به إلي تبينت أن إحدى عينيه كانت من الزجاج. تصور حيرتي وارتباكي! وقد تحتم علي أن أذيع على الملأ أن مرضا لاشفاء منه قد أتى على عيني اليمنى. ذلك هو أصل هذه العصابة. ستجعل العنوان «نيكراسوف يضع عصابة علي عينيه لأن شبيهه كان أعوراً» هل أخذت مذكرة بذلك؟.

سيبيلو : وما الفائدة؟

جورج : (بسطوة) اكتب. (سيبيلو يهز كتفيه، يخرج قلمه ويكتب بعض الملحوظات) وستختتم مقالك بهذا التحدي: حينما يدخل المدعي «نيكراسوف» في الحكومة، فليرفع العصابة عن عينه إذا تجرأ. وسأرفع عصابتي أنا الآخر في نفس الساعة أمام أطباء عيون: وسيرون جميعا أن لي عينين في حالة طيبة. أما الآخر، فإذا لم يكن له غير عين واحدة، فسيكون عندنا الدليل القاطع أن هذا الرجل ليس أنا. هل تكتب؟

سيبيلو : اكتب ولكن هذا لن يجدي.

جورج : لماذا؟

سيبيلو : لأنني أريد أن أبلغ عن نفسي ! إني شريف، أتفهم، شريف، شريف! شريف! .

جورج : ومن قال لك عكس ذلك؟

سيبيلو : أنا.. أنا.. أنا..

جورج : أنت؟

سيبيلو : أنا الذي أردد على مسامعي كل يوم مائة مرة أني رجل غير شريف! إني أكذب ياجورج، إني أكذب كما أتنفس. أكذب على قرائي، على ابنتي، على رئيسي!

جورج : ألم تكن تكذب إذن قبل أن تعرفني؟

سيبيلو : حتى لو كنت أكذب فقد كنت أحظى بموافقة رؤسائي. كنت أصنع أكاذيب منظمة، مدفوعة، أكاذيب ذات قيمة إخبارية عظيمة، أكاذيب للصالح العام.

جورج : وأكاذيبك الحاضرة، ألم تعد للصالح العام؟ إنها نفس الأكاذيب كما ترى؟

سيبيلو : أي نعم نفس الأكاذيب، ولكني أصنعها دون ضمان من الحكومة. ليس هناك غيري على الأرض يعلم من أنت، وهذا ما يخيفني. ليست جريمتي هي أني أكذب، ولكن أن أكذب بمفردي . . .

جورج : حسن، تفضل! ماذا تنتظر؟ أسرع وبلغ عن نفسك! (سيبيلو يتحرك خطوة) سؤال بسيط، سؤال واحد، وأطلق سراحك. ماذا ستقول لجول؟

سيبيلو : كل شيء!

جورج : أي شيء؟

سيبيلو : أنت تعلم ذلك جيدا.

جورج : بشرفي لا أعلم.

سيبيلو : حسن! سأقول له إني كذبت وأنك لست حقا «نيكراسوف».

جورج : لا أفهم.

سيبيلو : مع ذلك الأمر واضح.

جورج : ماذا تعني «حقا»؟ (سيبيلو يرفع كتفيه) هل أنت حقا سيبيلو؟

سيبيلو : نعم، أنا سيبيلو، نعم أنا رب العائلة التعس الحظ الذي أفسدته، أيها البائس، والذي رغم شعره الأبيض، سيدنس سمعته.

جورج : أثبت ذلك.

سيبيلو : لدي أوراق .

جورج : وأنا يضا .

سيبيلو : أوراقي حقيقية .

جورج : وأوراقي أيضا. أتريد رؤية تصريـح الإقامة الذي أعطاه لي قسم الشرطة؟

سيبيلو : لا قيمة له .

جورج : لماذا من فضلك؟

سيبيلو : لأنك لست نيكراسوف .

جورج : وأوراقك أنت صحيحة؟

سيبيلو : نعم .

جورج : لماذا؟

سيبيلو : لأني «سيبيلو»

جورج : أرأيت : ليست الأوراق هي التي تثبت الشخصية .

سيبيلو : نعم، ليست الأوراق هي التي تثبت ذلك .

جورج : إذن؟ أثبت لي أنك سيبيلو.

سيبيلو : كل الناس ستقول ذلك .

جورج : كل الناس، تعني كم شخصا؟

سيبيلو : مائة، مائتان، لست أدري، ألف . . .

جورج : ألف شخـص يعتبرونك سيبيلو، تـريدني أن أصـدقهم على الفور، وأنـت ترفض شهـادة اثنين مليون مـن القراء يعتبرونني «نيكراسوف»؟

سيبيلو : لا يقاس هذا بذلك.

جورج : أتريد إسكات هذا الصوت المدوي الذي يجعل مني بطل الحرية، بطل الغرب؟ هل تفضل اعتقادك الفردي على التأييد الجماعي الذي يحمي المواطنين الطيبين؟ إنه أنت الذي لم تقم حتى دليلا قاطعا على صدق شخصيتك، إنه أنت الذي سوف تدفع بمليونين من الرجال إلى اليأس. تشجع: ولتحطم رئيسك! بل افعل خيرا من ذلك ولتحرض على إسقاط الوزارة. إني أعرف من الذي سيضحك مرتاحا لذلك.

سيبيلو : من إذن؟

جورج : الشيوعيون طبعا أيها الأبله! هل تعمل من أجلهم؟

سيبيلو : (قلق) أوه! جورج!

جورج : آه! لن تكون أول من يدفعون له لكي يوهنوا من عزيمة الرأي العام!

سيبيلو : أقسم لك...

جورج : كيف تريدني أن أصدقك، وأنت الذي اعترفت لي منذ قليل بدناءتك العميقة؟

سيبيلو : (في جنون) لابد أن تصدقني، إني رجل شريف غير صادق مع نفسي، ولكني لست رجلا بلاشرف!

جورج : ليكن.. ولكن، ولكن.. هو! هو! ماذا جرى لك؟ ياصديقي التعس، هل استطيع إخراجك من هذه الورطة؟

سيبيلو : ماذا هناك أيضا؟

جورج : كيـف أفهمك؟ آه: لتضـع جـانبـا أربعين مليونـا مـن الفـرنسيين، المعـاصريـن لنـا، على ثقـة مـن الحيـاة في منتصـف القرن العشريـن، وفي الجانـب الآخر، مخلـوق واحد يعلن مكابراً وفي عناد أنه الامبراطـور شارل ـ كان ـ Charles - Quini. بماذا تسميه هذا الرجل؟

سيبيلو : مجنون.

جورج : وهذا بالضبـط حالك، أنت الذي تدعـي إنكار حقائق متفق عليها من الجميع.

سيبيلو : جورج!

جورج : أو تدري ماذا سيفعل بك جـول حينما يرى أقدم موظفيه يركـع على ركبتيه أمـامه ويتـوسل إليـه أن يئد جـريدتـه بيديه؟

سيبيلو : سيطردني!

جورج : كلا على الإطلاق، سوف يأمر بحبسك.

سيبيلو : (مذعورا) أوه!

جورج : خذ، اقـرأ هذا التلغـراف، إنه مـن ماكـراثي يعـرض عليّ العمل كشـاهد إثبـات دائم. وهذه تهاني فـرانكو، وتهاني شركة الفواكه، وكلمة ود من ايدنهاور، وخطاب بخط اليد من الشيخ الأمريكـي بورجـود Borgaud. لقد رفـع ما أفشيته من أسرار أسعار بورصة نيويورك، وفي كل مكان ارتفـاع هائل في سـوق الصناعـات الحربيـة، إن مصالـح ضخمـة في خطر، و«نيكـراسـوف» لم يعـد أنا فقـط: لقـد أصبح اسما «نوعيـا» للفوائد التي يحصل عليهـا المساهمون في مصانـع الأسلحة. وهـذه هي الموضوعيـة، ياصـديقي

العجوز، هـذا هو الواقع! مـا الذي تستطيعه ضـد ذلك؟ لقد دفعـت الآلة إلى التحرك: هـذا حق. ولكنـك سوف تسحـق إذا ما حـاولـت إيقافهـا. إلى اللقـاء يـاصديقـي المسكين. كنت أحبك. (سيبيلو لا يتحرك) ماذا تنتظر؟

سيبيلو : (في صوت مختنق) أو يمكن شفائي؟

جورج : من جنونك؟

سيبيلو : نعم.

جورج : أخشى أن يكون الوقت متأخراً.

سيبيلو : ولكن لـو أنك تعالجنـي ياجورج، لـو كنت حقا تـريد معالجتي.

جورج : إيه! لسـت طبيبا نفسيـا (فترة) الحق إن مثل هـذا الأمر يتطلب على الأحرى تربية جـديدة. هل تحب أن أربيك من جديد؟

سيبيلو : إذا سمحت!

جورج : لنبدأ، اتخذ هيئة الشرف.

سيبيلو : لا أعرف كيف اتخذها.

جورج : استرح جيـدا على هــذا المقعـد، وضـع قــدميـك على الحشية. ثـم ضع هـذه الوردة في عـروتك، وتنـاول هذا السيجار. (يقدم له مرآة).

سيبيلو : (ينظر إلى نفسه) إيه!

جورج : أو تشعر بنفسك أكثر شرفا الآن؟

سيبيلو : ربما أكثر قليلا.

جورج : حسن. دع معتقـداتك الشخصية جـانبا وقـل لنفسك

دائما إنها كـاذبـة طـالما أن أحـدا لا يشـاركـك فيهـا . فهـي تعـزلـك عـن النـاس والآن لتنضـم إلى القطيـع . ولتـذكـر أنـك فـرنسي طيـب . انظـر إلي بعيـون الفـرنسيين العـديـدة التـي تقرأنا ، من ترى؟

سيبيلو : «نيكراسوف» !

جورج : الآن سأخـرج ثم أعود . ضـع نفسك في حالـة صدق . إخلاصي جماعـي طبعا . وحينما أدفع البـاب ستقول لي : «بـونجـور نيكيتـا . . . » (يخرج . سيبيلـو يستريـح في مقعده ، يشرب ويدخن . يدخل جورج) .

سيبيلو : بونجور، نيكيتا .

جورج : بونجور سيبيلو .

سيبيلو : هل أحسنت القول؟

جورج : ليس سيئا للغاية . (يلف حول مقعد سيبيلو، ثم ينحني عليه فجأة ويضع يديه على عينيه) كوكو!

سيبيلو : دعني في هدوء . . . نيكيتا !

جورج : إنك في تقدم مستمر. انهض . (ينهض سيبيلو وظهره إلى جورج الذي يزغزغـه) (يتلوى ويضحك رغماً عنه) كفى إذن . . ! نيكيتا . . !

جورج : سوف تشفى ! (فترة) هذا يكفي اليوم : لنعمل ! الفصل الثامن : لقاء مفجع مع ستالين . (جرس التليفون يدق)

جورج : (يرفـع السماعة) آلـو، نعم؟ مـدام كاستـانييه؟ انتظـر. (لسيبيلو) إنه اسم يذكرني بشيء ما .

سيبيلو : إنها كاتبة على الآلة في سوار آباري .

جورج : آه ! واحـدة من السبعـة الذيـن كانـوا يريـدون طردهـم ورفعت أنا أجورهم؟ ماذا تريد مني؟

سيبيلو : لعل جول هو الذي أرسلها !

جورج : (في السماعة) لتصعد. (يضع السماعة ويعود إلى سيبيلو) لقاء مفجع مع ستالين. وعنوان فرعي: «هربت من الكرملين في مقعد يحمله رجلان!.

سيبيلو : نيكيتا! هل هذا ممكن؟

جورج : وبشكل طبيعي للغاية. طاردوني فالتجأت إلى صالة في متحف مكدسة بالعربات. وفي أحد الأركان رأيت مقعدا يحمل...

أحد الحراس : مدام كاستانييه.

جورج : دعها تدخل. وعلى الخصوص لا تخيفوها بمسدساتكم.

المشهد الخامس

جورج، سيبيلو، مدام كاستانييه

سيبيلو : (متجها نحوها) عمت صباحا مدام كاستانييه.

مدام كاستانييه : صباح الخير ياسيد سيبيلو. لم أكن أظن أني ألقاك هنا. (مشيرة إلى جورج) إنه هو «نيكراسوف»؟

سيبيلو : نعم. صديقنا العزيز نيكيتا.

جورج : تحياتي ياسيدتي.

م. كاستانييه : أريد أن أعرف لماذا عملت على رفتي؟

جورج : ماذا؟

سيبيلو : رفتوكي؟

م. كاستانييه : (لجورج) أنت تعرف ذلك جيداً ياسيدي! لا تتظاهر بالدهشة.

جورج : أقسم لك أن...

م. كاستانييه : لقد استدعاني السيد بالوتان منذ قليل. وكان أولئك السادة أعضاء مجلس الإدارة هناك، ولم يكن يبدو عليهم الرضا.

جورج : وبعد؟

م. كاستانييه : وبعد؟ لقد رفتوني.

جورج : ولكن لماذا؟ لأي سبب ؟

م. كاستانييه : حينما أردت أن أعرف السبب، خيل إلي أنهم سينقضون عليّ. وصرخ جميعهم في وجهي: «اسألي «نيكراسوف»! «نيكراسوف» سيقول لك السبب!».

جورج : السفلة! السفلة!

م. كاستانييه : أنا لا أريد تكديرك، ولكن إذا كنت قد قدمت لهم تقارير سيئة عني فأنت أكثر منهم سفالة.

جورج : ولكني لم أقل شيئا! لم أفعل شيئا! أنا حتى لا أعرفك.

م. كاستانييه : لقد قالوا لي أن أتقدم إليك، ومعنى هذا إذن أنك تعرف شيئا.

جورج : النهاية ياسيدتي، هل سبق لك مرة ن رأيتني في حياتك قبل اليوم؟

م. كاستانييه : أبدا.

جورج : أرأيت!

م. كاستانييه : وماذا يثبت ذلك؟ لعلك كنت تريد وظيفتي.

جورج : وماذا أفعل بها؟ هذا مزاح ياسيدتي، مزاح سخيف.

م. كاستانييه : أنا أرملة ولي ابنة مريضة: إذا فقدت وظيفتي فنحن في الشارع. ليس هناك إذن ما يدعو إلى المزاح.

جورج : معك حق. (لسيبيلو) السفلة.

م. كاستانييه : ماذا عندك ضدي؟

جورج : لا شيء! على العكس، ويشهد سيبيلو أنني أردت رفع أجرك.

م. كاستانييه : ترفع أجري؟

جورج : نعم.

م. كاستانييه : أيها الكاذب! لقد كنت تقول منذ لحظة إنك لا تعرفني.

جورج : كنت أعرفك قليلاً. كنت أعرف أن لك خدمات وفية كنت تقومين بها منذ أكثر من عشرين عاماً. . .

م. كاستانييه : أنا أعمل في الجريدة منذ خمس سنوات.

جورج : سأعترف لك بكل شيء. لأسباب سياسية هامة. . .

م. كاستانييه : السياسة، لم أتدخل فيها مطلقا. وكان زوجي المسكين لا يريد أن يسمع كلاما في السياسة. أنا لم أتعلم ياسيدي ولكني لست بلهاء تماما، ولا يخدعني كلامك المنمق هذا.

جورج : (يرفع سماعة التليفون) أعطني سوار آباري. (لمدام كاستانييه) إنه خطأ غير مقصود! خطأ بسيط غير مقصود! (في السماعة) آلو، سوار آباري؟ أريد أن أتحدث إلى المدير. نعم. المتكلم نيكراسوف. (لمدام كاستانييه) سيعيدون إليك عملك، وأنا كفيل بتحقيق ذلك، مع الاعتذارات الكافية.

م. كاستانييه : لست في حاجة إلى اعتذار. أريد أن تعاد إليّ وظيفتي.

جورج : آلو؟ ليس في مكتبه؟ ولكنه في الدار؟ أين؟ حسن. قل له أن يطلبني بسرعة حالما يعود. (يضع السماعة) كل شيء سيسوى ياسيدتي، كل شيء سيسوى. وفي انتظار ذلك أتسمحي لي. . . (يده في حافظة نقوده).

م. كاستانييه : لا أريد أن يتصدق عليّ أحد.

جورج : فيم تفكرين؟ لا صدقة طبعا، وإنما منحة من صديق...

م. كاستانييه : لست صديقي..

جورج : اليوم كلا، ولكنني سأكون صديقك حينما تعودين إلى عملك من جديد. سترين! سترين! (متذكرا فجأة) أوه! (فترة) والآخرون؟

م. كاستانييه : الآخرون؟

جورج : أتعرفين إن كانوا قد طردوا الآخرين؟

م. كاستانييه : قيل ذلك.

جورج : من؟ كم عددهم؟

م. كاستانييه : لا أعرف. لقد أخلوا طرفي، فحملت أشيائي وخرجت.

جورج : (لسيبيلو) سترى أنهم طردوهم! أولئك المستبدين النكديين الحشرات، كنت أظن أني قد أخفتهم، لتستفيد إذن ياعزيزي سيبيلو استفد من هذا الدرس: الخوف أقل قوة من الحقد. (يتناول قبعة) لابد أن تتوقف هذه المهزلة. تعالي معنا ياسيدتي. أنا أتعدى على الفقراء؟ لو حدث ذلك لكان أول مرة في حياتي. سأقبض على زمارة رقبة جول. (كان جورج قد فتح الباب. يبدو أحد الحراس).

الحارس : كلا.

جورج : كيف كلا؟ أريد الخروج!

الحارس : مستحيل. خطر!

جورج : حسن! سترافقنا.

الحارس : ممنوع.

جورج : وإذا أردت الخروج مع ذلك؟

الحارس : (ضحكة ساخرة قصيرة) ها!

جورج : اذهب عني! لن أخرج (لسيبيلو) اذهب إلى جول مع السيدة وقل له إني لم أعد أهزل. إذا لم يعد الموظفون المفصولون إلى أعمالهم خلال أربع وعشرين ساعة فسأعطي تكملة مذكراتي لجريدة الفيجارو. تفضل. سيدتي، قد أكون أسأت إليك، ولكن ذلك كان ضد إرادتي، وأقسم لك أنهم سيعوضونك عن ذلك. (سيبيلو ومدام كاستانييه يخرجان) ألا تقل إلى اللقاء ياسيبيلو؟

سيبيلو : إلى اللقاء.

جورج : إلى اللقاء يا. . . ؟

سيبيلو : إلى اللقاء يانيكيتا.

جورج : طالما ترى جول، تلفن لي. (بمفرده) طردوا. . . (يبدأ في المسير) آه! ليس هذا خطئي! الحقد ليس من طبيعتي، إني مضطر لاستعمال قوى مرعبة لا أعرفها جيدا. سأكيّف نفسي تبعاً لذلك. . سوف. . . طردوا. . لم يكن لديهم غير أجورهم ليعيشوا ــ وربما عشرون ألف فرنك كانوا قد اقتصدوها. . سوف أغرقهم ذهبا، وسينتظرهم مجلس الإدارة على الباب حاملا أكداسا من الورود.

المشهد السادس

جورج والحارس

الحارس : (يدخل) صحفية من الفيجارو.

جورج : فلتدخل. انتظر: هل هي جميلة؟

الحارس : ليست دميمة.

(يذهب جورج إلى المرآة، يضع العصابة السوداء على عينه ويتأمل نفسه لحظة، ثم يرفعها ويضعها في جيبه).

جورج : أدخلها

(تدخل فيرونيك)

المشهد السابع

جورج وفيرونيك

جورج : (يلمح فيرونيك) ها! (يرفع يديه في الهواء).

فيرونيك : أرى أنك قد عرفتني.

جورج : (يخفض يديه) نعم. تعملين في جريدة الفيجارو والآن؟

فيرونيك : نعم.

جورج : كنت أحسبك شيوعية.

فيرونيك : المرء يتغير. أين «نيكراسوف»؟

جورج : لقد.. لقد خرج.

فيرونيك : سأنتظره. (تجلس) وأنت تنتظره أيضا؟

جورج : أنا؟ كلا.

فيرونيك : ماذا تفعل هنا؟

جورج : أوه! تعلمين أني لا أفعل شيئاً ذا بال أبداً. (فترة. ينهض) بدأت اعتقد أن «نيكراسوف» لن يعود من سهرته. تفعلين خيراً لو عدت غداً.

فيرونيك : وهو كذلك. (يبدو على جورج الارتياح. تخرج فيرونيك دفتراً من حقيبتها) ولكن، أثناء جلوسي معك، ستقول لي ما تعرفه عنه.

جورج : لا أعرف شيئا بالمرة.

فيرونيك : هيا إذن؟ لكي يتركك حارساه تحتل صالونه في غيبته، لابد أن تكون من أصفيائه.

جورج : (مرتبكا) من أصفيائه؟ طبعاً، هذا. . . هذا منطقي. (فترة) أنا ابن خالته.

فيرونيك : آه! آه!

جورج : لقد بقيت خالتي في روسيا و«نيكراسوف» هو ابنها. وفي صباح أحد الأيام وجدت جريدة على مقعد في الطريق فالتقطتها وعلمت منها أن ابن خالتي قد وصل منذ قليل. . .

فيرونيك : واستطعت الاتصال به، وتحدثت معه عن العائلة وفتح لك ذراعيه. . .

جورج : واتخذني سكرتيرا له.

فيرونيك : سكرتير؟ هاها!

جورج : مهلا! إنني سكرتيره هكذا: قبل مرور أسبوعين سوف أرحل بما أقتصده من مال.

فيرونيك : وفي انتظار ذلك تساعده في أعماله القذرة.

جورج : أعماله القذرة؟ يافتاتي الصغيرة أنت لست في جريدة الفيجارو!

فيرونيك : أنا؟ طبعا لا !

جورج : أتكذبين مرة أخرى؟

فيرونيك : نعم.

جورج : أهي جريدتك التقدمية التي أرسلتك؟

فيرونيك : كلا. لقد أتيت من تلقاء نفسي. (صمت) إذن؟ حدثني عنه. ماذا يفعل حين تكونان معاً؟

جورج : يشرب.

فيرونيك : وماذا يقول؟

جورج : يصمت.

فيرونيك : أهذا كل شيء؟

جورج : هذا كل شيء.

فيرونيك : ألا يتحدث مطلقا عن زوجته؟ عن أولاده الثلاثة الذين تركهم هناك؟

جورج : دعيني في سلام! (فترة) لقد أولاني ثقته ولا أريد خيانته.

فيرونيك : لا تريد خيانته وستحتال عليه.

جورج : سوف أحتال عليه، ولكن هذا لا يمنع العواطف. لقد كنت أحس دائما بعاطفة نحو ضحاياي، إنها المهنة التي تتطلب ذلك. كيف أحتال على أحد دون أن أعجبه وكيف أعجبه إن لم يكن هو يعجبني؟ كل أعمالي بدأت بإعجاب متبادل.

فيرونيك : وهل أعجبك «نيكراسوف» لأول وهلة؟

جورج : إلى حد ما. إنها شعرة إحساس.

فيرونيك : لهذه القمامة؟

جورج : إني أمنعك.

فيرونيك : أنت تدافع عنه.

جورج : أنا لا أدافع عنه، ولكن صدمتني بالكلمة التي تفوهت بها.

فيرونيك : ألا تعتبره قمامة؟

جورج : ربما هو كذلك حقاً. ولكن ليس لك الحق في اتهام رجل لا تعرفينه.

فيرونيك : إني أعرفه جيدا.

جورج : تعرفينه؟

فيرونيك : (في هدوء) طبعا، لأنه أنت.

جورج : (مرددا دون أن يفهم) نعم: لأنه أنا. (يقفز على قدميه) ليس أنا! ليس أنا! ليس أنا! (تنظر إليه مبتسمة) من أين علمت ذلك؟

فيرونيك : والدي..

جورج : أخبرك إذا.

فيرونيك : كلا.

جورج : إذن؟

فيرونيك : إنه ككل المتخصصين في الكذب العلني، لا يعرف كيف يكذب في بيته.

جورج : إنه والدك معتوه! (يذرع الحجرة سيراً) هيا! أريد أن أرضيك وأفرض للحظة أني «نيكراسوف».

فيرونيك : شكراً.

جورج : ماذا عساك فاعلة لو كنت أنا «نيكراسوف»؟ تسلمينني للشرطة؟

فيرونيك : وهل سلمتك لهم في تلك الليلة الماضية؟

جورج : هل تنشرين اسمي الحقيقي في جريدتك؟

فيرونيك : لو أني فعلت ذلك الآن لعد عملا أخرقا مني. تنقصنا براهين ولن يصدقنا أحد.

جورج : (وقد اطمأن) أي أني باختصار قد أعجزت خصومي؟

فيرونيك : في الوقت الحاضر، نعم، نحن عاجزون.

جورج : (ضاحكا) يسار، يمين، وسط: إني أمسك بكم جميعاً في قبضتي. عليك أن تموتي من الغيظ ياطفلتي الجميلة! سربسر: «نيكراسوف» هو فعلا أنا. تذكري المتشرد البائس الذي استضفتيه في حجرتك؟ أي طريق قطعه منذ ذلك الحين! أية وثبة هائلة! (يتوقف وينظر إليها) في النهاية، ماذا أتيت تفعلين هنا؟

فيرونيك : أتيت لأقول لك إنك قذر.

جورج : دعك من الجرح بالكلام فإني مسلح: كل صباح تصفني جريدة الأومانيتيه بفأر لزج.

فيرونيك : هذا خطأ.

جورج : أحب أن أسمعك تقولين ذلك.

فيرونيك : أنت لست فأراً لزجاً: أنت قذارة... قمامة!

جورج : آه إنك تزعجينني! (يبتعد بضع خطوات ثم يعود إليها) موظف سوفيتي كبير يأتي إلى باريس خصيصا لكي يعطي أسلحة لأعداء وطنه وحزبه، أتفق معك على كونه قمامة، وحتى ـ وأنا أذهب أبعد منك ـ إنه مقلب قاذورات. ولكن أنا لم أكن في يوم ما وزيراً ولا عضواً في

الحزب الشيوعي . كان عمري ستة شهور حين تركت الاتحاد السوفيتي ، وكان والدي روسيا أبيض . أنا لا أدين بشيء لأحد . حينما عرفتني كنت محتالا نابغاً ووحيداً ، أين أعمالي ؟ حسن ! وأنا كذلك دائما : بالأمس كنت أبيع عمارات زائفة ، وسندات زائفة ، واليوم أبيع أسرارا زائفة عن روسيا . ، أين هو الفارق؟ (لاتجيب) النهاية ، أنت لا تحبين الأغنياء بنوع خاص : هل هي جريمة شنعاء أن نخدعهم؟

فيرونيك : أتظن حقاً أنك تخدع الأغنياء؟

جورج : من الذي يدفع فواتير الخياط أو الفندق؟ من الذي دفع ثمن سيارتي الجكوار؟

فيرونيك : ولماذا يدفعون؟

جورج : لأني أبيع لهم أكاذيبي .

فيرونيك : ولم يشترون منك هذه المذكرات الكاذبة ؟

جورج : لأنهم . . . ولكن هذا يعنيهم ، ولا علم لي به .

فيرونيك : إنهم يشترونها منك لكي يبيعونها للفقراء .

جورج : الفقراء! من الذي يفكر في الفقراء؟

فيرونيك : قراء سوار آباري ، هل تعتبرهم أصحاب ملايين؟ (تخرج جريدة من حقيبتها) «نيكراسوف يعلن : العامل الروسي أشقى أبناء الأرض» هل قلت ذلك؟

جورج : نعم . أمس .

فيرونيك : لمن قلته؟ للفقراء أم للأغنياء؟

جورج : وهل أدري؟ لكل الناس . للاأحد . هذا مزاح لا خطر منه .

فيرونيك : هنا، نعم. وسط الورود. على كل حال، ليس بين نزلاء جورج الخامس أحد رأى في حياته عمالا قط. ولكن أو تدري ماذا يعني هذا في بيلا نكور؟

جورج : أنا . . .

فيرونيك : لا تجرح الرأسمالية وإلا وقعت في البربرية. العالم البرجوازي له مساوئه ولكنه أفضل عالم ممكن. بؤس ببؤس حاول أن توقف حياتك معه. ولتكن مقتنعا أنك لن ترى نهايته أبدا، ولتشكر السماء أنك لم تولد في الاتحاد السوفيتي».

جورج : لا تقولي لي أنهم يعتقدون ذلك: ليسوا حمقى إلى هذا الحد.

فيرونيك : لحسن الحظ: وإلا لما كان أمامهم سوى أن يسرفوا في الشراب حتى الموت، أو ينتحروا بالغاز، ولكن، إذا لم يوجد غير واحد في الأرض يبتلع كلامك المنمق لصرت بذلك قاتلا. لقد أوقعوك ياعزيزي المسكين جورج!.

جورج : أنا؟

فيرونيك : تباً لك. كنت تظن أنك تسرق المال من الأغنياء، ولكنك تكسبه. بأية كبرياء رفضت في تلك الليلة الوظيفة التي عرضتها عليك: «أنا، أعمل!» حسن! إن لك رؤساء الآن وهم يجعلونك تعمل في كد.

جورج : هذا غير صحيح!

فيرونيك : هيا، هيا، تعلم جيدا أنهم يدفعون أجرا لكي تنشر اليأس بين الفقراء.

جورج : اسمعي . . .

فيرونيك : (مسترسلة) لقد كنت محتالا بريئا من غير قسوة، نصف تاجر لا شرف له، نصف شاعر. أو تدري ماذا فعلوا بك؟ لقد لوثوك بالبراز. فإما أن تحترك نفسك وإما أن تتحول إلى شرير.

جورج : السفلة! (من بين أسنانه).

فيرونيك : من الذي يسيطر على الموقف هذه المرة؟

جورج : الموقف؟

فيرونيك : نعم.

جورج : إيه (يتمالك نفسه) إنه أنا. دائما أنا.

فيرونيك : إذن فقد نويت أن تنشر اليأس بين الفقراء ولن تتراجع.

جورج : كلا.

فيرونيك : إذن فهم الذين يوجهونك؟

جورج : لا يستطيع أحد أن يوجهني: لا أحد في العالم.

فيرونيك : لابد على أية حال من الاختيار: أنت مخدوع أو مجرم.

جورج : سيتم الاختيار سريعا: تحيا الجريمة.

فيرونيك : جورج!

جورج : أنا أنشر اليأس بين الفقراء؟ وبعد؟ كل إنسان لنفسه. لا عليهم سوى أن يدافعوا عن أنفسهم! أنا أفتري على الاتحاد السوفيتي؟ هذا عن عمد: أريد تحطيم الشيوعية في الغرب. أما عن عملك، سواء كانوا من بيلانكور أو من موسكو، فأنا . . .

فيرونيك : أرأيت ياجورج، أرأيت كيف بدأت تصبح شريراً.

جورج : طيب أو شرير، ماذا يعنيني! الخير والشر، أتحمله كله على عاتقي: أنا مسئول عن كل شيء.

فيرونيك : (تريه مقالا في جريدة سواء آباري) حتى عن هذا المقال؟

جورج : طبعا. وما هو موضوع هذا المقال؟ (يقرأ) «مسيو نيكراسوف» يصرح أنه يعرف روبير ديفال وشارل مايستر حق المعرفة» لم أقل أبدا شيئا من هذا القبيل.

فيرونيك : شككت في الأمر، ولهذا السبب نفسه أتيت لمقابلتك.

جورج : روبير ديفال؟ شارل ماستر؟ لم أسمع بهذه الأسماء قط.

فيرونيك : إنهما صحفيان من عندنا، كتبا ضد تسليح ألمانيا.

جورج : وبعد؟

فيرونيك : يريدونك أن تقول إن الاتحاد السوفيتي دفع لهما مالاً.

جورج : وإذا قلت ذلك ؟

فيرونيك : يقدمان أمام المحكمة العسكرية بتهمة الخيانة العظمى.

جورج : اطمئني. لن ينتزعوا مني كلمة واحدة، هل تصدقينني؟

فيرونيك : أصدقك، ولكن احترس: لم يعودوا يرضون بأكاذيبك. لقد بدأوا ينسبون إليك أكاذيب لم تقلها قط.

جورج : أتتحدثين عن هذه الفقرة في الجريدة؟ إنه موظف صغير أصابه بعض الحماس. سآمر بغسل رأسه. سأرى جول بعد قليل وسآمره بنشر تكذيب.

فيرونيك : (دون اقتناع) افعل ما تستطيع.

جورج : أهذا كل مالديك من قول ؟.

فيرونيك : كل ما لدي.

جورج : عمت مساءً.

فيرونيك : عمت مساءً. (ويدها على مقبض الباب) أرجو لك ألا تصبح شريراً بإفراط. (تخرج)

المشهد الثامن

جورج بمفرده

جورج : هذه الصغيرة لا تفهم شيئا في السياسة. إنها مبتدئة. (مخاطبا الباب) أو كنت تظنين سوف أقع في حبائلك؟ أنا أفعل دائما نقيض مايتنظره الناس مني. (يقطع الحجرة ويذهب لإحضار رداء السهرة) لننشر اليأس في بيلا نكور! سوف أجد شعارات رهيبة! (يأتي بقميص وياقة. يدندن) لننشر اليأس في بيلا نكور! لتنشر اليأس في بيلا نكور! جرس التليفون يرن. يتناول السماعة) أهو أنت ياسيبيلو؟ إذن؟ هيه؟.. أوه؟.. هذا غير ممكن... هل رأيت جول شخصيا؟.. ألم تقل له أن يلح في طلبي.. أيها الأبله! لابد أنك لم تعرف التحدث معه! إنك ترتعد أمامه وكان لابد من إحراجه! سيذهب إلى الأم بونومي هذا المساء؟ حسن، سأتحدث إليه أنا. (يعيد السماعة) يرفضون لي طلباً، أنا؟ (يتهاوى على مقعد في إعياء قصير) إني غارق في السياسة! غارق في السياسة! (ينهض فجأة) يبحثون عني! يبحثون عني! حسن! إني أحس أنهم سيجدونني! إني أقبل اختبار قوتي. بل إني شديد الرضا، إنها فرصة لتأكيد سطوتي. (ضاحكا) سأجعلهم يختبئون تحت الأرض. (تليفون. يتناول السماعة) آلو! أهو أنت من جديد.. معذرة، ولكن من أنت؟ آه! عظيم! لقد كنت أفكر فيك الآن. سافل؟ نعم ياسيدي العزيز؟، آخر السفلة. وأقول خيراً من ذلك: قمامة. أنا آمر بطرد موظفين صغار، وأسلم صحفيين للبوليس، وأنشر اليأس بين الفقراء، وليست

تلك سوى البداية. إن ما سأكشف عنه في مذكراتي القادمة سيدفع الناس إلى الانتحار تباعا. أنت طبعا رجل شريف. وأنا أرى ذلك من هنا. ثيابك بليت تركب المترو أربع مرات يومياً، وتستشعر الفقر. ذلك أن الكفاءة لا تجازي! أما أنا فلدي المال والمجد والنساء. إذا التقيت بي وأنا في سيارتي/ الجكوار فاحترس: إني أتعمد السير إلى جوار الأرصفة لألوث الناس الشرفاء. (يعيد سماعة التليفون) هذه المرة أنا الذي أعدت السماعة أولا. (يضحك) معها حق الفتاة الصغيرة، وسأصبح شريرا. (يقذف سلال الورد بقدمه ويقلبها الواحدة تلو الأخرى) شريراً! شريراً! شريراً جداً!

(ستار)

المنظر السادس

ديكورصالون صغير ملحق بصالـون كبير، ويستعمل كبوفيه. على اليسار نافـذة نصف مفتوحة تطـل على الليل. في المؤخرة بـاب بمصراعين يفتح على الصالـون الكبير. بين الباب والنـافذة وضعت منـاضد كبيرة مغطـاة بمفارش بيضاء، عليها أطباق مـن «البتي فور»، و«الساندوتشات». ومـن خلال باب المؤخرة نرى المدعوين، وفي الصالـون الكبير جمع كبير. بعضهم يمر أمام باب الصالون الصغير دون أن يـدخلوه، والبعض الآخر يدخلون ويتنـاولون بعض المأكولات والمشروبات من البوفيه. إلى اليمين بـاب مغلق. وهناك بعض قطع الموبيليا، فـوتيلات ومنـاضد، ولكن قليلـة جداً، فقـد أفسحوا المكـان حتى يستطيع المدعوون التحرك في يسر.

المشهد الأول

مدام بونومي، بودوان، شابوي، مجموعات من المدعوين.

بودوان : (يستوقف مدام بونومي ويقدم لها شابوي) شابوي.

شابوي : (يقدم بودوان) بودوان.

(يخرج بـودوان وشابـوي بطـاقتيهما ويقـدمانها في نفـس الوقت)

بودوان وشابوي : مفتشا الدفاع الوطني.

بودوان : مكلفين خصيصاً من الرئاسة . . .

شابوي : لحراسة نيكراسوف.

بودوان : هل وصل؟

م. بونومي : لم يصل بعد.

بودوان : مكلفان بشكل خاص من الرئاسة.

شابوي : ليحرسا نكراسوف.

بودوان : وهل وصل؟

م. بونومي : ليس بعد.

شابوي : ليس من الحكمة أن يدخلوه من الباب الكبير.

بودوان : وإذا سمحت سوف نعطي الأوامر...

شابوي : لكي يدخل من باب الخدم...

بودوان : (مشيرا إلى باب اليمين) الذي يؤدي مباشرة إلى هنا.

م. بونومي : ولماذا هذه الاحتياطات؟

شابوي : (يسر إليها) احتمال وقوع اغتيال ليس مستبعداً.

م. بونومي : (مأخوذة) آه!

بودوان : لا تخافي سيدتي.

شابوي : نحن هنا.

بودوان : نحن هنا.

(يختفيان. يدخل بعض المدعوين من بينهم بيردرير، وجول ونيرسيا)

المشهد الثاني

مدام بونومي ـ بيرد رير ـ جول بالوتان ـ نيرسيا ـ مدعوون ومصورون ـ بيريجور

نيرسيا : (يحيط بيرد رير بذراعه) هاك هو الطفل المعجزة. إني أشرب نخب بيردرير!

الجميع : في صحة بيردرير!

بيردرير : سيداتي سادتي، لقد كنت أبلها والآن أشرب نخب رجل العناية الإلهية الذي أزال الغشاوة عن عيني.

جول : (مبتسماً) شكراً.

بيردريير : (دون أن يسمعه) في صحة نيكراسوف.

الجميع : في صحة نيكراسوف.

جول : (محرجاً . إلى نيرسيا) نيكرا سوف! (يرفع كتفيه) ماذا كان يصبح من غيري؟ (يبتعد)

نيرسيا : (لبيردريير) قل شيئا عن بالوتان.

بيردريير : إني أشرب نخب بالوتان الذي . . . الذي كانت لديه الشجاعة على نشر مذكرات نيكراسوف.

بعض المدعويين : في صحة بالوتان.

جول : (مكررا) الناس لا تعرف قوة الصحافة.

بيردريير : إني أنتهز الفرصة لكي أطلب منكم جميعا العفو عن مكابرتي، وعن عدم رؤيتي السليمة البلهاء، وعن . . . (يأخذ في البكاء فيحيطون به).

م. بونومي : يا عزيزي الطيب بيردريير.

بيردريير : (يحاول التخلص) أريد أن أطلب العفو! أريد أن أطلب العفو. . .

م. بونومي : لننسى الماضي. قبليني. (تقبله هي)

جول : (للمصورين) صورا! (يمر بيريجور وفي يده كأس. يمسكه جول من ذراعه فيسيل على الأرض ما كان بالكأس) أوه! أوه، أوه!

بيريجور : الفكرة يا سيدي الرئيس.

جول : نعم، الفكرة. خذ مذكرة بكل ما أقول. (للجميع) أصدقائي الأعزاء... (يسود الصمت) أنتم، وأنا، وبيردريير: نحن جميعاً هنا من بين الذين سيقتلون بالرصاص، أو تريدون أن نحول هذه السهرة المشهودة إلى لحظة حقيقية للضمير الإنساني؟ لننشيء نادي ق. م «قتلى المستقبل».

الجميع : برافو! ليحيا ق. م.

جول : ومن خلال السهرة سوف ننتخب لجنة مؤقتة لكي تضع اللائحة الداخلية وأنا أرشح نفسي للرئاسة. (تصفيق. لبيريجور) تنشر في الصفحة الأولى غداً مع صورتي. (يدخل موتون) ما هذا؟ موتون؟ (ينضم إلى نيرسيا و. م بونومي) هل رأيت ؟

المشهد الثالث

السابقون، وموتون، وديميدوف.

م. بونومي : أوه!

نيرسيا : من الذي دعاه؟

م. بونومي : ومعه ديميدوف !

نيرسيا : هذا الروسي؟ يا لها من وقاحة!

م. بونومي : يا إلهي! الاغتيال!

نيرسيا : عفواً.

م. بونومي : احتمال وقوع اغتيال ليس مستبعداً.

نيرسيا : ايكونا قد حضرا لكي...

م. بونومي : آه! لست أدري، ولكن عندي اثنين من المفتشين هنا وسأخطرهما.

(أثناء هـذا الحوار كان مـوتون قد قـدم وسط المدعـوين يوجـه لكل واحد منهم ابتسـامة أو يقدم له يـده، ولكن الجميع يديرون ظهرهم له. ينحني أمام م. بونومي).

موتون : مدام...

م. بونومي : لا يا سيدي، لا ! نحن سوف نموت، ونتمنى لك حياة طويلة وليس لك منا سلام!

المدعوون : (وهـم في طـريقهـم إلى الخارج) يحيـا قتلى المستقبـل! (يقصدون موتون) وليسقط قتلة المستقبل! (يخرجون)

المشهد الرابع

موتون، وديميدوف

(يذهب ديميدوف إلى البوفيه ويتناول ما شاء بسعة)

موتون : لقد كان الاستقبال بارداً.

ديميدوف : (وهو يأكل) لم ألحظ

موتون : أنت لا تلاحظ شيئاً أبداً!

ديميدوف : أبداً أنا هنا لكي أفضح النظـام السوفيتي، لا لكي أمعن النظر في عادات الغرب. (يشرب ويأكل)

موتون : إنهم يعتبرونني شيوعياً.

ديميدوف : عجيب !

موتون : كلا، ليس عجيباً، إنه مفجـع ولكن ليس عجيباً: يجب أن تضع نفسك مكانهم. (فجأة) فيودور بتروفتش!

ديميدوف : هيه؟

موتون : تلك القائمة مزيفة، أليس كذلك؟

ديميدوف : أية قائمة؟

موتون : قائمة قتلى المستقبل.

ديميدوف : لا أعرفها.

موتون : (يقفز فزعاً) كيف؟

ديميدوف : سوف أعرفها حينما أرى نيكراسوف.

موتون : من الممكن إذن أن تكون صحيحة؟

ديميدوف : نعم، لو أن نيكراسوف هو حقاً نيكراسوف.

موتون : إذا كان هو كذلك فقد ضعت. (ديميدوف يهز كتفيه) وللأسف! إذا كان الروس يعفون عني، فمعنى هذا أن أخدمهم.

ديميدوف : هذا حق.

موتون : ولكنه سخف! فيدور بتروفتش، أنت لا تستطيع مع ذلك أن تعتقد...

ديميدوف : أنا لا اعتقد شيئاً.

موتون : حياتي تشهد لي. لم أفعل سوى محاربتهم.

ديميدوف : وماذا تعرف عن ذلك؟

موتون : (في إعياء) تفضل! ماذا أعرف عن ذلك؟ لكي أكون صريحاً تماماً أقول أن يداخلني أحياناً شعور بأن هناك من يسيرني. إني أتذكر وقائع مزعجة... (فترة) كان سكرتيري شيوعياً، وحينما تبينت ذلك طردته.

ديميدوف : هل حدثت فضيحة؟

موتون : نعم.

ديميدوف : لقد فعلت لعبتهم.

موتون : أتظن ذلك، أنت أيضاً؟ لم أكن أجرؤ على مصارحة نفسي بذلك (فترة) في أثناء الإضرابات الأخيرة، كنت الوحيد في مهنتي الذي لم يمنح شيئاً للمضربين. والنتيجة: بعد ثلاثة أشهر من ذلك، في الانتخابات النقابية...

ديميدوف : كل الموظفين أعطوا أصواتهم لاتحاد عام العمال C.G.T.

موتون : كيف عرفت ذلك؟

ديميدوف : هذا أمر معروف.

موتون : باختصار، لقد زودتهم بجنود جدد. (ديميدوف يؤمن على كلامه) وا أسفاه! (فترة) فيودور بتروفتش، انظر إلي: أليس لي رأس رجل شريف؟

ديميدوف : شريف غربي.

موتون : أهي رأس جميلة لرجل عجوز؟

ديميدوف : عجوز غربي.

موتون : وبهذه الرأس، أيمكن أن أكون شيوعياً؟

ديميدوف : ولم لا ؟

موتون : لقد تربيت بقوة الذراع، بفضل عملي.

ديميدوف : وبفضل الحظ أيضاً.

موتون : (ابتسامة مختصرة وهو يتذكر) نعم، لقد ساعدني الحظ.

ديميدوف : وكانوا هم الحظ هذا.

موتون : (يقفز فزعاً) هم؟

ديميدوف : من الممكن أن يكونوا قد كونوا لك ثروتك لأنك كنت رجلهم دون أن تدري. لعلهم قد دبروا كل شيء بطريقة معينة تجعل كل عمل تقوم به ينجم عنه، على غير علم منك، الأثر الذي ترجوه موسكو.

موتون : أو تكون حياتي مدبرة من أولها لآخرها؟ (ديميدوف يؤمن على كلامه. فجأة) أجبني بصراحة: إذا اعتبرني الجميع ثورياً وإذا كنت أتصرف في كل الظروف كما يحتم الحزب، فما الذي يميز بيني وبين العضو العامل؟

ديميدوف : أنت؟ لا شيء. إنك شيوعي موضوعي.

موتون : موضوعي! موضوعي! (يخرج منديله ويمسح به جبهته) آه! لقد تقمصني الشيطان! (ينظر فجأة إلى المنديل) ما هذا؟ كنا نتحدث نحن الاثنان، ثم إذا بي أجدني بسبيل تحريك منديل. كيف جاء إلى يدي؟

ديميدوف : لقد أخرجته من جيبك.

موتون : (تائهاً) لقد كان معي! آه! هذا أسوأ مما كنت أظن. لقد اتخذوا تدابيرهم لكي أعطي أنا نفسي الإشارة. أية إشارة؟ ولمن؟ لك، ربما! ومن يقول لي إنك لست عميلهم؟ (ديميدوف يهز كتفيه) أترى: لقد أصبحت مجنوناً. فيدور بتروفتش، أتوسل إليك أن تخلصني من الشيوعية!

ديميدوف : كيف؟

موتون : أفضح هذا البائس!

ديميدوف : سأفضحه إذا كان محتالاً.

موتون : (يساوره القلق) وإذا كان حقاً نيكراسوف؟

ديميدوف : سأدق عنقه من جديد أمام الجميع.

موتون : (يهز رأسه) تدق عنقه . . .

ديميدوف : إني اعتبر كل من ترك الاتحاد السوفيتي بعدي متواطئا مع النظام.

(يبدو جوبليه في المؤخرة)

المشهد الخامس

موتون، ديميدوف، جوبليه

موتون : على أية حال سيكون أشد فاعلية بكثير أن تعامله كمحتال.

ديميدوف : كلا. (حركة من موتون) لا تلح، أنا لا أحيد عن عزمي (موتون يتنهد)حسن! ماذا تنتظر؟ لنبحث عنه.

موتون : لقد استدعيت مفتشاً من الأمن. إذا كان المدعو نيكراسوف محتالاً فلابد أنه من طبقة اللصوص العالميين. سأودعه في السجن مدى الحياة. (يلمح جوبليه) جوبليه! ادخل إذن. (يقترب جوبليه) سوف تنظر في امعان إلى الرجل الذي سوف أشير لك عليه. إذا كان من أرباب السوابق فلتقبض عليه فوراً.

جوبليه : أمام كل الناس؟

موتون : طبعاً.

جوبليه : أهو جميل؟

موتون : إلى حد ما.

جوبليه : (آسفاً) سيعقدون المقارنة مرة أخرى.

موتون : أية مقارنة؟

جوبليه : بين رأسه ورأسي.

موتون : أترفض أن... ؟

جوبليه : أنا لا أرفض شيئاً. كل ما في الأمر، أني أفضل القبض عليهم حينما يكون المرء منهم دميماً.

المشهد السادس

موتون، ديميدوف، جوبليه، بودوان، شابوي وقد دخل الأخيران منذ لحظة

بودوان : (يطلع موتون على بطاقته) الدفاع الوطني. أوراقك؟

موتون : أنا شارل موتون...

شابوي : بالضبط! أنت مشبوه.

(يهز موتون كتفيه، ويبرز أوراق تحقيق الشخصية).

بودوان : طيب. (لـديميدوف) وأنت، نحن نعرفـك. تفضل، ولا تنسى أنك ضيف فرنسا.

شابوي : ابتعد! نريد أن نقول كلمة للمفتش جوبليه.

موتون : (لجوبليه) سنجوب الصالونات لنرى إذا كان رجلنا قد وصل. ولتنتظرنا أنت هنا. (يخرج ديميدوف وموتون).

المشهد السابع

بودوان، شابوي، جوبليه

بودوان : (يقف في وجه جوبليه) ماذا أتيت تفعل هنا أيها الزميل؟

جوبليه : أنا مدعو.

شابوى : مدعو؟ بسحنتك هذه؟

جوبليه : إذا كنتما مدعوان بسحنتكما، فلماذا لا أكون أنا كذلك بسحنتي؟

شابوي : لسنا مدعوين، نحن مكلفان بالعمل.

جوبليه : حسن، وأنا كذلك!

بودوان : لعلك تبحث عن أحد؟

جوبليه : هيا، هيا أيها الزميل!

بودوان : دعه، إنه كتوم. (لجوبليه) ابحث عما تشاء ولكن لا تحاول مزاحمتنا.

جوبليه : (في مزيج من الدهشة والخوف) أزاحمكما؟

شابوي : لا تعاكس نيكراسوف.

جوبليه : في مزيج من الدهشة والخوف) أزاحمكما؟

شابوي : لا تعاكس نيكراسوف.

جوبليه : (في مزيج من الدهشة والخوف) ماذا؟

بودوان : لا تعاكسه يا صاحبي العجوز، إذا كنت متمسكاً بلقمة عيشك.

جوبليه : (لا يزال يحاول الفهم) نيكراسوف؟

شابوي : نعم، نيكراسوف. لا تتعرض له!

جوبليه : أنا لا أتلقى منكما الأوامر أيها الزميلان. أنا من البوليس القضائي وأطيع رؤسائي.

شابوي : جائز، ولكن رؤساءك يطيعون رؤساءنا. إلى اللقاء أيها الزميل.

بودوان : (مبتسماً) إلى اللقاء! إلى اللقاء!

المشهد الثامن

جوبليه بمفرده، ثم بعض المدعوين

جوبليه : (من بين أسنانه) لتذهبا إلى الشيطان! (متأملاً) نيكراسوف: لقد رأيت هذا الاسم في الجريدة...

المشهد التاسع

جوبليه، سيبيلو، الحارسان، أحد المدعوين.

جورج : (للحارسين) اذهبا والعبا بعيداً. (يغلق الباب خلفهما. لسيبيلو) انصب قامتك! بعض الخيلاء يا صاحبي! (يشعث له شعره) وبعض الإهمال وعدم الاكتراث. هكذا!

سيبيلو : لندخل (يستوقفه جورج) ماذا بك؟

جورج : أصابني إحساس الكبار. سأدخل وسيلقون بأنفسهم تحت قدمي وسيقبلون يدي: وهذا يسبب لي دواراً. أمن الممكن أن رجلاً واحداً يكون موضع كل هذا الحب، وكل هذا الحقد؟ طمئني يا سيبيلو. لست أنا الذي يحبون، لست أن الذي يكرهون، لست سوى صورة؟(يمر موتون وديميدوف في الخلفية)

سيبيلو : أنا. . . (يلمح موتون) أدر ظهرك!

جورج : ماذا حدث؟

سيبيلو : أقول لك أدر ظهرك، وإلا ضعنا! (يستدير جورج ويصبح في مواجهة المشهد لقد مر موتون منذ لحظة ومعه ديميدوف. إنهما يبحثان عنك.

جورج : ديميدوف !لا يهمني. جول ونيرسيا هما المهمان. أولئك البلهاء يظنون أنهم يحركونني.

سيبيلو : اسمع يا نيكيتا. . .

جورج : صه! سأريهم من هو السيد. ستستعيد مدام كاستانييه وظيفتها غداً وإلا. . (يضرب الأرض بقدمه في غيظ) وسأتحول معهم إلى شيطان!

سيبيلو : ماذا جرى من جديد؟

جورج : عليّ أن ألعب هذا المساء لعبة حاسمة ولا أشعر أن مزاجي يتيح لي ربحها. ما هذا؟

(أحد المدعوين كان قد دخل منذ لحظة وهو يترنح. يستند على منضدة البوفيه ويتناول كأساً يشربه ثم يرفعه في الهواء كأنما يحمل شطيرة خبز).

المدعو : صوب! اطلق النار! تحيا فرنسا! (يتهاوى)

جوبليه : (يسرع إليه) يا للرجل المسكين! (يركع إلى جواره)

المدعو : (يفتح عيناً) يا لها من سحنة! أجهز عليّ! (يستغرق في النوم. يدفعه جوبليه في غضب شديد تحت البوفيه ويسدل عليه المفرش. يلمحه جورج).

جورج : (لسيبيلو) جوبليه! (يدير ظهره لجوبليه على الفور)

سيبيلو : أين؟

جورج : خلفك. إنها بداية سيئة.

سيبيلو : (واثقاً من نفسه) سأتولى أمره.

جورج : أنت ؟

سيبيلو : إنه يحبني (يذهب إلى المفتش فاتحاً ذارعيه) تعالى بين ذراعي!

جوبليه : (مرتعباً) أنا لا أعرفك.

سيبيلو : إنك تؤلمني! أنا سيبيلو، ماذا! ألا تذكر؟

جوبليه : (لا يزال مستريباً) بلى.

سيبيلو : إذن! لنقبل بعضنا!

جوبليه : كلا.

سيبيلو : (في عتاب أليم) جوبليه!

جوبليه : لم تعد نفس الشخص.

سيبيلو : هيا إذن !

جوبليه : لقد غيرت ثيابك.

سيبيلو : أهذا هو ما في الأمر؟ أنا هنا بناءً على أمر المدير، وقد أعاروني هذه الثياب لكي أبدو بمظهر طيب.

جوبليه : لم يعيروك رأسك.

سيبيلو : ماذا بها؟

جوبليه : إنها رأس ثمنها مائتي ألف ورقة.

سيبيلو : أنت مجنون؟ إنها رأس هذه السترة. (يتأبط ذراع جوبليه) لن أتركك بعد الآن. أبك ظمأ؟

جوبليه : نعم، ولكن لا شيء يمر.

سيبيلو : الحلق، هيه؟ مغلق؟ أنا أعرف ذلك. . آه! نحن لسنا في مكاننا. أتـدري ماذا يجب علينا عمله؟ «غـرفة الخدمة» مضـاءة، وبها الهواء، وواسعـة، ومليئـة بخـادمـات فاتنات، هيا بنا نشرب كأساً هناك.

جوبليه : ولكني انتظر. . .

سيبيلو : كأس أيها المفتش، كأس واحدة. سنكون كأننا في بيتنا. (يجره)

المشهد العاشر

جورج بمفرده، ثم بودوان وشابوي

جورج : (بمفرده) أوف!

شابوي : (يظـهر عند أحد الأبواب) بست!

بودوان : (عند الباب الآخر) بست!

جورج : هيه؟

بودوان : نحن مفتشا الدفاع الوطني. . .

شابوي : ونرحب بقدومك. . .

بودوان : في الوطن الذي ندافع عنه.

جورج : شكراً.

شابوي : وخصوصاً، لا تقلق.

بودوان : ولتعتمد كلية علينا.

شابوي : في ساعة الخطر، نحن هنا.

جورج : في ساعة الخطر؟ هناك خطر؟

بودوان : احتمال وقوع اغتيال ليس مستبعداً.

جورج : اغتيال من؟

بودوان : (مبتسماً) أنت.

شابوي : (ضاحكاً بلا مواربة) أنت!

جورج : ما هذا ؟! ولكن قولا لي إذن . . .

بودوان : صه! صه! نحن نراقب كل شيء!

شابوي : نحن نراقب كل شيء!

(يختفيان في نفس اللحظة التي تدخل فيها مدام بونومي مع المدعوين).

المشهد الحادي عشر

جورج، مدام بونومي، نيرسيا، جول، بيردريير، مدعوون، مصورون، بيريجور

م. بونومي : هاك منقذنا!

الجميع : يحيا نيكراسوف!

مدعو : سيدي، أنت رجل!

جورج : سيدي، وأنت رجل آخر.

مدعوة : إنك جميل!

جورج : هذا لكي أعجبك.

مدعوة أخرى : سيدي، كم أكون فخورة لو كان لي طفل منك.

جورج : سيدتي، سنفكر في الأمر.

م. بونومي : أيها الصديق العزيز، أتقول لنا كلمة؟

جورج : عن طيب خاطر. (يرفع صوته) سيداتي سادتي، الحضارات فانية، ولم تعد أوربا تفكر بمنطق الحرية ولكن بمنطق القدرية إن الإعجاب بالإغريق في خطر ! فلننقذه.

الجميع : نموت فداء للتراث الإغريقي!

(تصفيق. مدام بونومي تدفع بيردريير نحو جورج).

م. بونومي : (لجورج) هذا أحد المعجبين بك.

جورج : أنت معجب بي يا سيدي؟ هذا يكفي لكي أحبك. من أنت؟

بيردريير : أنا أسير معروفك يا سيدي، وسأظل كذلك طيلة حياتي.

جورج : (مندهشاً) أنا، أسديت معروفاً لأحد؟

بيردريير : لقد كنت سبباً في انسحابي من الانتخابات.

جورج : بيردريير! (بيردريير يريد تقبيل يده، فيمنعه جورج من ذلك) فلنقبل بعضنا. يقبلان بعضهما البعض).

م. بونومي : صور! (أضواء الماغنسيوم. تتأبط ذراع جورج، ويتأبط بيردريير ذراعه الآخر) الآن، نحن الثلاثة. خذوا صوراً للمجموعة.

جول : لا يا صغيري جول لا، فيما بعد.

جول : لماذا ترفض دائما وفي إصرار أن تصور معي؟

جورج : لأنك مصاب بداء الحركة: في ذلك ضياع للفيلم الخام.

جول : تسمح...

جورج : كلا يا صديقي، إن لي جمهوري: أناس يشترون «جريدتك» لكي يقصوا منها صورتي، ولهم كل الحق في...

جول : من الممكن أن يكون لك جمهورك. ولكن أنا لي مصوريني وأرى من غير المقبول أن تمنعهم من التقاط صور لي.

جورج : بسرعة إذن! (أضواء الماغنسيوم) هناك . . هناك . . كفى . تعالي تحدثي معي (يجره إلى مقدمة المسرح) .

جول : ماذا تريد مني؟

جورج : أريدك أن تعيد إلى مساعديك السبعة الذين طردتهم أعمالهم .

جول : مرة ثانية! ولكن ليس هذا من اختصاصك يا صديقي! إنها مسألة داخلية بحتة .

جورج : كل مسائل الجريدة تخصني .

جول : من هو المدير؟ أنت أم أنا؟

جورج : أنت : ولكنك لن تبقى في منصبك هذا طويلاً إذا لعبت هذه اللعبة . سوف أطلب رأسك من مجلس الإدارة .

جول : حسن! هاك نيرسيا الذين انتخبوه رئيساً يوم الخميس ، بدلاً من موتون : لا عليك إلا أن تقصده .

جورج : (يمسك نيرسيا من ذراعه ويأتي به إلى جوار جول .) يا عزيزي نيرسيا . .

نيرسيا : يا عزيزي نيكراسوف . . .

جورج : هل استطيع أن أطلب منك معروفاً؟

نيرسيا : طلبك مجاب مقدماً .

جورج : أتذكر تلك السيدة المسكينة مدام كاستانييه؟

نيرسيا : كلا لا أذكرها .

جورج : السكرتيرة التي طردتموها .

نيرسيا : آه! بالضبط . لقد كانت شيوعية .

جورج : إنها أرملة يا عزيزي نيرسيا .

نيرسيا : نعم . أرملة شيوعي .

جورج : ولها ابنة مقعدة .

نيرسيا : مقعدة؟ إنها شخصية جادة، من نسل شيوعي.

جورج : لم يكن لها سوى راتبها لكي تعيش، أو يجب عليها أن تنتحر؟

نيرسيا : لو حدث لها سوء، لقل عدد الشيوعيين اثنان. (فترة) ماذا تريد؟

جورج : أن تعيد إليها وظيفتها.

نيرسيا : ولكن يا عزيزي نيكراسوف أنا لا استطيع شيئاً بنفسي. (فترة) تأكد أني سأنقل التماسك إلى مجلس الإدارة. (جورج في شدة الغضب لكنه يكظم غيظه) أهذا كل شيء؟

جورج : كلا. (يخرج سوار آباري من جيبه) ما هذا؟

نيرسيا : (يقرأ) نيكراسوف يصرح: أنا أعرف شخصيا الصحفيين (ديفال و مايستر) حسن؟ إنه تصريح قلته.

جورج : بل لم أقله.

نيرسيا : لم تقله؟

جورج : مطلقاً.

نيرسيا : أوه! أوه! (لجول في قسوة) يا عزيزي جول. إنك تدهشني. مع ذلك أنت تعلم شعار الجريدة. الحقيقة عارية تماماً.

جول : (مستوقفاً بيريجور) بيريجور! (بيريجور يقترب) إني في غاية الدهشة: هاك كلام نسبوه لنيكراسوف ولم يقله مطلقاً!

بيريجور : آه! آه! (وهو يتناول الجريدة ويقرأها) لابد أنها الصغيرة تابينوا.

جول : الصغيرة تابينوا!

بيريجور : لعلها ظنت خيراً ما فعلت.

جول : لا نريد مثل هذا عندنـا يا بيريجور. الحقيقة عارية تماماً. أطرد تابينوا إلى الشارع.

جورج : أنا لا أطلب ذلك.

جول : إلى الشارع ! إلى الشارع!

جورج : لا يا جول، أؤكد لك أني لا أطلب ذلك. وكفى طرداً!

جول : إذن فلتزجـرها في عنف، وقل لها إنها مـدينة باحتفـاظها بوظيفتها لتدخل نيكراسوف الشخصي.

جورج : هو ذا. (فترة) فيما يختص بي سأكتفي بتكذيب...

جول : (مبهوتاً) ماذا؟

جورج : تكذيب تنشره غداً.

جول : تكذيب؟

نيرسيا : تكذيب؟

بيريجور : تكذيب؟

(ينظرون إلى بعضهم البعض)

جول : ولكن يا نيكيتا سيكون ذلك أسوأ عمل أخرق.

بيريجور : سوف يتساءل الناس عما أصابنا.

نيرسيا : أرأيت في حياتك جريدة تكذب أخبارها الخاصة، إلا إذا اضطرتها المحاكم لذلك؟

جول : سوف نثير فوراً انتباه الجمهور إلى هذه الفقرة المشئومة.

بيريجور : التي لم يقرأها أحد، وأنا على يقين من ذلك.

جول : (لنيرسيا) هل لاحظت هذه الفقرة يا عزيز الرئيس؟

نيرسيا : أنا؟ أبداً. ومـع ذلك فأنا أقرأ الجريـدة من أول سطر إلى آخر سطر.

جول : وإذا بدأنا هذه اللعبة الصغيرة، فأين سنتوقف؟ أو يجب علينا أن نكرس كل عدد لتكذيب العدد السابق؟

جورج : حسن جداً. ماذا تعتزمون عمله إذن؟

نيرسيا : بخصوص أي موضوع؟

جورج : بخصوص هذه التصريحات.

جول : أن نكف عن الحديث عنها بعد ذلك، بكل بساطة، ندفن الخبر تحت أخبار اليوم التالي. على أن هذا هو خير منهج. أتظن أن قراءنا يتذكرون من يوم لآخر ما قرأوه؟ ولكن يا صاحبي لو كانت عندهم ذاكرة لم استطعنا حتى نشر حالة الجو اليومية!

نيرسيا : (يفرك يديه) وها أنا ذا أنظم كل شيء.

جورج : كلا.

نيرسيا : كلا؟

جورج : كلا! إني مصر على أن تنشروا تكذيباً.

نيرسيا : أنت مصر؟

جورج : نعم. باسم الخدمات التي أديتها لكم..

نيرسيا : لقد دفعنا لك الثمن.

جورج : باسم المجد الذي أحرزته.

جول : إن مجدك يا صديقي المسكين نيكيتا، ولم أكن أود أن أقول لك ذلك، في هبوط. يوم الخميس ارتفعنا إلى اثنين مليون نسخة مباعة. ولكن منذ ذلك الحين هبطنا من جديد إلى مليون وسبعمائة ألف.

جورج : ولكن لا يزال هذا الرقم فوق مستوى طبعاتكم العادية بكثير.

جول : لننتظر الأسبوع القادم.

جورج : ماذا، الأسبوع القادم؟

جول : سنهبط مرة أخرى إلى تسعمائة ألف. ومـا الذي يكون قد فعلته؟ صعود لمبيعاتنا كالصـاروخ وتدهور كالصاروخ، ثم لاشيء بعد ذلك: الموت.

جورج : ليـس بهذه السرعـة: إني أحتفـظ بمخـزون مـن الأسرار المثيرة!

جول : فات الأوان: المهم هو تأثير الصدمة. لقد مل القارىء: وإذا أخبرتنا غـداً أن الروس يـأكلون أطفـالهم فلن يـؤثر ذلك في القارىء مطلقاً.

(يدخل موتون وديميدوف).

المشهد الثاني عشر

السابقون، موتون، وديميدوف

موتون : (في صـوت جهـوري) أيها السادة! (يصمـت الجميـع، ويلتفتون نحوه) لقد خدعتم.

(همهمات. المدعوون يتحركون في قلق)

نيرسيا : ماذا أتيت تفعل هنا يا موتون؟

موتون : أكشف القناع عن خائن. (مشيراً إلى ديميدوف) هذا هو ديميدوف الاقتصادي الروسي الـذي عمل عشر سنوات في الكريملين. أصغوا إلى ما سيقولـه لكم. (لديميدوف مشيراً إلى جورج) تأمله جيداً، ذلك الـرجل الذي يدعي نفسه نيكراسوف: هل تعرفه؟

ديميدوف : لا بد أن أغير نظـارتي (يرفـع نظارتـه ويضع الأخـرى، وينظر حوله) أين هو ؟

جورج : (يلقي بنفسه عليه ويقبله) أخيراً! لقد بحثت عنك طويلاً!

(موتون ينتزعه إلى الوراء).

موتون : (لديميدوف) أتعرفه؟

جورج : اخرجوا جميعاً: إني أحمل له رسالة سرية.

موتون : لن نخرج قبل تصفية الموقف.

(مفتشا الدفاع الوطني قد دخلا)

بودوان : (يبرز أمام موتون) أوه! بلى يا سيدي، ستخرج.

موتون : ولكني...

بودوان : الدفاع الوطني. إنه أمر.

شابوي : (للآخرين) وأنتم أيضاً أيها السادة، إذا سمحتم.

(يخرجان المدعوين، ويبقى ديميدوف وجورج بمفردهما).

المشهد الثالث عشر

ديميدوف، وجورج

ديميدوف : (الذي لم يتوقف عن تأمل جورج، ولم يدرك شيئاً مما حدث). هذا الرجل ليس نيكراسوف.

جورج : لا تتعب نفسك، نحن بمفردنا.

ديميدوف : أنت لست نيكراسوف. نيكراسوف ضئيل الجسم، صلب العود، إنه يعرج قليلاً.

جورج : يعرج؟ آسف أني لم أعرف ذلك من قبل. (فترة) ديميدوف، منذ زمن طويل وأنا أريد الكلام معك.

ديميدوف : أنا لا أعرفك.

جورج : أما أنا فأعرفك جيداً. لقد تقصيت عنك. أنت وصلت فرنسا عام ١٩٥٠: في ذلك الوقت كنت بلشفيا ـ لينينياً وكنت تشعر بوحدة قاسية. وتقربت فترة من التروتسكيين، وأصبحت بلشفيا تروتسكيا، وبعد فرقعة مجموعتهم، اتجهت إلى تيتو وأسميت نفسك بلشفياً

تيتوياً. وحينما تصالحت يوغوسلافيا مع الاتحاد السوفيتي حملت آمالك إلى ماو ــ تسي ــ تونخ وأعلنت نفسك بشلفياً ـ ماوياً. ولما لم تقطع الصين علاقتها بالسوفيت أعرضت بوجهك عنها ولقبت نفسك بولشفيك ـ بولشفيك ـ مضبوط؟

ديميدوف : مضبوط.

جورج : هذه التغيرات الكبرى حدثت في رأسك ولم تكف أبداً عن أن تكون وحيداً. فيما مضى كانت سوار ــ آبارى تنشر مقالاتك، والآن لم يعد أحد يريدها في أي مكان. أنت تعيش في حجرة في أعلى المنزل مع عصفور مغرد. وقريباً يموت عصفورك ويطردك صاحب المنزل وتذهب لتنام عند جيش الخلاص في قارب صغير.

ديميدوف : البؤس لا يخيفني، ليس لي سوى هدف واحد. إبادة البيروقراطية السوفيتية.

جورج : يا صديقي المسكين لقد قضي الأمر. التهمك الغرب ولم يعد لك وجود.

ديميدوف : (يمسك برقبته) أيها الأفعى المأفون.

جورج : دعني يا ديميدوف، دعني إذن! سأقدم لك وسيلة تخرج بها من ورطتك.

ديميدوف : (يتركه) لا فائدة.

جورج : لماذا؟

ديميدوف : أنت لست نيكراسوف، وأنا هنا لأقول ذلك.

جورج : لا تقل ذلك أيها التعس وإلا خدمت أعداءك. لابد أن كراهيتك للسوفييت ضعيفة واهنة لأنها لم تسكت فيك حبك للحقيقة.

فكر. لقد انتزعك موتون من النسيان لكي يفسد عليّ حياتي، وبعد أن يحقق مآربه سوف يسلمك إلى النسيان من جديد. وفي يوم من الأيام سوف يجدونك في حفرة ميتاً من العجز ومن الحقد الذي سيكون ملأ صدرك، ومن الذي سيأسف لذلك؟ البيروقراطيون في أنحاء روسيا.

ديميدوف : أنت لست نيكراسوف. نيكراسوف يعرج...

جورج : نعم، نعم، أعرف ذلك. (فترة) ديميدوف، أريد أن أدخل في الحزب البولشفيكي ـ البولشفيكي.

ديميدوف : أنت!

جورج : أنا. أو تقدر عظم الخطوة الجبارة التي قمت بها الآن؟ حينما لا يكون لحزب ما غير عضو واحد، فما أندر الفرص لكي يكون له في يوم من الأيام عضوان. ولكن إذا كان في الحزب عضوان، فما الذي يمنعه في الغد من أن يعد أعضاءه بالمليون، هل تقبل؟

ديميدوف : (وقد أذهله الخبر) أيكون لحزبي عضوان؟

جورج : نعم. عضوان.

ديميدوف : (في ريبة) أتعرف أن مبدأنا هو المركزية؟

جورج : أعرف ذلك.

ديميدوف : (متمما) وقانوننا هو الديمقراطية المستبدة.

جورج : أعرف ذلك.

ديميدوف : الرئيس هو أنا.

جورج : و سأكون أنا القاعدة.

ديميدوف : ولأقل نشاط انشقاقي، أطردك!

جورج : لا تخش. إني مخلص لـك. ولكن الزمـن يمر. اليـوم أنا شهير، وغداً ربما ينساني الناس. فلتغتنم الفرصة بسرعة! مقالاتي تلف حول العالم: سأكتبها حسبما تملي عليّ.

ديميدوف : ستفضـح جيـل الفنيين (التكنوقـراط) الـذي حـل محل الثورار القدامى؟

جورج : في كل عامود.

ديميدوف : ستذكر كل السيئات التي أراها في أورلوف.

جورج : من هو أورلوف؟

ديميدوف : رئيس مكتبي السابق. نمرود.

جورج : سوف يصير غداً أضحوكة أوربا.

جورج : عظيم! (يمد له يده) موافق يا نيكراسوف.

(جـورج يشد على يـده. يظهر المدعـوون في خشية عنـد عتبة الباب).

المشهد الرابع عشر

المدعوون، جورج، ديميدوف، موتون، بودوان، شابوي.

موتون : حسن يا ديميدوف. من هو هذا الرجل؟

ديميدوف : هو؟ إنه نيكراسوف.

(هتافات)

موتون : أنت تكذب! ما الذي دبرتماه حينما كنتما على انفراد؟

جورج : كنـت أخبره عن المقـاومـة السريـة التي تنظـم في الاتحاد السوفيتي.

موتون : أيها المحتال!

جورج : (للمدعوين) أنتم شهودي على أن هذا المخلوق يلعب لعبة الشيوعية!

المدعوون : (لموتون) إلى موسكو! إلى موسكو!

موتون : إنك تدفعني إلى الانتحار أيها البائس، ولكن سوف أجرك إلى الموت. (يخرج مسدساً ويصوبه إلى جورج) اشكروني أيها السادة: إني أخلص الأرض من وغد ومن شيوعي موضوعي!

م. بونومي : المؤامرة! المؤامرة!

(بودوان وشابوي يلقيان بأنفسهما على موتون وينتزعان سلاحه. يدخل الحارسان جرياً من باب اليمين.

شابوي : (للحارسين مشيراً لموتون) أخرجا هذا السيد.

موتون : (محاولاً التملص) اتركوني! اتركوني..

المدعوون : إلى موسكو! إلى موسكو!

(يدفعه الحارسان ويخرجان من باب اليمين)

بودوان : (للمدعوين) لقد كنا نتوقع هذه المؤامرة. سيداتي سادتي زال الآن كل خطر فلتتفضلوا بالعودة إلى الصالونات. وسنحرمكم لبضع لحظات من السيد نيكراسوف لكي نعد معه وسائل تأمين سلامته. ولكن لا تخشوا شيئاً. سوف نعيده إليكم بعد قليل.

(يخرج المدعوون)

المشهد الخامس عشر

جورج، بودوان، شابوي

بودوان : لتعترف يا سيدي أننا ملائكتك الحارسة.

شابوي : وأنه لولانا لقتلك هذا البائس على الفور؟

جورج : شكراً أيها السادة.

بودوان : العفو، لم نقم بغير واجبنا.

شابوي : ونحن سعداء جداً أننا خلصناك من ورطتك.

(ينحني جورج قليلاً ويهم بالخروج، فيمسكه بودوان من ذراعه).

جورج : ولكن...

شابوي : إن لدينا بعض المتاعب.

بودوان : وسوف نحتاج إلى معونة منك.

جورج : (يجلس) أية معونة استطيع تقديمها لكما؟

(يجلس المفتشان)

شابوي : حسن، الأمر هو كما يلي: نحن وراء مؤامرة خطيرة تسعى لإشاعة روح الهزيمة في الوطن.

جورج : أو يستبد القنوط بفرنسا؟

شابوي : ليس بعد يا سيدي: نحن ساهرون!

بودوان : ولكن الواقع أن هناك من يحاول تخريب معنوياتها.

جورج : يا لفرنسا المسكينة! ومن الذي يجرؤ...

شابوي : اثنان من الصحفيين.

جورج : اثنان لأربعين مليوناً من السكان؟ هذا البلد يستسلم بسهولة.

بودوان : هذان الرجلان ليسا سوى رمزين. وتريد الحكومة أن تنال في شخصيهما صحافة ممقوتة تخدع قراءها.

شابوي : لابد من الضرب بسرعة وبقوة.

بودوان : نحن ننوي القبض عليهما غداً. أو بعد غد على الأكثر.

شابوي : ولكننا مطالبون بتقديم الدليل على أن المتهمين قد اشتركا عمداً في إشاعة روح الهزيمة بين المواطنين . . .

بودوان : وهذا في رأينا لا فائدة منه مطلقاً . . .

شابوي : ولكن المشرع رأى من واجبه التشدد في طلب ذلك .

بودوان : وعليه ، ولمرة واحدة ، يخدمنا الحظ . . .

شابوي : وأنت هنا!

جورج : أنا هنا؟

بودوان : ألست هنا؟

جورج : طبعاً أنا هنا . أنا هنا بقدر ما استطيع أن أكون هنا .

شابوي : حسن! سيكون شاهدنا .

بودوان : من المؤكد أنك استخدمت هذين الصحفيين بصفتك وزيراً سوفيتياً .

شابوي : وسنكون لك من الشاكرين إذا أكدت ذلك .

جورج : ما اسمهما؟

شابوي : روبير ديفال وشارل مايستر.

جورج : مايستر و ديفال . . . ديفال ومايستر. . . حسن! أنا لا أعرفهما .

بودوان : مستحيل!

جورج : لم إذن؟

شابوي : لقد صرحت بالأمس في سوار آبارى أنك تعرفهما حق المعرفة .

جورج : لقد نسبوا إليّ كلاماً لم أقله أبداً .

بودوان : ممكن. ولكن المقالة موجودة. ثم إنها على كل حال من الشيوعيين. ديفال عضو له نفوذ في الحزب الشيوعي.

شابوي : ديفال، هيا! لابد أنك كنت تعرفه!

جورج : في الاتحاد السوفيتي لكل وزير عملاؤه الخصوصيون الذين لا يعرفهم الآخرون. أبحث في وزارة الدعاية، في وزارة الاستعلامات، أو ربما في وزارة الخارجية، أنا، كما تعلمون، كنت في الداخلية.

بودوان : نحن ندرك جيداً وساوسك...

شابوي : ولو كنا في مكانك لأحسسنا بما تشعر به.

بودوان : ولكن طالما أن ديفال شيوعي...

شابوي : فليس من الضروري أن تكون قد رأيت اسمه رأي العين.

بودوان : وأنت على ثقة تامة من أنه عميل سوفيتي.

شابوي : وعليه، تستطيع أن تشهد وأنت مرتاح البال تماماً، أنه قد قبض الثمن ليقوم بعمله.

جورج : آسف، ولن أشهد. (فترة صمت)

بودوان : حسن جداً.

شابوي : عظيم!

بودوان : فرنسا هي بلد الحرية. وعندنا كل الناس أحرار في أن يتكلموا أو يصمتوا.

شابوي : نحن نجل ذلك نحن نجل ذلك.

بودوان : ونأمل أن يفعل ذلك رؤساؤنا بدورهم. (فترة.. ثم إلى شابوي) هل سيفعلون؟

شابوي : (لبودوان) من يدري، المزعج في الأمر، هو أن للسيد نيكراسوف أعداء كثيرين.

بودوان : (لجورج) أناس يزعجهم مجدك...

شابوي : (لجورج) ويدعون أنك أرسلت إلينا من موسكو.

جورج : هذا سخف!

شابوي : طبعاً. (ينهضان ويحيطان به).

بودوان : ولكن لابد من إسكات الافتراءات.

شابوي : بعمل يثبت التزامك جدياً.

بودوان : على كل حال، في الشهر الماضي، كنت لا تزال عدواً لدوداً لوطننا. . .

شابوي : . . . ولا شيء يثبت أنك تحولت عن ذلك. . .

بودوان : ولطالما قيل لنا إننا نجهل واجباتنا. . .

شابوي : . . . وأنه كان لابد من أن نعيدك فوراً إلى الحدود.

بودوان : تصور أننا نعيدك إلى البوليس السوفيتي!

شابوي : بعد تصريحاتك، ستعيش وقتاً عصيباً!

جورج : أتطاوعكم قلوبكم على طردي، أنا الذي وثقت بالضيافة الفرنسية.

شابوي : (ضاحكاً) ها! ها!

بودوان : (ضاحكاً) الضيافة!

شابوي : (لبودوان) ولم يكون حق اللجوء؟ إنه يظن نفسه في العصور الوسطى.

بودوان : نحن مضيافون للوردات الإنجليز. . .

شابوي : للسواح الألمان. . .

بودوان : . . . للجنود الأمريكيين. . .

شابوي : . . . وللبلجيكيين الممنوعين من الإقامة. . .

بودوان : . . . ولكن بصراحة أنت لا تريد أن نكون كذلك للمواطنين السوفيتيين!

جورج : أهذا تهديد لي باختصار؟

شابوي : كلا يا سيدي، إنها ورطة.

بودوان : بل استطيع القول بأنه خيار بين أمرين. (صمت)

جورج : لتقوداني إلى الحدود.

(فترة)

بودوان : (يغير من لهجته) وبعد، يا صغيري جورج؟ أتلعب دور الشرير؟

شابوي : أتتظاهر بالصرامة والتحدي؟

جورج : (ينهض فزعاً) ماذا؟

بودوان : اجلس مكانك.

شابوي : أنت لا تخيفنا، أتعرف؟

بودوان : لقد رأينا نحن أناساً أشداء حقاً. رجالاً.

شابوي : ونعلم جيداً أن النصاب ليس سوى خرقة.

بودوان : امرأة.

شابوي : إذا كنا أحياناً قد دغدغناك قليلاً . . .

بودوان : انتهى أمرك الآن.

جورج : لست أفهم قصدكما.

شابوي : أوه! بل أنت تفهمه!

بودوان : نريد أن نقول إنك جورج دي فاليرا، أحد الأوباش العالميين، وأننا نستطيع أن نسلمك تواً للمفتش جوبليه الذي يبحث عنك!

جورج : (يجاهد في الضحك) جورج دي فاليرا؟ في الأمر سوء تفاهم! سوء تفاهم مسل جداً. أنا . . .

شابوي : لا تتعب نفسك. منذ ثمانية أيـام وحارساك يلتقطان لك صوراً خلسـة من جميع الـزوايا، لقد أخـذا حتى بصمات أصابعك. ولم يكن علينا سوى أن نقـارن ذلك مع بطاقة أحوالك الشخصية. لقد سقطت.

جورج : اللعنة.

بودوان : لاحظ جيداً أننا لسنا أشراراً.

شابوي : ثم ان الاحتيال ليس من اختصاصنا.

بودوان : هذا يهم البوليس القضائي والبـوليس القضائي ليس على وفاق معنا.

شابوي : المفتش جوبليه، نضعه حيث تعلم.

بودوان : نريد رقبة الصحفيين، وهذا هو كل ما في الأمر.

شابوي : و إذا أعطيتهـا لنا فسـوف تصبح نيكـراسوف كما يطيـب لك.

بودوان : وسوف تؤدى لنا خدمات صغيرة.

شابوي : سنريك أناساً بين الحين والآخر.

بودوان : وسوف تقول إنك تعرفهم، إرضاءً لنا.

شابوي : ونحن من جانبنا سنلتزم الصمت.

بودوان : ولا أحد غيرنا يعرف المسألة، أتفهم.

شابوي : لاحظ أننا قلنا ذلك لرئيس مجلس الإدارة.

بودوان : ولكن هذا لا يهم في شيء، إنه لا يعرفه.

شابوي : لقد قال «لا أريد أن أعرف».

بودوان : وهذا الرجل يعرف ما يريد!

شابوي : هل فهمت الملعوب، يا قليل التفكير.

بودوان : يوم الخميس سوف نحضر لأخذك وسنصحبك إلى قاضي التحقيق.

شابوي : سيسألك إن كنت تعرف ديفال . . .

بودوان : وستجيب : نعم ، لأنك لن تستطيع غير ذلك .

شابوى : عمت مساءً يا صغيرتي ، تشرفنا .

بودوان : إلى الخميس يا توتو. لا تنسي . (يخرجان)

المشهد السادس عشر

جورج بمفرده ، ثم يدخل ديميدوف

جورج : حسن ! حسن ، حسن ، حسن! . . . (يذهب إلى المرآة) وداعاً أيتها السهول الروسية الشاسعة لطفولتي . وداعاً أيها المجد! نيكراسوف ، وداعاً! وداعاً يا عزيزي الرجل العظيم المسكين! وداعاً أيها الخائن ، أيها القذر، وداعاً أيها السافل! يحيا جورج دي فاليرا! (يفتش نفسه) سبعة آلاف فرنك ، لقد قلبت العالم رأسا على عقب فربحت سبعة آلاف فرنك . يا لها من مهنة حقيرة . (في المرآة) جورج ، يا صاحبي جورج ، أنت لا تتخيل مبلغ سعادتي بلقياك من جديد! (منتعشاً) سيداتي سادتي ، لما كان نيكراسوف قد مات ، فإن جورج دي فاليرا سوف يهرب على الطريقة الإنجليزية . (يتفكر) باب الدخول الرئيسي : مستحيل . البوليس يراقبه . باب الخدم . . . (يفتح باب اليمين) اللعنة : قاتلاي يحرسان الممر. (يقطع البهو) النافذة؟ (يطل منها) إنها على ارتفاع عشرة أمتار من الأرض .

سوف يتهشم رأسي . ليس هناك مزراب؟ (يصعد على حافة النافذة) بعيداً جداً . يا إلهي ! لو أني أجد وسيلة أشغل بها قاتلاي . . . (يدخل ديميدوف ويمسك به من أردافه وينزله من النافذة)

ديميدوف : أنا لا أسمح بذلك أيها المناضل. إني أمنعك. . .

جورج : أنا. . .

ديميدوف : الانتحار، يفكر فيه المرء في الشهور الثلاثة الأولى. وبعد ذلك، سوف ترى، يتعود المرء على الحياة الجديدة. لقد مررت بهذه التجربة. (يسر إليه) لقد تركت البهو الكبير لأني ثملت قليلاً. لا يجب أن أسكر أيها المكافح. خذ بالك. حينما أكون ثملاً، أصبح فظيعاً. (في اهتمام شديد) آه! آه!

ديميدوف : نعم.

جورج : فظيع جداً.

ديميدوف : أحطم كل شيء. وأحياناً أقتل.

جورج : إن ما تقوله لي ممتع ومهم جداً.

(يندفع المدعوون ومدام بونومي إلى الداخل).

المشهد السابع عشر

جورج، ديميدوف، م. بونومي، بيردريير، جميع المدعوين.

م. بونومي : (لجورج) أخيراً نستطيع الاقتراب منك. لن تتركنا وترحل، فيما أرجو. سوف نبدأ الآن ألعاب التسلية.

جورج : ألعاب التسلية!

م. بونومي : نعم!

جورج : إني أعرف صديقاً كان يضحك كل شخصيات الكريملين حتى تطفر الدموع من عيونهم.

م. بونومي : إنك تحيرني كثيراً. من هو؟

جورج : حسن! في أيام الصفاء كان من عادتنا أن نسكر ديميدوف. إنك لا تتصورين الأفكار البديعة التي تحضره حينما يكون ثملاً! إنه شاعر بحق.

م. بونومي : ولكن هذا ظريف! أيمكن؟

جورج : أنشري هذا الأمر، وسأتولى أنا الباقي.

م. بونومي : (لأحد المدعوين) لابد أن نسكر.

ديميدوف : يبدو أنه مسل جداً حينما يكون ثملاً.

(يسري الخبر)

جورج : (لديميدوف) أصدقاؤنا يريدون قرع كؤوسهم مع كأسك.

ديميدوف : وهو كذلك. (يرى أكواباً يحملها الخدم على صينية) ما هذا؟

جورج : دراي مارتيني.

ديميدوف : لا أبقي مشروبات أمريكية. فودكا!

م. بونومي : (للخدم) فودكا!

(يحضر أحد الخدم كؤوساً من الفودكا على صينية).

ديميدوف : (يرفع كأسه) إني أشرب نخب تحطيم البيروقراطيين السوفيتيين.

م. بونومي والمدعوون : نخب إفناء البيروقراطيين!

جورج : (يتناول كأساً من الصينية ويقدمها لديميدوف). أنت تنسى التكنوقراطيين.

ديميدوف : نخب تحطيم التكنوقراطيين! (يشرب)

المدعوون : نخب تحطيم التكنوقراطيين!

جورج : (يقدم له كأساً جديداً) وأورلوف؟ (للمدعوين) إنه رئيس مكتبه.

ديميدوف : (يشرب) نخب شنق أورلوف!

المدعوون : نخب شنق أورلوف.

جورج : (يقدم له كأساً) إنها الفرصة لشرب نخب الحزب البلشفيكي ـ البلشفيكي.

ديميدوف : تعتقد؟

جورج : بالطبع! ستجعله معروفاً، ولابد من التفكير في الدعاية.

ديميدوف : (يشرب) نخب الحزب البلشفيكي ـ البلشفيكي!

المدعوون : نخب الحزب البلشفيكي. البلشفيكي.

(غالبية المدعوين ثملين في وضوح. تظهر قبعات من الورق وزمامير، وأشرطة ورق ملون. وفي أثناء المشهد التالي يتخلل كلام ديميدوف أصوات الزمامير.

ديميدوف : (لجورج) نخب من عليّ أن أشرب الآن؟

جورج : (يقدم له كأساً) نخب عصفورك المغرد.

ديميدوف : نخب عصفوري المغرد!

المدعوون : نخب عصفوره المغرد! جورج يقدم له كأساً جديداً)

ديميدوف : والآن؟

جورج : لست أدري... نخب فرنسا، ربما. من باب الأدب.

ديميدوف : كلا! (يرفع كأسه) نخب الشعب الروسي الطيب. الذي يكبله رعاته الأشرار.

المدعوون : نخب الشعب الروسي.

ديميدوف : سوف تحررونه، أليس كذلك؟ سوف تحررون شعبي الطيب المسكين؟

الجميع : سوف نحرره! سوف نحرره! (زمامير)

ديميدوف : شكراً! إني أشرب نخب طوفان الحديد والنار الذي سوف يجتاح شعبي!

الجميع : في صحة الطوفان! في صحة الطوفان!

ديميدوف : (لجورج) ما هذا الذي أشربه؟

جورج : فودكا.

ديميدوف : كلا.

جورج : انظر. (يتناول الزجاجة ويريها له)

ديميدوف : ليغفر لي الله! إنها فودكا فرنسية! إني خائن!

جورج : أوه، ديميدوف!

ديميدوف : اخرس أيها الرفيق! كل روسي يشرب فودكا فرنسية فهو خائن لشعبه. لابد من إعدامي. (للجميع) هيا! ماذا تنتظرون؟

م. بونومي : (محاولة تهدئته) يا عزيزي ديميدوف، نحن أبعد ما نكون عن التفكير في ذلك!

ديميدوف : (يدفعها بعيداً عنه) إذن، فلتحررهم جميعاً، جميعاً.. جميع الروس! إذا بقي واحد على ظهر الأرض، واحد فقط، فسوف يأتي مشيراً إلي بأصبعه قائلا: فيودور بتروفتش، إنك تشرب الفودكا الفرنسية. (مجيباً على متكلم خيالي) هذا خطأ أورلوف يا أبي المسكين، ولم أكن استطيع احتماله! (يشرب) إني أشرب نخب القنبلة المحررة! (صمت مرعب. لبيردريير مهدداً) اشرب، أنت!

بيردريير : نخب القنبلة!

ديميدوف : (مهدداً) أية قنبلة؟

بيردريير : لست أدري... نخب القنبلة هـ. «الهيدروجينية»

ديميدوف : أيها الكلب الحيوان. أو تأمل أن تجعلنا نعتقد أننا سنوقف التاريخ بقنبلة؟

بيردرير : ولكني لا أريد أن أوقف التاريخ!

ديميدوف : وأنا أريد إيقافه على الفور. لأني أعرف من يكتبه! إنه شعبي الصغير برعاته الأشرار. أتفهم؟ أورلوف نفسه يكتب التاريخ، وأنا وقعت خارجه كما يقع العصفور من العش. (يتابع بعينيه شيئاً غير مرئي يقطع البهو في سرعة هائلة) إنها تسير بسرعة! أوقفوها! أوقفوها! (يتناول كأساً) إني أشرب نخب القنبلة الفانية التي سوف تنسف الأرض. (لبيردرير) أشرب!

بيردرير : (في صوت نصف مختنق) كلا.

ديميدوف : ألا تريد أن تنسف الأرض؟

بيردرير : كلا.

ديميدوف : وكيف توقف تاريخ البشر إن لم تحطم الجنس البشري؟ (في النافذة) انظر! انظر إلى القمر. فيما مضى من الزمان كان القمر أرضاً. ولكن الرأسماليين من سكان القمر كانوا أكثر شجاعة منكم، إذ حينما أدركوا أن به اشتعالا دمروا غلافه الجوي بقنابل من الكوبالت. وهذا ما يفسر لك صمت السماوات: ملايين الأقمار تدور في الفلك، وملايين الساعات توقفت عن الدوران في نفس لحظة التاريخ. ولم يعد هناك غير ساعة واحدة تدق ناحية الشمس. ولكن إن كانت لديكم الشجاعة فإن هذا الضجيج الفاضح سوف يتوقف. إني أشرب نخب القمر المقبل: الأرض! (جورج يحاول التسلل إلى الخارج) إلى أين أنت ذاهب أيها الرفيق؟ اشرب نخب القمر.

جورج : نخب القمر.

ديميدوف : (يشرب ويبصق في نفور) أوه! (لجورج) تصور يا رفيق إني فوق قمر المستقبل وأشرب فودكا فرنسية. سيداتي سادتي أنا خائن! سيكسب التاريخ، وسوف أموت ويقرأ الأطفال اسمي في الكتب: ديميدوف الخائن كان يشرب فودكا فرنسية عند مدام بونومي. إني مخطىء، سيداتي سادتي، مخطىء أمام القرون المقبلة. ارفعوا كؤوسكم، إني أحس بالوحدة. (لبيردريير) وأنت أيها الحيوان اللئيم، اصرخ معي: تحيا حركة التاريخ.

بيردريير : (مرتعباً) تحيا حركة التاريخ.

ديميدوف : تحيا حركة التاريخ الذي سوف يسحقني كعفن منفوش، والذي سوف يحطم المجتمعات القديمة كما أحطم هذه المنضدة. (يلقي بمنضدة البوفيه على الأرض. يسري رعب بين الحاضرين).

المشهد الثامن عشر

السابقون، الحارسان، جوبليه، سيبيلو

جورج : (يفتح باب اليمين للحارسين) لقد جن! سيطروا عليه. (ينقض الحارسان على ديميدوف ويحاولان إخضاعه. جورج يهم بالهرب ولكنه يلقى نفسه وجهاً لوجه أمام جوبليه الذي يدخل من باب اليمين حاملاً سيبيلو في قمة الشمالة على ظهره).

جوبليه : (يضع سيبيلو على مقعد) مدد جسدك يا صديقي. انتظر سوف أضع لك كمادة.

سيبيلو : يا عزيزي الطيب جوبليه، أنت أمي. (ينفجر باكياً) لقد خنت أمي. اجتذبتها إلى المطبخ لكي أمنعها من القبض على محتال!

جوبليه : (يعتدل) أي محتال؟

سيبيلو : جورج دي فاليرا!

(في أثناء ذلك، يدور جـورج لكي يبلغ باب اليمين دون أن يمر أمام سيبيلو وجوبليه).

جوبليه : جورج دي فاليرا؟ أين هو؟

(جورج قد وصل إلى باب اليمين).

سيبيلو : (مشيراً بإصبعه إليه) هاهو! هاهو!

جوبليه : اللعنة!

(يخرج مسـدسـه وينـدفـع خلـف جـورج وهـو يطلـق الرصاص).

المدعوون : (في رعب) القتلة! القتلة!

ديميدوف : (في ذهول) أخيراً! أخيراً! هذا هو التاريخ!

(بودوان وشـابوي يسرعـان خلف جـوبليه، ديميـدوف يتخلـص مـن الحارسين ويسرع خلـف المفتشين، الحارسان يتمالكان أنفسهما ويسرعان خلفه).

(ستار)

المنظر السابع

الديكور: صالون سيبيلو موديل ١٩٢٥ .

المشهد الأول

جـورج ، فيرونيك الـوقت ليـلاً ، يـدخل جـورج مـن النافـذة ، وتدخـل فيرونيك بـدورها وتدير مفتـاح النور. إنها ترتدي نفـس ملابس المنظر الثـالث وتتأهب للخروج . يقف جورج خلفها . ويداه إلى أعلى ، وهو يبتسم .

جورج : مساء الخير.

فيرونيك : (ملتفتة إليه) ما هذا! نيكراسوف .

جورج : لقد مات . نادي جورج واسدلي الستـائر (يرخي يديه) لم تقولي لي اسمك أبدا يا صغيرتي .

فيرونيك : فيرونيك .

جورج : يا لفرنسا الوديعة! (يتراخى على مقعد) كنت جالساً على نفس هذا المقعـد وكنت تتأهبين للخروج ، وكـان بعض رجال البـوليس يحومون حـول المنزل . كل شيء يبـدأ من جديد . كم كنت شاباً! (يصغي) صوت صفارة؟

فيرونيك : كلا . هل أنت مطارد ؟

جورج : منذ كان عمري عشرين عاماً . (فترة) لقد تخلصت منهم منذ قليل . أوه! ليس لفترة طويلة .

فيرونيك : وإذا جاءوا هنا؟

جورج : سـوف يجيئون . جـوبليه بحكـم العادة ، وبـوليس أمـن الدولة بالفطنة . ولكن ليس قبل عشر دقائق .

فيرونيك : هل وقعت في يد بوليس أمن الدولة؟

جورج : المفتش بودوان والمفتش شابوي . تعرفينهما؟

فيرونيك : كلا. ولكني أعرف بوليس أمن الدولة. أنت في خطر.

جورج : (متهكماً) قليلاً!

فيرونيك : لا تبق هنا.

جورج : لابد أن أكلمك.

فيرونيك : عن نفسك؟

جورج : عن أصدقائك.

فيرونيك : سأراك غداً: في المكان الذي تريد وفي الساعة التي تريد. ولكن هيا اهرب!

جورج : (يهز رأسه) إذا تركتك فلن تريني بعد ذلك. سوف يلقون القبض عليّ (. . . عند حركة من فيرونيك) لا تناقش: إنها أمور يحسها المرء حينما يكون من أهل الصنعة. ثم إلى أين تريدينني أن أهرب؟ ليس لدي صديق يخفيني عنده. في منتصف الليل يمر الشخص في رداء السهرة دون أن يلحظه أحد، ولكن غداً، في وضح النهار. . . (وقد خطرت بباله فكرة) بدلات والدك القديمة، أين هي؟

فيرونيك : أعطاها للبواب.

جورج : والجديد؟

فيرونيك : ليست جاهزة، سوى تلك التي يرتديها.

جورج : أرأيت: لقد تخلى الحظ عني. فيرونيك لقد أفل نجمي وذوت عبقريتي.
قضي الأمر. (يسير) سوف يلقون القبض على شخص ما هذه الليلة، تأكدي من ذلك. ولكن من؟ أتستطيعين أن تخبريني من الذي سيقبضون عليه؟ جوبليه يجري خلف فاليرا، وبوليس أمن الدولة خلف نيكراسوف. والأول الذي سيضع يده عليّ سأصبح ما يريد أن أكونه. على من تراهنين؟ البوليس القضائي أم بوليس أمن الدولة؟ جورج أم نيكيتا؟

فيرونيك : أراهن على بوليس أمن الدولة .

جورج : وأنا كذلك . (فترة) حذري ما يستر و ديفال .

فيرونيك : بماذا تريد أن تحذرهما؟

جورج : اصغ إلي يا طفلتي وحاولي أن تفهميني . (في أناة وصبر) ما الذي سيفعله بي بوليس أمن الدولة؟ يضعني في السجن؟ إنه ليس مجنوناً إلى هذا الحد، فنيكراسوف ضيف فرنسا . سوف يستأجرون لي فيلا في ضواحي المدينة، منعزلة بعض الشيء، ولها حجرات جميلة مشمسة . وأقيم أنا في أجمل حجرة، وألزم الفراش ليل نهار. لأن نيكراسوف المسكين قد وهن منه العظم، فكم كانت معاناته . وهذا لن يمنع والدك من الاستمرار في نشر ما أذيعه من أسرار مثيرة .

لقد عرف الطريقة ويستطيع أن يلفق ما يريد بدوني . (يقلد بائع الجرائد) «مايستر وديفال كانا قد ذهبا إلى موسكو خفية . نيكراسوف كان يدفع لهما بالدولارات» . وهذا ما يسمونه فيما أظن، خلق الجو النفسي . وحينما يكونون قد لطخوهما جيداً بالوحل، فسيجد الجمهور من الطبيعي اتهامهما بالخيانة .

فيرونيك : مقالات والدي لا تقيم لها المحكمة وزناً . لابد لها من شهود . جورج أتعرفين إن كنت لن أذهب للإدلاء بالشهادة؟

فيرونيك : أنت؟

جورج : نعم منقولا على محفة . أنا لا أحب الضرب يا صغيرتي . ولو أني ضربت كل يوم فسينتهي بي الأمر إلى السأم .

فيرونيك : أتظن أنهم سوف يضربون؟

جورج : سوف يخجلهم ذلك (فترة) أوه! لك أن تزدريني، ولكني فنان بطبعي ولا قبل لي بالقوة الجسمانية.

فيرونيك : أنا لا أزدريك. ومن الذي يحدثك عن قوة جسمانية؟ يكفي أن تعلم ما الذي تفضله؟

جورج : لو أني أعلم!

فيرونيك : أنت لا تريد أن تصبح مرشداً؟

جورج : كلا، ولكني أيضاً لا أحب أن تشوه صورتي. فلتختاري إذن!

فيرونيك : إن لديك من الكبرياء الكثير يمنعك من الكلام.

جورج : ألا يزال لدي كبرياء؟

فيرونيك : إنك تموت من الكبرياء!

جورج : لتسمع منك السماء! هذا لا يمنع أني سأكون مرتاح الضمير جداً إذا علمت أن ديفال ومايستر لن يصابا.

فيرونيك : وما سيغير ذلك؟

جورج : لو ضقت ذرعاً بذلك، استطيع إدانتهما. على كل حال، أنا أعلم أنهما لن يدخلا السجن.

فيرونيك : إذا أدنتهما فسيحكم عليهما.

جورج : الحكم لا يهم، طالما أنهم لن يستطيعوا القبض عليهما.

فيرونيك : (لا حول لها) يا عزيزي المسكين جورج!

جورج : (دون أن يصغي إليها) أفهمت يا صغيرتي، سأختفي، وأنت اذهبي وقولي لهما أن ينجوا بأنفسهما.

فيرونيك : لن يهربا.

جورج : مع أن البوليس يجد في البحث عنهما، وخمس سنوات من السجن في انتظارهما؟ أنت بلهاء.

فيرونيك : لن يهربا لأنهما بريئان.

جورج : وأنا، تحثيني على الهرب لأني مذنب؟ يا للمنطق الجميل! لو أن أحداً أصغى إليك لذهب جميع مذنبي فرنسا لصيد السمك، بينما الأبرياء يتعفنون في السجن.

فيرونيك : هذا هو ما يحدث تقريباً.

جورج : لا أريد كلاماً منمقاً أيتها الفأرة: الحقيقة هي أنكم تتخلون عنهم.

فيرونيك : انتظر حتى يقبض عليهما وسترى.

جورج : كل هذا مفهوم مقدماً: سوف تصيحون في الشوارع، وتعلقون الملصقات وتعقدون الاجتماعات وتنظمون المواكب: وهذا هو الاحتفال الشعبي الكبير حقاً. ورفيقيكما، أين سيصبحان؟ في الزنزانة. يا للعجب: إن مصلحتكم هي أن تحتفظ بهما السلطات في الزنزانة أطول وقت ممكن. (يضحك) وأنا، الأبله المسكين، ألقي بنفسي في فك الذئب لكي أحذرهما قبل وقوع البلاء. أحذرهما؟ ولكنكم لا تقيمون لذلك أي وزن ولا تهتمون! يا للخطأ الشنيع! أنا لا ألومكما: كل يعمل لنفسه. فقط إن نفسي لتشمئز منكم قليلاً على أية حال، لأني سوف أذهب أنا نفسي إلى السجن، وأحس بتضامن مع الشابين المسكينين اللذين تضحون بهما. (فيرونيك تدير قرص التليفون) ماذا تفعلين؟

فيرونيك : (في التليفون) أهو أنت يا روبير؟ سأصلك بشخص يريد أن يكلمك. (لجورج إنه ديفل).

جورج : ربما كان تليفونه مراقباً.

فيرونيك : لا أهمية لذلك مطلقاً. (تعطيه السماعة)

جورج : (في التليفون) آلو، ديفال؟ اصغ إلي جيداً يا صاحبي: سيلقون عليك القبض غداً، أو بعد غد على الأكثر، ومن المحتمل جداً أن تدان. ليس لديك الوقت حتى لتجهز حقائبك. اهرب حالما تضع السماعة. هيه؟ أوه! أوه! أوه! (يعيد السماعة) ولكنه يشتمني!

فيرونيك : (في التليفون) كلا يا روبير كلا: هدىء من روعك، إنه ليس محرضاً يستفزك. كلا، لاشيء على الإطلاق. سأشرح لك الأمر فيما بعد. (لجورج) أتريد أن أطلب مايستر؟

جورج : لا تفعلي شيئاً من ذلك بالمرة، لقد فهمت. (يستغرق في الضحك) لقد كانت هذه هي أول مرة في حياتي أريد أن أقدم فيها خدمة. ومن المؤكد أنها ستكون الأخيرة. (فترة) لم يعد أمامي سوى أن أذهب. طابت ليلتك مع كل اعتذاراتي.

فيرونيك : طابت ليلتك.

جورج : (ينفجر فجأة) إنهم حمقى، هذا هو كل ما في الأمر! أشخاص مساكين لا حيال لهم! إنهم لا يخمنون حتى ماهو السجن! أما أنا فأعلم ماهو.

فيرونيك : إنك لم تدخله.

جورج : كلا، ولكني شاعر. إن السجن يلتصق بي منذ هذا المساء وأحس به في عظامي. أيعلمان أن للمرء فرصتان من كل خمس فرص للخروج منه بمرض الصدر؟

فيرونيك : لقد دخله ديفال في ١٧ أكتوبر عام ١٩٣٩ وخرج منه في ٣٠ أغسطس ١٩٤٤ مريضاً بالصدر.

جورج : إذن فلا عذر له.

فيرونيك : بل كلا يا صغيري جورج، إنه يفعل مثلك: إنه يتبع مصلحته.

جورج : مصلحته أم مصلحتكم؟

فيرونيك : مصلحتـه، مصلحتـي، مصلحتنـا: ليـس هنـاك غير مصلحة واحدة. أنت لا تساوي أكثر من جلدك وتريد أن تنقذه، وهـذا أمر طبيعـي. إن ديفال متمسـك بحياتـه، ولكنه لا يفكر فيها كل يوم. عنده حزبه، نشاطه، قراؤه: إذا أراد أن ينقذ كل ماهو كائن فيه، فلابد أن يبقى.

(فترة)

جورج : (في عنف) أنانيون قذرون!

فيرونيك : ماذا؟

جورج : سـوف يرضى الجميـع عن أنفسهـم: سيكـون له تـاج الشـوك، وستكـون لكـم أعيـادكـم. ولكـن أنـا، أيها السفلة، أنا، ماذا عساي أصبح وسط هذا كله؟ خائن، ذبابة، مرشد!

فيرونيك : ليس عليك سوى أن. . .

جورج : لا شيء على الإطلاق! سوف أقيـد إلى «فراش الميدان»، ويجلـدني السجـانـون ثلاث مـرات يـوميـاً. وبين الحين والآخر، ولكـي أسترد أنفاسي سـوف يسألـونني: «هـل تشهد؟» وأصبح أنا في مأزق حرج: سوف تدق الأجراس في رأسي، وتصبـح رأسي أكبر مـن قرعـة، وسـأفكـر في هذين الشهيـدين، في هذين المخلصين لمبـادئهما اللذين يلعبان معي دوراً قذراً فلا يهربان، وسأقول لنفسي: «لو أنك أذعنت فسيلقى بهما في السجن خمس سنوات». لو أني أذعنـت؟ عجبـاً! سـوف تصبحون جميعـاً غـايـة في الـرضـا. لا مسيح مـن غير يهوذا، هيـه؟ يـا للمسكين يهوذا، هاك مخلوق لابد أنه كـان مثقل القلب. إني أفهم هذا الرجـل وأبجله. وإذا لم أذعن. . . حسن! إنـه من

أجلكم أيضاً أتلقى الضربات وماذا سيكون جزائي؟ بصاق: سوف يملأ والدك جريدة سوار آباري بتصريحاتي الزائفة، وسوف تحتفل جرائدكم الهزلية في ذات الوقت ببراءة ديفال وهزيمة نيكراسوف الشائنة، المفتري الثلاب. سوف تحملون أصدقاءكم المنتصرين على الأعناق وبنفس الخطوة سوف تطأ شراذمكم السعيدة وجهي. ألعوبة! ألعوبة وكأني طفل يلهو بي جميع الناس! هناك، كنت أداة حقد، وهنا أصبح أداة تاريخ! (فترة) فيرونيك! لو كنت شرحت حالي لرفيقيك فربما كان لديهما من طيبة القلب ما يدفعهما للهرب؟

فيرونيك : أخشى ألا يحدث ذلك.

جورج : السفلة! كان لابد لي من أقتل نفسي أمام عينيك وألطخ أرض الحجرة بدمائي. من حظك أنه لم تعد لدي الشجاعة لعمل ذلك. (يعود إلى الجلوس) لم أعد أفهم شيئاً من شيء. كانت عندي فلسفتي الصغيرة وكانت تعينني على الحياة: لقد فقدت كل شيء حتى مبادئي. آه! ما كان يجب عليّ أبداً أن اشتغل بالسياسة!

فيرونيك : اذهب يا جورج، اذهب. نحن لا نسألك شيئاً، ولست مديناً بشيء لمخلوق. ولكن اذهب.

جورج : (إلى جوار النافذة، يزيح الستائر قليلاً) الليل. الشوارع المهجورة. لابد من السير بجوار الحوائط حتى الصباح. وبعد فترة) أتريدين الحقيقة؟ لقد أتيت ليأخذوني من هنا. حينما يدخل المرء مرحلة الجد، يصبح لرؤية آخر رأس إنسانية أهمية، إذ هو يتذكرها فترة طويلة. وقد أردت أن تكوني أنت آخر من التقي به. (فيرونيك تبتسم) يحسن بك أن تبتسمي كثيراً، فهذا يجملك.

فيرونيك : إني ابتسم للذين يعجبونني .

جورج : ليس لدي شيء لكي أعجبك، وأنت لا تعجبينني (فترة) لو أني استطيع أن أمنع أولئك الأشداء الملاعين من الذهاب إلى السجن فأي دور جميل ألعبه عليكم جميعاً . (يسير) النجدة يا عبقريتي! أرني أنك مازلت موجودة!

فيرونيك : العبقرية يا صديقي . . .

جورج : صمتاً (يدير ظهره لفيرونيك وينحني) شكراً! شكراً! (يتقدم من فيرونيك) يؤسفني أن أعلن إليك أن صديقيك الصغيرين لن يقبض عليهما. وداعاً أيتها الاحتفالات الكبرى، يا وسام الشرف للشهيد. سوف تستعيد مدام كاستانييه وظيفتها، ومن يدري إن كانت أصوات بيردريير المائة ألف لن تذهب يوم الأحد المقبل للمرشح الشيوعي! سأريك أنا إن كان أحد يستطيع أن يحركني على هواه .

فيروينيك : (تهز كتفيها) لا تستطيع عمل شيء .

جورج : وابحث لي عن شخص أختبىء عنده وغداً تأتين لرؤيتي وسأمنحك حديثاً صحفياً حقوق نشره محفوظة في العالم أجمع .

فيرونيك : مرة أخرى!

جورج : لا تريدين ذلك؟

فيرونيك : كلا . . .

جورج : إن عندي عنوانا جميلا مع ذلك : كيف أصبحت نيكراسوف بقلم جورج دي فاليرا؟

فيرونيك : جورج!

جورج : سأبقى خمسة عشر يوماً عند صاحبك: صوروني في جميع الأوضاع، بالعصابة السوداء على عيني وبدونها. إني أعرفهم جميعاً، أمثال بالوتان، ونيرسيا وموتون. سأزيح الستار عن أسرار لا مجال للشك فيها.

فيرونيك : بعد المقال الأول سوف يرسلون إلينا البوليس. و إذا رفضنا تسليمك فسيكتبون في كل مكان أن شهادتك مخترعة.

جورج : أتظني أنهم يجسرون علي القبض على بعد المقال الأول؟ إني أعرفهم جيداً. ثم ماذا؟ إذا ألحوا فلتعطهم عنواني. إنك تضايقينني بشهدائك: إذا كان لابد من شهيد، فلماذا لا أكون أنا؟

فيرونيك : أنت ترى جيداً أنك تموت من الكبرياء.

جورج : نعم. (فترة) هل أنت موافقة على الحديث الصحفي؟ (تقبله) حافظي على مسافاتك. (يضحك) لقد ربحت في النهاية: سوف تنشر جريدتك التقدمية كلام المحتال. أما أنا، فلن يغير ذلك فيّ شيئاً تقريباً: كنت أملي على الوالد، وسوف أملي على الابنة (يدخل بودوان وشابوي من النافذة).

المشهد الثاني

جورج، فيرونيك، بودوان، شابوى

شابوي : صباح الخير يا نيكيتا!

بودوان : المفتش جوبليه يبحث عنك.

شابوي : ولكن لا تخش شيئاً: سوف نحميك.

فيرونيك : ضاع كل شيء.

جورج : من يدري؟ لقد استعدت عبقريتي، ولعل نجمي لم يأفل.

بودوان : تعال معنا يا نيكيتا. أنت في خطر.

شابوي : هذه الفتاة تتردد على الشيوعيين.

بودوان : ربما كلفوها بقتلك.

جورج : أنا جورج دي فاليرا المحتال، وأطلب تسليمي للمفتش جوبليه.

شابوي : (لفيرونيك) يا لنيكيتا المسكين!

بودوان : (لفيرونيك) أصدقاؤك الروس سجنوا أخيراً زوجته وأولاده الكبار.

شابوي : (لفيرونيك) لقد أفقده الألم صوابه وجعله يهذي.

(يذهب بودوان إلى باب الدخول ويفتحه. يدخل ممرضان).

المشهد الثالث

السابقون، ممرضان.

بودوان : (للممرضين) ها هو. ترفقا به.

شابوي : أنت في حاجة إلى الراحة يا نيكيتا.

بودوان : سوف يقودك هذان السيدان إلى مستوصف جميل.

شابوي : له حديقة جميلة مشمسة.

جورج : (لفيرونيك) أرأيت ماذا وجدا، ذلك أشد مكراً من فيلا في الضواحي.

بودوان : (للممرضين) احملا السيد!

(يقترب الممرضـان، وقد تركـا الباب مفتوحـاً. يمسكان بجورج. يدخل جوبليه).

المشهد الرابع

السابقون، جوبليه

جوبليه : طبعاً أيها السادة والسيدات لم تروا رجلاً طوله متراً وثمانية وسبعين.

جورج : (بصـوت جهـوري) هنـا يـا جـوبليـه! أنـا جـورج دي فاليرا.

جوبليه : فاليرا!

جورج : أنـا اعترف بمائة واثنين جـريمة احتيـال! سـوف تصبـح مفتشاً عاما قبل نهاية العام.

جوبليه : (مشدوهاً) يتقدم فاليرا!

بودوان : (يقف في طريقه) خطأ يا زميلي: إنه نيكراسوف!

جوبليه : (يتجنبـه ويلقي بنفسـه على جورج ويشـده من ذراعـه) هاك سنوات وأنا أبحث عنه!

شابوي : (يجذب جورج من ذراعـه الآخر) قلنا لك إن هـذا مجنون يتوهم أنه فاليرا.

جوبليه : (يجذب ذراع جورج) اتركه! إنه ملكـي، إنه حياتي، إنه رجلي، إنه غنيمتي!

شابوى : (يجذب) أتركه أنت.

جوبليه : أبداً!

بودوان : سوف نطرحك أرضا!

جوبليه : حاولوا إذن: ستكون لذلك ضجة!

جورج : تشجع يا جوبليه! أنا معك!

بودوان : (للممرضين) خذوهما معاً، الاثنين!

(يلقي الممرضان أنفسهما على جورج وجوبليه)

فيرونيك : النجدة!

(يسد شابوي فمها بيده، فتحاول التخلص منه في عنف. وفي تلك اللحظة يدخل ديميدوف حانقا في جنون).

المشهد الخامس

السابقون، ديميدوف

ديميدوف : أين رفيقي المكافح؟

جورج : إلي يا ديميدوف!

ديميدوف : رفيقي، اللعنة! أعيدوا إلي رفيقي في الكفاح! أريد رفيقي في الكفاح!

بودوان : (لديميدوف) وما دخلك أنت؟

ديميدوف : ما دخلي أنا؟ خذ! (يضربه بقبضة يده فيطرحه أرضاً. يهجم عليه الآخرون). يحيا الحزب البلشفيكي - البلشفيكي. لا تلن أيها الرفيق! يسقط رجال البوليس! (يلقي بأحد الممرضين على الأرض) آه! أكنتم تريدون تصديع البلشفيكي - البلشفيكي! (يطرح شابوي أرضاً) آه! كنتم تحاولون وقف الثورة الزاحفة! (يطرح جوبليه أرضاً. جورج وفيرونيك يتشاوران بالنظر ثم يهربان من

النافذة يطرح ديميدوف المرض الآخر أرضاً، وينظر حوله ثم يخرج من الباب وهو يصيح). قاوم يا رفيقي في الكفاح، وأنا آت إليك!

جوبليه : (ينتصب وفي سوداوية وحزن) حقاً لقد قلت إني لن أقبض عليه (يسقط من جديد مغشياً عليه).

(ستار)

المنظر الثامن

ديكور: مكتب بالوتان. إنه الفجر. لم يسطع ضوء النهار. الأنوار مضاءة.

المشهد الأول

نيرسيا، شاريفيه، بيرجيرا، ليرمينييه، جول

نيرسيا يرتدي طرطوراً من الورق، وبيرجيرا ينفخ في بوق، شاريفيه وليرمينييه جلسا في إعياء وأشرطة من الورق الملون تلتف على أرديتهما السموكينج. جول يتمشى على حدة قليلاً. يبدو عليهم جميعاً الإرهاق، يحملون شارة «قتلى المستقبل» وهي شارة كبيرة يستطيع المتفرج أن يقرأ عليها في حروف مذهبة: ق. م. وفي أثناء المنظر يضاء المسرح قليلاً قليلاً. وتضيء الشمس بوضوح المكتب بعد رحيل جول.

شاريفيه : بي ألم في الجمجمة!

ليرمينييه : وأنا أيضا!

بيرجيرا : وأنا أيضا!

نيرسيا : كلا، يا شاريفيه، كلا! نحن ننتظر نيكراسوف وسوف تنتظره معنا!

شاريفيه : نيكراسوف! إنه لا يزال يركض!

نيرسيا : لقد وعدونا بإحضاره قبل الفجر.

شاريفيه : (مشيراً إلى النافذة) قبل الفجر؟ هاهو الفجر.

نيرسيا : بالضبط، كل شيء سينتهي بعد قليل.

شاريفيه : (وقد اقترب من النافذة. يتراجع في نفور) يا للفظاعة!

نيرسيا : ماذا حدث؟

شاريفيه : الفجر! لم أكن قد رأيته منذ خمس وعشرين سنة. لم يعد على عهدي به! (فترة)

نيرسيا : أصدقائي الأعزاء... (ينفخ بيرجيرافي المزمار) حباً في الله لا تنفخ يا بيرجيرا في هذا المزمار بعد الآن.

بيرجيرا : إنه نفير.

نيرسيا : (في صبر) وهو كذلك يا صديقي العزيز. أو تسعدني بإلقائه؟

بيرجيرا : (وكأنما أهين) ألقي بنفيري! (بعد تفكير) سألقي به إن أنت خلعت طرطورك.

نيرسيا : (مبهوتاً) طر..؟ إنك ثمل يا عزيزي. (يرفع يده إلى يده إلى رأسه فيلمس الطرطور) آه!... (يلقى الطرطور مقهوراً ويرفع هامته) بعضاً من الوقار أيها السادة! نحن في اجتماع. تخلصوا من هذه الأشرطة الورقية الملونة. (يضع بيرجيرا بوقه على المكتب. وينظف الباقون ملابسهم بالفرشاة) حسن. (جول الذي لم يتوقف عن السير، غارقاً في أفكاره، يذهب إلى المكتب، يفتحه، يتناول منه زجاجة خمر وكأساً. يهم بملء الكأس ليشرب) آه! كلا يا صديقي العزيز! ليس أنت! كنت أظنك لن تشرب أبداً.

جول : إني أشرب لكي أنسى.

نيرسيا : لكي تنسى ماذا؟

جول : لكي أنسى أن تحت يدي أروع خبر في حياتي الصحفية وممنوع من نشره. «نيكراسوف كان فاليرا». هيه؟ أيروقك هذا؟ رجلان شهيران في واحد. إنه عنوان ضخم يساوي اثنين. إنه تهويل في الصحافة.

نيرسيا : أنت غافل عديم الإدراك يا صديقي.

جول : كنت أحلم. (يسير) أن نكون جريدة يسارية ليوم واحد! ليوم واحد فقط! أي عنوان ضخم! (يتوقف عن السير في حالة وجد وذهول) إني أراه: إنه يملأ الصفحة الأولى، ويمتد إلى الصفحة الثانية، ويجتاح الثالثة...

نيرسيا : كفى!

جول : حسن! حسن! (في ألم) بعد معركة تسوشيما، واجهت مشكلة ضمير مماثلة، واجهت مدير جريدة يابانية كبرى. فانتحر بالهاراكيري.

نيرسيا : لا تأسف لشيء يا صديقي. نيكراسوف هو نيكراسوف. لقد هرب منذ قليل لأنه ظن أنه مطلوب اغتياله من الشيوعيين. (عيناه في عيني جول) هذه هي الحقيقة.

جول : (يتنهد) إنها أقل جمالاً من الحلم. (طرق على الباب) ادخل.

المشهد الثاني

السابقون، بودوان، شابوي

المفتشان يربطان رأسيهما بالضمادات. شابوي معلقا ذراعه في رابطة، وبودوان يستند على عصاتين.

الجميع : أخيراً!

نيرسيا : أين هو؟

بودوان : لقد فاجأناه عند سيبيلو...

شابوي : في حديث غرامي مع شيوعية...

جول : مع شيو... مثير! (يذهب ليتكلم في التليفون، فيتوقفه نيرسيا).

نيرسيا : (للمفتشين) استمرا!

بودوان : كان يتأهب لبيع معلومات لجريدة «ليبراتير» Libérateur.

شابوي : «كيف أصبحت نيكراسوف، بقلم جورج دي فاليرا».

جول : لجريدة ليبراتير؟

بيرجيرا : بقلم جورج دي فاليرا؟

شاريفيه : لقد تخلصنا من هذا المأزق الحرج بسلامة.

نيرسيا : طبعاً ألقيتما القبض عليه؟

شابوي : طبعاً!

الجميع : (ماعدا جول الذي يحلم) برافو! أيها السادة. برافو!

شاريفيه : اسجنوه في حصن!

ليرمينييه : رحلوه إلى جزيرة الشيطان!

بيرجيرا : ضعوا على وجهه قناعاً من الحديد.

بودوان : المسألة أنه . . .

(يتردد)

نيرسيا : تكلم، هيا تكلم!

شابوي : كنا قد أخضعناه حينما دخل علينا عشرون من الشيوعيين . . .

بودوان : . . . . وألقوا بأنفسهم علينا وضربونا ضرباً مبرحاً.

شابوي : (يريهم ضماداته) أترون جروحنا؟

نيرسيا : نعم، نعم . . . . ونيكراسوف؟

شابوي : لقد . . . هرب . . . معهم.

ليرمينييه : أيها الأغبياء!

شاريفيه : الحمقى!

بيرجيرا : البلهاء!

بودوان : (يريهم عكازيه) أيها السادة نحن ضحايا الواجب.

نيرسيا : لستما ضحايا بما يكفي، وأنا آسف لأنهم لم يحطموا ضلوعكما. سنرفع شكوانا لرئيس الحكومة!

بيرجيرا : ولجان بول دافيد.

نيرسيا : اخرجا!

(يخرجان)

المشهد الثالث

السابقون عدا بودوان وشابوي

بيرجيرا : (يرفع شارته وينظر إليها في حزن) انتهى الأمر (يلقي بها)

ليرمينييه : (نفس الحركة) انتهى الأمر.

شاريفيه : (نفس الحركة) سوف نموت في فراشنا! (صمت)

جول : (لنفسه في سوداوية) عنده حظ!

نيرسيا : من؟

جول : زميلي محرر جريدة «ليبراتير».

نيرسيا : (في عنف) كفى! (يتناول زجاجة وكأس جول ويلقيها على الأرض. للثلاثة الآخرين) بعضاً من الشجاعة أيها الأصدقاء الأعزاء! لنواجه المستقبل في صحو ووضوح.

بيرجيرا : لم يعد هناك مستقبل. غداً هو يوم الإعدام: سوف تنشر جريدة ليبراتير اعترافات فاليرا، وسوف يغتبط منافسونا جرائد المساء بنشرها في نصها الكامل، ويغرقوننا سخرية واستهزاءً.

شاريفيه : بشاعة يا صديقي العزيز! بشاعة!

ليرمينييه : وسوف يتهمنا الناس بأننا لعبنا لعبة الشيوعية!

بيرجيرا : لقد تحطمنا وانفضحنا.

شاريفيه : أريد أن أنام! أريد أن أنام!

(يهم بالخروج فيستبقيه نيرسيا).

نيرسيا : يا للرغبة العارمة في ذهابك إلى الفراش. لاشيء يعجل بذهابك طالما أنك على ثقة من موتك فيه. (بيرجيرا ينفخ في البوق) وأنت يا عزيزي، للمرة الأخيرة دع هذا المزما.. النفيرا!

بيرجيرا : أنا لي الحق مع ذلك أن أجد عزائي في الموسيقى! (ينظر إليه نيرسيا في احتجاج) حسن، حسن! (يلقى بالبوق).

نيرسيا : (للجميع) لم نفقد شيئاً، ولكن لابد من التأمل والتفكير، كيف ننقذ الجريدة؟

(صمت طويل).

جول : لو كنت أستطيع السماح لنفس...

نيرسيا : تكلم!

جول : لنسبق جريدة ليبراتير ولننشر الخبر في عددنا هذا العصر.

نيرسيا : ماذا؟

جول : (يتلو عنوانه الضخم) فاليرا، أقوى من أرسين لوبين، يخدع فرنسا كلها.

نيرسيا : أرجوك أن تسكت.

جول : سوف نبيع ثلاثة ملايين نسخة.

الجميع : كفى! كفى! كفى!

جول : حسن! حسن! (يتنهد) هذا هو حقاً العذاب الأليم!
(فترة)

نيرسيا : بعد تفكير وتأمل، آخذ اقتراح بالوتان، ولكني أكمله
: إن تصريحاتنا سوف تثير غضب القراء . . .

بيرجيرا : للأسف!

نيرسيا : فلنخفف من حدته بتضحية إنسانية. سوف نقول إن دهشتنا كانت بالغة وأننا خدعنا أنفسنا، وليحمل واحد منا على عاتقه كل الخطأ. سوف نفضح على صفحات الجريدة تهاونه الإجرامي ونطرده طرداً مهيناً.
(صمت)

شاريفيه : فيمن تفكر؟

نيرسيا : إن مجلس الإدارة ليس من اختصاصه نشر الأخبار في مفهومنا الصحفي. وليس واحد من أعضائه هو المتهم.

الجميع : برافو !(يصفقون)

جول : (يتوقف عن التصفيق) في هذه الحالة لا أرى. . . (يتوقف عن الكلام. ينظر إليه الجميع. يسير فتتابعه النظرات) لماذا تنظرون إليّ؟

نيرسيا : (يقترب منه) يا عزيزي بالوتان، تشجع!

بيرجيرا : هذه الجريدة، نحن نعتبرها ابنتك إلى حد ما.

شاريفيه : وليست هذه هي المرة الأولى التي يهب فيها والد حياته في سبيل حياة ابنته.

جول : آه! آه! أتريدون أن. . . . (فترة) موافق.

الجميع : برافو!

جول : موافق، ولكن هذا لن ينفع إلا قليلاً: فمن أنا؟ موظف متواضع، يجهل الجمهور حتى اسمي. لكي تؤثروا في النفوس، نصيحتي الأولى أن تضحوا برئيسكم.

بيرجيرا : (مأخوذاً) هيه!

ليرمينييه : هيه! هيه!

شاريفيه : بالوتان ليس على خطأ تماماً.

نيرسيا : يا صديقي العزيز. . .

شاريفيه : آه! سوف تقوم بعمل جميل!

نيرسيا : وستحتل أنت مكاني في الرئاسة؟ آسف ولكن بالوتان هو الذي قدم لنا فاليرا.

شاريفيه : نعم، ولكنك قبلت أقواله دون تمحيص.

نيرسيا : وأنت أيضاً.

شاريفيه : لم أكن أرأس المجلس.

نيرسيا : ولا أنا، الرئيس كان موتون.

شاريفيه : (يتقدم نحو نيرسيا) كان موتون المسكين يشك في الأمر!

ليرمينييه : (يتقدم نحو نيرسيا) ليس خطأه إن كنا قد وقعنا في الفخ.

بيرجيرا : إنه أنت يا نيرسيا، أنت الذي طردته بمؤامراتك.

(نيرسيا في تراجعه يصطدم بالحقيبة).

شاريفيه : (صارخاً) حذار!

نيرسيا : (يستدير علي عقبية) هيه؟

الجميع : الحقيبة!

(ينظرون إليها في رعب. ثم يستحوذ عليهم الغضب فجأة).

نيرسيا : (للحقيبة) سفالة! (يركل الحقيبة بقدمه).

بيرجيرا : (للحقيبة) سأملأك أنا بالمسحوق المشع القاتل.

(يركلها بقدمه)

شاريفيه : (مشيرا للحقيبة) إنها هي السبب في كل شيء!

ليرمينييه : إلى الموت! إلى الموت!

(يركلون الحقيبة. يدخل موتون، يتبعه سيبيلو).

المشهد الرابع

السابقون، موتون وسيبيلو

موتون : برافو أيها السادة: تدربوا، فهذا ملائم لسنكم.

نيرسيا : موتون!

الجميع : موتون! موتون!

موتون : نعم يا أصدقائي، موتون رئيسكم القديم، الذي اعترف له الآن سيبيلو الرجل الشريف بكل شيء. ادخل يا سيبيلو، ولا تخف!

سيبيلو : (وهو يدخل) إنى أطلب العفو من الجميع.

جول : أيها المخبول.

موتون : صمتاً! يا عزيزي الشجاع سيبيلو لا تعتذر، لقد أديت لنا خدمة جليلة لك أن تفخر بها. لو أننا أنقذنا الجريدة فسيكون ذلك بفضلك أنت.

شاريفيه : أنستطيع إنقاذها؟

موتون : لو كنت أشك في ذلك، أكنت أتواجد بينكم؟

بيرجيرا : ولديك الطريقة؟

موتون : نعم.

شاريفيه : (يتناول يده) لقد كنا مجرمين...

بيرجيرا : كيف ستعفو...؟

موتون : أنا لا أعفو أبداً: أنا أنسى حينما يعرف المرء كيف يجعلني أنسى. إن جريدة سوار آباري ثروة ثقافية، وإذا اختفت فسوف تفتقر فرنسا: هذا هو ما يدفعني إلى فرض الصمت على أحقادي وضغائني.

شاريفيه : ماذا تقترح؟

موتون : أنا لا أقترح شيئا أنا أصر!

بيرجيرا : تصر؟

موتون : إصراري الأول. الذي لا يقبل الجدل أني رئيسكم.

نيرسيا : تسمح يا صديقي العزيز، لقد تم الانتخاب الدوري...

موتون : (للآخرين) لا تفكروا إلا في الجريدة. إذا كان نيرسيا يستطيع إنقاذها فأنا منسحب.

شاريفيه : نيرسيا؟ إنه عاجز.

نيرسيا : إني مصر على القول إن...

الجميع : (عدا جول وموتون) استقالة! استقالة!

(نيرسيا يهز كتفيه، وينسحب من الجماعة)

موتون : طلبي الثاني، لقد رفدتم سبعة محررين أبرياء وأنا أنوي إعادتهم وتعويضهم.

ليرمينييه : طبعا، طبعا!

موتون : وها أنا ذا قد وصلت الى لب الموضوع. أيها السادة منذ عام والجريدة تنزلق في منحدر سيىء: لم نكن نفكر سوى في زيادة التوزيع، وكان المحررون يندفعون في جنون بحثا عن الأخبار المثيرة، وكنا قد نسينا شعارنا الجميل الصارم: الحقيقة عارية تماما.
(يشير إلى الإعلان الملصق على الحائط).

ليرمينيه : واأسفاه!

موتون : من أيـن يأتي الضرر؟ آه، أيها السادة، ذلـك اننا كنـا قد عهدنا بإدارة جريدتنـا إلى مغامر، إلى رجل لا مبادىء له ولا أخلاق : اعني بالوتان.

جول : ها نحـن قد وصلنـا إلى قلب الموضـوع : لقد أردت دائما ضياعي!

موتون : أيها السادة عليكم أن تختاروا : هو أو أنا.

الجميع : أنت! أنت!

جول : لقد كنـت قلب الجريـدة، يحس بنبضي الجميع مـن كل السطور. ماذا تفعلون أيها التعساء دون نابليون الصحافة الموضوعية؟

موتون : ماذا فعلت فـرنسا بعد واترلـو؟ لقد عاشت يـا سيدي. وسنعيش نحن.

جول : بلاء! خـذوا حذركـم! (مشيرا إلى موتـون) هاك لـويس الثامن عشر. هاك عهد عودة الملكية. اما انا فسأرحل إلى جزيرة سانت هيلين. ولكن فلتحذروا ثورات يوليو!.

موتون : اخرج!

جول : بسرور! اركدوا أيها السـادة! اركدوا! منـذ هذا الصبـاح انتقلت النـاحية الإخبـارية في الصحـافة إلى اليسـار! إلى اليســار أيتهـا الأخبـار اليـوميـة المثيرة! إلى اليســار أيتهـا الرجفة الجديدة! وبما أنها في اليسار فسألحق بها. سأنشد جريدة تقدميه تحطمكم!

سيبيلو : سيدي! سيدي! إني أسألك المغفـرة: كانت الأكاذيب تخنقني، وأنا...

جول : إلى الوراء، يا يهوذا! فلتشنق نفسك!
(يخرج)

المشهد الخامس

الجميع عدا جول

موتون : لا تأسفوا على شيء. إنها عملية تطهير عامة. (مشيرا إلى النافذة) انظروا: بالوتان يتركنا والشمس تشرق. سنقول الحقيقة أيها السادة، سنصرخ بها فوق الأسطح. أية مهنة جميلة، مهنتنا !جريدتنا والشمس لها نفس الرسالة: تنير الرجال. (يقترب منها) اقسموا على قول الحقيقة. كل الحقيقة. الحقيقة الواحدة.

الجميع : أقسم على ذلك.

موتون : اقترب يا سيبيلو. لهذا الرجل العظيم الشريف، لمنقذنا، أطلب منكم أن تعهدوا إليه بإدارة الجريدة.

سيبيلو : لي أنا؟ (تخور قواه).

موتون : هاك خطتي. لقد اتصلت بالوزير تليفونيا منذ قليل، طبعا ترك ملاحقته ديفال ومايستر، فالنتيجة غير مؤكدة.

شاريفيه : لا بد أنه هائج.

موتون : كان كذلك ولكني هدأته واتفقنا على تدابير نتخذها معا. غدا في الفجر سوف يتجمع ثلاثة آلاف شخص أمام السفارة السوفيتية. وفي الساعة العاشرة سيصبحون ثلاثين ألفا. وسوف يتضاعف عدد رجال البوليس ثلاث مرات، وسيحطم المتظاهرون سبع عشرة نافذة زجاجية. وفي الثالثة بعد الظهر سوف يتقدم أحد نواب الأغلبية يطلب من البرلمان مطالبا بتفتيش السفارة.

شاريفيه : ألا تخشى أن حادثة دبلوماسية . . .

موتون : أنا ارجو ذلك . .

شاريفيه : إننا نخاطر بوقوع صراع .

موتون : أوه أليس للاتحاد السوفيتي وفرنسا حدود مشتركة .

نيرسيا : وما داعي لهذا كله ولماذا هذه الضجة؟

موتون : لكي نغطي مقدما الضجة التي سوف تحدثها جريدة ليبراتير، لأننا نحن أيها الأصدقاء الأعزاء، الذين سوف نقود المعركة. الفوران الشعبي والمظاهرات المعادية للاتحاد السوفيتي سوف يثيرها عدد اليوم من جريدتنا. (يهز سيبيلو) سيبيلو!

سيبيلو : (يعود الى رشده) هيه؟

موتون : إلى العمل يا صديقي. لابد من إعادة ترتيب الصفحة الأولى. ضع لي أولا في عنوان ضخم «جورج دى فاليرا يبيع نفسه للشيوعيين»، وليحتل المانشيت الكبير نصف الصفحة «السوفيتيون يختطفون نيكراسوف أثناء حفل استقبال عند مدام بونومي» وتختم بهذا العنوان «بعد ان أمضى المسكين اثنتى عشرة ساعة في كهوف السفارة أرسل فيما يبدو إلى موسكو في حقيبة كبيرة».

سيبيلو : نعم يا سيدي الرئيس .

موتون : خذ ستة أعمدة وطور الموضوع على هواك .

شاريفيه : وهل يصدقوننا؟

موتون : كلا، ولكنهم لن يصدقوا أيضا ليبراتير: هذا هو المهم. (لسيبيلو) بالمناسبة يا صديقي، وجد البوليس قائمة إضافية في أوراق نيكراسوف . . .

شاريفيه : قائمة لـ . . . .

موتون : لقتلى المستقبل طبعا. (لسيبيلو) سوف تنشر الأسماء الرئيسية في الصفحة الأولى: جيلبير بيكو، جورج ديهامل وموتون رئيسك. (ينحني ويلتقط شارة من شارات قتلى المستقبل ويعلقها على صدره.)

شاريفيه : هل أستطيع أن أنام؟

موتون : طبعا يا صديقي العزيز: انا سهران. (يدفع زملاءه إلى الباب، فيبدي نيرسيا بعض المقاومة.) وأنت أيضا يانيرسيا، أنت أيضا: حينما يكون رأسك على الوسادة، أنا على ثقة من أنك لا ترتكب الحماقات. (يستدير موتون وهو عند عتبة الباب، نحو سيبيلو) اذا احتجت إليّ يا سيبيلو فأنا في مكتبي.

(يخرجون)

المشهد السادس

سيبيلو بمفرده، ثم تافرينيه وبيريجور

ينهض سيبيلو ويسير أولاً في بطء ثم قليلاً قليلاً في سرعة. وفي النهاية يخلع سترته ويلقيها بعيدا على مقعد فوتيل، ثم يفتح الباب وينادي.

سيبيلو : تافرينيه، وبيريجور، اجتماع الصفحة الاولى!

(يدخل تافرينيه وبيريجور جريا جرياً، يريان سيبيلو فيقفان مبهوتين. ينظر سيبيلو في عيونهما.)

في هذه الحالة يا أطفالي، هل تحبونني؟

(ستار)

صدر من هذه السلسلة

٢٩ ـ الأقوى ـ الرباط ـ الجرائم ـ موسيقى الشبح	تأليف : أوجست سترندبرج
٣٠ ـ اصطياد الشمس	تأليف : بيتر شافر
٣١ ـ حكاية فاسكو ـ السيد نويل	تأليف : جورج شحادة
٣٢ ـ انتصار حورس	تأليف : هـ. و. فيرمان
٣٣ ـ بيوت الأرامل ـ العابث	تأليف : جورج برنارد شو
٣٤ ـ ثلاث مسرحيات طليعية ـ قرافة السيارات ـ فاندو وليز ـ الشجرة المقدسة	تأليف : فرناندو أرابال
٣٥ ـ أوديب الملك ـ أوديب في كولون ـ اليكترا	تأليف : سوفوكل
٣٦ ـ اليكترا ـ لن تقع حرب طروادة	تأليف : جان جيرودو
٣٧ ـ المغنية الصلعاء ـ الدرس ـ جاك أو الامتثال ـ المستقبل في البيض ـ الكراسي	تأليف : يوجين يونسكو
٣٨ ـ مسرحيات إذاعية	تأليف : كوبل تشيرشل ـ شارب مانج
٣٩ ـ روما لم تعد في روما ـ المحراب المضيء أو (مصباح النعش)	تأليف : جبرييل مارسل
٤٠ ـ شيطان الغابة ـ الخال فانيا	تأليف : أنطون تشيخوف
٤١ ـ مهاجر بريسبان ـ البنفسج	تأليف : جورج شحادة
٤٢ ـ ديانا والمثال ـ الحياة عطاء ـ لذة الأمانة	تأليف : لويجي بيرندلو
٤٣ ـ ستيفن «د» ـ منفيون	تأليف : جيمس جويس
٤٤ ـ الغرماء ـ الأميرة البيضاء ـ عيد الفصح	تأليف : أوجست سترندبرج
٤٥ ـ أنتيجونه ـ أجاكس ـ فيلوكتيت	تأليف : سوفوكل
٤٦ ـ سدوم وعمورة ـ مجنونة شايو	تأليف : جان جيرودو
٤٧ ـ ضحايا الواجب ـ مرتجلة الما ـ سفاح بلا كراء	تأليف : يوجين يونسكو
٤٨ ـ طريق القمة ـ العالم المكسور	تأليف : جبرييل مارسل
٤٩ ـ الحلم الأمريكي ـ الطابعان على الآلة	تأليف : البي شيزجال
٥٠ ـ الأرض كروية	تأليف : أرمان سالاكرو
٥١ ـ السلاح والإنسان ـ كانديدا ـ رجل المقادير	تأليف : جورج برنارد شو
٥٢ ـ الحارس	تأليف : هارولد بنتر

٥٣ ـ ابن أمية أو ثورة المورسكيين — تأليف : مارتنيس دي لاروزا
٥٤ ـ مأساة كريولانس — تأليف : وليم شكسبير
٥٥ ـ القصة المزدوجة للدكتور بالمي — تأليف : أنطونيو بويرو باييخو
٥٦ ـ الكترا ـ أورستيس — تأليف : يوربيديس
٥٧ ـ هرناني — تأليف : فيكتور هيجو
٥٨ ـ المستنيرون — تأليف : ليو تولستوي
٥٩ ـ سجاناريل ـ المتحذلقات المضحكات ـ مدرسة الأزواج ـ الطبيب الطائر ـ غيرة الباربوييه — تأليف : موليير
٦٠ ـ الطريق إلى روما — تأليف : روبرت شيروود
٦١ ـ المهرجون ـ قصةفلادلفيا — تأليف : فيليب باري
٦٢ ـ قصة حياة — تأليف : ماكس فريش
٦٣ ـ أوبرا الصعلوك — تأليف : جون جي
٦٤ ـ الابن الطبيعي — تأليف : دنيس ديدرو
٦٥ ـ رقصة الموت ـ الطريق الكبير — تأليف : أوجست سترندبرج
٦٦ ـ أيام العمر ـ سكان الكهف — تأليف : وليم ساروبان
٦٧ ـ العارض ـ بيرينيس المصرية — تأليف : أندريه شديد
٦٨ ـ المعصرة ـ أداء الأدوار ـ أبوزهرة بفمه — تأليف : لويجي بيرندلو
٦٩ ـ حالة طوارىء — تأليف : ألبير كامي
٧٠ ـ حياة جالليو ـ طبول في الليل — تأليف : برتولت برشت
٧١ ـ غرفة المعيشة — تأليف : جراهام جرين
٧٢ ـ المستأجر الجديد ـ اللوحة ـ الخرتيت — تأليف : يوجين يونسكو
٧٣ ـ السفر ـ سهرة الأمثال — تأليف : جورج شحادة
٧٤ ـ نجونا بأعجوبة — تأليف : ثورنتون وايلدو
٧٥ ـ تلميذ الشيطان ـ هداية القبطان براسباوند — تأليف : جورج برنارد شو
٧٦ ـ الملك لير — تأليف : وليم شكسبير
٧٧ ـ الطريق — تأليف : وول شوينكا
٧٨ ـ عزيزي مارات المسكين — تأليف : إلكسي أربورف
٧٩ ـ زفاف زبيدة — تأليف : هوجو فون هومانزتال
٨٠ ـ مياه بابل ـ رقصة العريف — تأليف : جون آردن
٨١ ـ روبسبير — تأليف : رومان رولان
٨٢ ـ أوديب — تأليف : سنكا
٨٣ ـ ظمأ ـ عبودية ـ ضباب ـ مبحرون شرقا إلى كارديف ـ في المنطقة ـ بدر على البحر الكاريبي — تأليف : يوجين اونيل

٨٤ ـ فرسان المائدة المستديرة ـ الآباء الأشقياء | تأليف : جان كوكتو
٨٥ ـ تعلم الفرنسية بلا دموع ـ الممر المضيء | تأليف : تيرانس راتيجان
٨٦ ـ العرس الدموي | تأليف : فديريكو غرسيا لوركا
٨٧ ـ الحياة حلم | كالدرون دي لاباركا
٨٨ ـ يوليوس قيصر | تأليف : وليم شكسبير
٨٩ ـ الفينيقيات ـ المستجيرات | تأليف : يوربيديس
٩٠ ـ لكل عالم هفوة | تأليف : الكسندر استروفسكي
٩١ ـ ظل الوادي ـ الراكبون إلى البحر ـ زفاف السمكري ـ بئر القديسين | تأليف : جون ميلنجتون سنج
٩٢ ـ فتى الغرب المدلل ـ ديردرا فتاة الأحزان ـ عندما غاب القمر | تأليف : جون ميلنجتون سنج
٩٣ ـ كلهم أبنائي ـ الثمن | تأليف : آرثر ميللر
٩٤ ـ أوبرا القروش الثلاثة ـ لوكولوس ـ بعل | تأليف : برتولت برشت
٩٥ ـ تيمون الأثيني | تأليف : وليم شكسبير
٩٦ ـ خادم سيدين | تأليف : كارلو جولدوني
٩٧ ـ رحلة السيد بريشون | تأليف : أوجين لابيش
٩٨ ـ فتاة في سن الزواج ـ مشاجرة رباعية ـ تحريف ثنائي ـ الثغرة ـ لعبة الموت | تأليف : يوجين يونسكو
٩٩ ـ ست شخصيات تبحث عن مؤلف ـ كل شيخ له طريقة ـ الليلة نرتجل | تأليف : لويجي بيرندلو
١٠٠ ـ انتحار الحبيبين في سونيزاكي ـ معارك كوكسينجا | تأليف : تشيكا ماتسبو
١٠١ ـ وراء الأفق ـ أنا كريستي | تأليف : يوجين أونيل
١٠٢ ـ الحرية المغلوبة ـ صعود البطل | تأليف : جون آردن
١٠٣ ـ مأساة عطيل | تأليف : وليم شكسبير
١٠٤ ـ الطلبة المشاغبون ـ قبل يوم الاثنين الموعود ـ الليلة يوم الجمعة | تأليف : جانز كوبر ـ كولين فينيو
١٠٥ ـ حرم سعادة الوزير ـ الدكتور | تأليف : برانيسلاف نوشيتش
١٠٦ ـ القمر في النهر الأصفر | تأليف : دنيسن جونستون
١٠٧ ـ بينما تسطع الشمس ـ المهرجون | تأليف : تيرانس راتيجان
١٠٨ ـ الحصان المغمى عليه ـ الشوكة | تأليف : فرانسواز ساجان
١٠٩ ـ الصنوبرة المجتثة ـ انتحار الحبيبين في اميجيما | تأليف : تشيكاماتسو

١١٠ ـ الأم الشجاعة ـ السيد بنتلا وخادمه ماتي	تأليف : برتولت برشت
١١١ ـ الغضب ـ الملك يموت ـ العطش والجوع	تأليف : يوجين يونسكو
١١٢ ـ العاصفة	تأليف : وليم شكسبير
١١٣ ـ هكذاالدنيا تسير	تأليف : وليم كونجريف
١١٤ ـ الدراما الثورية الإسبانية ـ فصيلة على طريق الموت ـ النطحة ـ الكمامة	تأليف : ألفونسو ساستري
١١٥ ـ مرحلة الواقعية الأولى ـ رغبة تحت شجر الدردار	تأليف : يوجين أونيل
١١٦ ـ الآلة الجهنمية	تأليف : جان كوكتو
١١٧ ـ جيتس فون برلشجن	تأليف : يوهان فلفجلنج جيته
١١٨ ـ مأساة طيبة أو الشقيقان فيدر	تأليف : جان راسين
١١٩ ـ ليوكاديا	تأليف : جان انوي
١٢٠ ـ الشر يستطير ـ الصابرون	تأليف : جاك أوديبرتي
١٢١ ـ مصيفة النزلاء	تأليف : جاك أوديبرتي
١٢٢ ـ أسطورة دون كيشوت ١٩٦٨	تأليف : بويرو باييغو
١٢٣ ـ حلم العقل	تأليف : بويرو باييغو
١٢٤ ـ مكبث	تأليف : وليم شكسبير
١٢٥ ـ القيثارة الحديدية	تأليف : جوريف أوكنرو
١٢٦ ـ عائلتي ـ الأشباح	تأليف : ادواردو دي فيليبو
١٢٧ ـ الزملاء الثلاثة	تأليف : جيمس بروم لين
١٢٨ ـ ممثل الشعب	تأليف : برانيسلاف نوفيتس
١٢٩ ـ الناشزون	تأليف : آرثر ميللر
١٣٠ ـ العائلة ـ خيال مريض	تأليف : إيفان سرجيفتش ـ فوحنيف
١٣١ ـ الكرز المزهر	تأليف : روبرت بولت
١٣٢ ـ توركواتو تاسو	تأليف : يوهان فلفجانج جيته
١٣٣ ـ مشهد في الطريق	تأليف : المررايس
١٣٤ ـ حبا بحب	تأليف : وليم كونجريف
١٣٥ ـ تحيا الملكة	تأليف : روبرت بولت
١٣٦ ـ لورانز الشو	تأليف : الفريد دي موسيه
١٣٧ ـ الإمبراطور جونز ـ الغوريلا	تأليف : يوجين أونيل
١٣٨ ـ هرقل فوق جبل أوبتا	تأليف : سينيكا

١٣٩ ـ دنيا زوال تأليف : مورس هارت ـ جورج كوفمان
١٤٠ ـ ميليت ـ السيد تأليف : ليير كورني
١٤١ ـ قفزة في الخلاء أو ـ العجوز المراهق تأليف : دونا ماكونا
١٤٢ ـ المستر دولار تأليف : برانسيلاف نوشيتس
١٤٣ ـ زوجة كريح تأليف : جورج كيلي
١٤٤ ـ التطلع إلى المصيف ـ تأليف : كارلو جولدوني
مغامرات المصيف ـ العودة من المصيف
١٤٥ ـ اللصوص تأليف : فريدرش شلر
١٤٦ ـ ثلاث قبعات كوبا تأليف : ميجيل ميورا
١٤٧ ـ القلب المحطم تأليف : جون فورد
١٤٨ ـ جريمة قتل في الكاتدرائية تأليف : ت . س . إليوت
١٤٩ ـ حفل كوكتيل تأليف : ت . س . إليوت
١٥٠ ـ نقيب كوبينيك تأليف : كارل توكماير
١٥١ ـ الآلة الكبير براون تأليف : يوجين أونيل
١٥٢ ـ مختارات من المسرح الافريقي
ـ الخادم تأليف : فرديناند أويونو
ـ الزنزانة تأليف : هارولد كمل
١٥٣ ـ شهر في القرية تأليف : إيفان تورجينيف
١٥٤ ـ الجدة الأولى تأليف : فرانس جريليا وتسر
١٥٥ ـ المرحوم تأليف : برانيسلاف نوشيتس
١٥٦ ـ النمر والحصان تأليف : روبرت بولت
١٥٧ ـ حملة الدكتوراه تأليف : موريل سبارك
١٥٨ ـ فلهلم تل ١٨٠٤ تأليف : فريدرش شلر
١٥٩ ـ عيد الميلاد في بيت كوبيللو تأليف : ادواردو دي فيليبو
١٦٠ ـ إنسان روسوم الآلي تأليف : كاريل تشابيك
١٦١ ـ أول من صنع الخمر ـ تأليف : تولستوي
ليلة تبكي الملائكة
١٦٢ ـ زواج لوترو هاديك تأليف : بيتر ليرسوف
١٦٣ ـ سلطان الظلام تأليف : جول رومان
١٦٤ ـ الأعزب تأليف : إيفان تورجينيف
١٦٥ ـ الآنسة روزيتا العانس أو لغة الزهور تأليف : فديريكو غريسيه لوركا
١٦٦ ـ افيجينيا في أوليس ـ تأليف : يوربيديس
افيجينيافي تاوريس
١٦٧ ـ أندرو ماخي ـ الطرواديات تأليف : يوربيديس

١٦٨ـ سابفو — تأليف : فرانس جزيلپارتسر
١٦٩ ـ أصوات الأعماق — تأليف : إدواردو دي فيليبو
١٧٠ ـ أبوالهول الحي — تأليف : رجب تشوسيا
١٧١ ـ الريفية — تأليف : إيفان تورجينيف
١٧٢ ـ الآلة الحاسبة — تأليف : المرل . رايس
١٧٣ ـ الناسك الأسود — تأليف : جيمس نجوجي
ـ ولد للموت — تأليف : سام توليا موهيكا
ـ الخروج — تأليف : توم أومارا
١٧٤ ـ مصرع كاسبر هاوزر — تأليف : ديتر فورته
١٧٥ ـ الغابة — تأليف : الكسندر استروفسكي
١٧٦ ـ الدكتاتور — تأليف : جول رومان
١٧٧ ـ خاتمان من أجل سيدة — تأليف : أنطونيو جالا
١٧٨ ـ انحراف في قصر العدالة — تأليف : أوجويتي
١٧٩ ـ أغسطس من أجل الشعب — تأليف : نيجل دنيس
١٨٠ ـ عابدات باخوس — تأليف : يوربيديس
١٨١ ـ ايون — تأليف : يوربيديس
١٨٢ ـ هيبوليتوس — تأليف : يوربيديس
١٨٣ ـ مارسيل بانيول — تأليف : طوباز
١٨٤ ـ عمود النار ـ الكلايدوسكوب ـ نفير الضباب — تأليف : راي برادبوري
١٨٥ ـ جريمة في جزيرة الماعز — تأليف : أوجوبتي
١٨٦ ـ ميديا — تأليف : بيير كورني
١٨٧ ـ الفتى المذهب — تأليف : كليفوره أوديتس
١٨٨ ـ عصر الجليد — تأليف : تانكرد دورست
١٨٩ ـ الكذاب — تأليف : بيير كورني
١٩٠ ـ العدالة — تأليف : جون جولزود ذي
١٩١ ـ أوبو ملكا — تأليف : الفريد جاري
١٩٢ ـ أوبو عبدا — تأليف : الفريد جاري
١٩٣ ـ أوبو فوق التل ـ أوبو زوجا مخدوعا — تأليف : الفريد جاري
١٩٤ ـ ما ثمن المجد — تأليف : ماكسويل أندرسون
١٩٥ ـ نجمة أشبيلية — تأليف : لوبي دي بيجا
١٩٦ ـ وحش طوروس — تأليف : عزيز نسين
١٩٧ ـ افعل شيئا يامت — تأليف : عزيز نسين
١٩٨ ـ المتعاملون — تأليف : كوبيناسكي

١٩٩ ـ هرج ومرج في المنزل	تأليف: كويسي كادي
٢٠٠ ـ الجزء الأول من حكاية الملك هنري الرابع	تأليف: وليم شكسبير
٢٠١ ـ الأشباح	هنريك إبسن
٢٠٢ ـ البطة البرية	تأليف: هنريك إبسن
٢٠٣ ـ أعمدةالمجتمع	تأليف: هنريك أبسن
٢٠٤ ـ نابولي مليونيرة	تأليف: ادواردو دي فيليبو
٢٠٥ ـ عطلة الإسكافي	تأليف: توماس دكر
٢٠٦ ـ الحبل المتهدل أو أغنية القطار الشبح	تأليف: فرناندو أرابال
٢٠٧ ـ ماريوس	تأليف: مارسيل نانيول
٢٠٨ ـ جثة حية	تأليف: تولستوي
٢٠٩ ـ السكين الكبير	تأليف: كيلفورد أودتيس
٢١٠ ـ الأرض الحرام	تأليف: هارولد بنتر
٢١١ ـ مذنبون بلا ذنب	تأليف: الكسندر استروفسكي
٢١٢ ـ رحلة النهار الطويلة خلال الليل	تأليف: يوجين أونيل
٢١٣ ـ سيدات متقاعدات	تأليف: ادوارد بيرسي وريجينالد دنهام
٢١٤ ـ الهارب	تأليف: جون جولزورذي
٢١٥ ـ السحب ـ ١	تأليف: اريستوفانيس
٢١٦ ـ السحب ـ ٢	تأليف: اريستوفانيس
٢١٧ ـ مجانين واختصاصيون	تأليف: وول سوينكا
٢١٨ ـ الموت وفارس الملك	تأليف: وول سوينكا
٢١٩ ـ لون بشرتنا	تأليف: ثيلستينو جورستيثا
٢٢٠ ـ توركاريه	تأليف: آلان رينيه لوساج
٢٢١ ـ السيد دي ساد	تأليف: يوكيو ميشيما
٢٢٢ ـ الأيام الخوالي	تأليف: هارولد بنتر
٢٢٣ ـ الآلية	تأليف: صوفي تريدويل
٢٢٤ ـ شروق الشمس	تأليف: تساويوي
٢٢٥ ـ الحياة المديدة للملك أوزوالد ـ المؤامرة	تأليف: فيليمير لوكيتش
٢٢٦ ـ العاصفة الرعدية	تأليف: الكسندر استروفسكي
٢٢٧ ـ الضوء يسطع في الظلام	تأليف: ليون تولستوي
٢٢٨ ـ سيدة الفجر	تأليف: اليخاندرو كاسونا
٢٢٩ ـ منحنى خطر	تأليف: ج. ب. بريستلي
٢٣٠ ـ توراندوت	تأليف: فريدريك شيلر
٢٣١ ـ الجمعية الأدبية	تأليف: هنري أفوري

- جواهر المعبد تأليف : جيمس اين هنشو
٢٣٢ - فاوست - الجزء الأول - المقدمة تأليف : جيته
٢٣٣ - فاوست - الجزء الثاني - نص مسرحي تأليف : جيته
٢٣٤ - فاوست - الجزء الثالث - نص مسرحي تأليف : جيته
٢٣٥ - القفص - الانتحار تأليف : ماريو فراتي
٢٣٦ - ملكة الليل في بحر حجري تأليف : يان سولوفيتش
٢٣٧ - افتتاحية الهادئ تأليف : جون ويدمان
٢٣٨ - كازانوفا تأليف : جييوم أبولينير
٢٣٩ - نهدا تريزياس - لون الزمن تأليف : جييوم أبولينير
٢٤٠ - وظيفة مريحة تأليف : السكندر استروفسكي
٢٤١ - مطعم القردة الحية تأليف : غونكور ديلمان
٢٤٢ - الخزان العظيم تأليف : بيتر ترسون
٢٤٣ - كنت هنا من قبل تأليف : ج . ب . بريستلي
٢٤٤ - بيت آل روزمر تأليف : هنريك إبسن
٢٤٥ - حورية من البحر تأليف : هنريك إبسن
٢٤٦ - أيولف الصغير تأليف : هنريك إبسن
٢٤٧ - بيركليس تأليف : وليم شكسبير
٢٤٨ - حرية المدينة تأليف : براين فرايل
٢٤٩ - بنات تراخيس تأليف : سوفوكليس
٢٥٠ - المرأة - اليقظ دائما تأليف : جواد فهمي باشكوت
٢٥١ - البيت الذي شيده سويفت تأليف : غريغوري غورين
٢٥٢ - ميدان بيركلي تأليف : جون بولدرستون
٢٥٣ - مؤامرة الإمبراطورة تأليف : إلكسي تالستوي
٢٥٤ - قضية روبرت أوبينهايمو تأليف : هاينز كيبهارت
٢٥٥ - نساء لهن ماض تأليف : ديميتر ديموف
٢٥٦ - هيكابي تأليف : يوربيديس
٢٥٧ - الناووس أو التابوت الحجري تأليف : فلاجيمير جوبريف
٢٥٨ - نهاية اللعبة تأليف : صمويل بيكيت
٢٥٩ - سيمبلين تأليف : وليم شكسبير
٢٦٠ - وداع في يونيو تأليف : الكسندر فامبيلوف
٢٦١ - النبي المقنع تأليف : عبدالكريم الخطابي
٢٦٢ - بلا لبس - دماء آل بامبيرغ تأليف : جون أوزبورن
٢٦٣ - الرجل المنسي تأليف : ناظم حكمت
٢٦٤ - باولو وفرانتشيسكا تأليف : ستيفن فيليبس

قسيمة اشتراك

البيان	سلسلة المسرح العالمي		مجلة الثقافة العالمية		مجلة عالم الفكر		سلسلة عالم المعرفة	
	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار	دك	دولار
المؤسسات داخل الكويت	٢٠	-	١٢	-	١٢	-	٢٥	-
الأفراد داخل الكويت	١٠	-	٦	-	٦	-	١٥	-
المؤسسات في دول الخليج العربي	٢٤	-	١٦	-	١٦	-	٣٠	-
الأفراد في دول الخليج العربي	١٢	-	٨	-	٨	-	١٧	-
المؤسسات في الدول العربية الأخرى	-	٥٠	-	٣٠	-	٢٠	-	٥٠
الأفراد في الدول العربية الأخرى	-	٢٥	-	١٥	-	١٠	-	٢٥
المؤسسات خارج الوطن العربي	-	١٠٠	-	٥٠	-	٤٠	-	١٠٠
الأفراد خارج الوطن العربي	-	٥٠	-	٢٥	-	٢٠	-	٥٠

الرجاء ملء البيانات في حالة رغبتكم في: تسجيل اشتراك ☐ تجديد اشتراك ☐

الاسم:	
العنوان:	
اسم المطبوعة:	مدة الاشتراك:
المبلغ المرسل:	نقداً / شيك رقم:
التـوقيــع:	التاريخ: / / ١٩م

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب مع مراعاة سداد عمولة البنك المحول عليه المبلغ في الكويت.

وترسل على العنوان التالي:

السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص. ب: ٢٣٩٩٦ ـ الصفاة ـ الرمز البريدي 13100

دولة الكويت

طبع في مطابع دار السياسة

« ١٧٨٩ _ ١٧٩٣ »

ما يلفت النظر في هذه المسرحية أنه لا وجود لمؤلف واحد محدد، بل مجموعة الفرقة المسرحية «مسرح الشمس» وبما يشبه ما يمكن تسميته «تأليفاً جماعياً». وهذه الفرقة المسرحية الفرنسية التي أسست في جامعة «السوربون» بباريس عام ١٩٦٤، تعمل بالأسلوب الجماعي بكل مفردات العمل المسرحي، بجوانبه الفنية والإدارية. وقد أنتجت هذه الفرقة ضمن أسلوبها الطليعي في المسرح العديد من الأعمال، كان على رأسها مسرحية «١٧٨٩ ـ ١٧٩٣» التي نقدمها في هذا العدد. والتي يتضح من عنوانها، إنها تدور حول الثورة الفرنسية، وخاصة أحداث السنوات الأولى للثورة. كما أنها توظف أسلوب المسرح التسجيلي، وتناقش من خلاله جدلية العلاقة بين المسرح والتاريخ.

نيكراسوف

ظل سارتر وفي جميع أعماله يعبر عن رؤاه الفلسفية أكثر من أن يجعل هاجسه فنيا أو أدبيا، مع استخدامه الأدب والمسرح كوسيلة للتعبير عن أفكاره الوجودية. ولكنه بحق ظل شاهداً أزلياً على روح عصره، واعتبرت أعماله «وثائق تاريخية» لتلك القضايا التي أثارها في أعماله المسرحية مثل «الذباب» و«جلسة سرية» و«موتى بلاقبور» و«الأيدي القذرة» و«سجناء الطونا» و«المومس الفاضلة».

ومسرحية «نيكراسوف» ليست استثناء، فهي تحمل نفس السمات الفكرية المميزة لمسرح سارتر. وهي كشف لأساليب الحرب الباردة بين القوى العظمى، وخوف أوروبا وأمريكا من الشبح الشيوعي وخاصة في مرحلة الخمسينات من هذا القرن.



سعر النسخة:

الكويت ودول الخليج	٥٠٠ فلس
الدول العربية الأخرى	ما يعادل دولارا أمريكيا
خارج الوطن العربي	دولاران أمريكيان